الخوارج

تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم

تأليف

الدكتور أحمد عوض أبو الشباب

أستاذ الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي
في جامعة الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية
ومادة الفرق في أزهر لبنان - فرع صيدا

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية
بيروت
لبنان

الكتاب: الخوارج (تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم)
AL-HAWĀRIJ
المؤلف: د. أحمد عوض أبو الشباب
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات: 302
سنة الطباعة: 2005 م
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-4758-7
9 782745 147585 90000

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon
No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban
Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciares.

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١١/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١ رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد. . .

حين عهدت إليّ دار الكتب العلمية ـ مشكورة ـ بتصنيف هذا البحث، حسبت أن الأمر هين وميسور، نظراً لإلمامي بمادة الفرق، على اعتبار أنني أضطلع بتدريسها في أزهر لبنان، فرع صور، منذ عدّة سنوات، فشرعت في جمع ما تيسّر من مواد ذات صلة بالبحث.

وكان لا بدّ من الوقوف ـ بادىء ذي بدء ـ على مختلف المصادر والمراجع المختصة بالفرق، فضلاً عن الأبحاث التي صُنِّفت في موضوع الخوارج، فوجدت نفسي أمام كمّ كبير من المعلومات التي لا تتباين عن بعضها البعض إلاّ في القليل النادر.

واطّلعت على ما صنفه الباحثون في هذا الصدد من أبحاث، فوجدت أنها لا تفي بالغرض، إلا القليل منها، وخاصة أنها تتناول الجانب التاريخي والعقدي، بينما تناول بعضها هذين الجانبين بالإضافة إلى الجانب الأدبي، ولكنها ـ في الوقت نفسه ـ تفتقر إلى المنهجية العلمية، وتغفل كثيراً من الفرق الخارجية التي ظهرت خلال حقب تاريخية مختلفة، فضلاً عن تناولها لآراء مختلف الفرق الخارجية ومعتقداتها بكثير من الإيجاز، ومن غير تنسيق أو تحقيق.

لذلك كان لا بدّ من تسليط الضوء في الفصل الأول، على أصل الخوارج ونشأتهم، ليدرك القارىء الكريم، أن مختلف الحركات الخارجية القديمة منها والمعاصرة، غريبة المنشأ، وأنها نشأت في رحم اليهودية، ورضعت من لَبانها، مما يجعل لزاماً على المسلمين أن يأخذوا حذرهم من كل فكر خارجي، دخيل على الإسلام.

ثم عرّجت في الفصل الثاني على تاريخ الخوارج، ملماً بمختلف الحركات الخارجية التي ظهرت خلال التاريخ الإسلامي، ثم تحدثت في الفصل الثالث عن عقائد الخوارج بشكل عام، لأتوسّع في الفصل الذي يليه في الجانب العقدي لكل فرقة من فرق الخوارج، على حدة، مع الإشارة أخيراً إلى أنني بذلت ما في وسعي لترجمة الأعلام الذين وردت أسماؤهم في سياق البحث، علماً أنني لم أعثر على بعض التراجم فليعلم ذلك.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفيت هذا البحث حقه من الدراسة والتحليل، وأن ينفع به المسلمين، وأن يكون لي ولمن أحب شفاعة يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور أحمد عوض أبو الشباب

١١/ ١٠/ ٢٠٠٤م

الموافق في ٢٧ شعبان ١٤٢٤هـ

الفصل الأول

أصل الخوارج ونشأتهم

الفصل الأول
أصل الخوارج ونشأتهم

المبحث الأول
أسماء الخوارج

أطلق على الخوارج طائفة من الأسماء، منها:

١ ـ الخوارج[١]:

يعتبر هذا الاسم من أشهر الأسماء التي أطلقت على هذه الطائفة، وقد غلب عليه الطابع اللغوي، فكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل مكان[٢] وعلماء الشريعة يسمونهم بغاة[٣].

وقد أطلق عليهم هذا الاسم لخروجهم على علي[٤] رضي الله عنه[٥].

---

(١) جاء في القاموس المحيط: «الخوارج: من أهل الأهواء، سُمُّوا به لخروجهم على الناس». الفيروزأبادي: القاموس المحيط، ١/ ٨٨٥ فصل الخاء، باب الجيم.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٤.

(٣) الحفني: موسوعة الفرق، ص٢١٥.

(٤) علي بن أبي طالب: (٢٣ق هـ ـ ٤٠هـ = ٦٠٠ ـ ٦٦١م) بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمرَ المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي ﷺ وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة، ولد بمكة، وربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (٣٥هـ)، أقام بالكوفة إلى أن قتله عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان المشهورة، واختلف في موضع قبره. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٢٩٥.

(٥) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٧.

٢ ـ أهل النهروان[(١)]:

ومن أسمائهم: أهل النهروان؛ لأن علياً قاتلهم هناك[(٢)].

٣ ـ الحرورية:

سموا بهذا الاسم نسبة إلى حروراء[(٣)]، وهي قرية بظاهر الكوفة، انحاز إليها الخوارج لما خرجوا على عليّ، فنُسِبُوا إليها[(٤)].

ويروي المبرّد[(٥)] أن علياً نفسه هو الذي دعاهم بهذا الاسم، فقد خرج إليهم عندما اعتزلوه، فاسترضاهم، وعادوا معه إلى الكوفة، فقال لهم حينذاك: أنتم الحرورية[(٦)].

ويبدو أن هذا الاسم كان مشهوراً بين المسلمين، حيث وقع حديث لمعاذة بنت عبد الله البدوية أنها سألت أم المؤمنين عائشة[(٧)]: أتقضي إحدانا الصلاة أيام محيضها؟

---

(١) النهروان: وأكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مع الخوارج مشهورة. الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٣٢٤، ٣٢٥.

(٢) ابن تيمية: الإيمان الأوسط، ص٢٧.

(٣) وضبطه ياقوت الحموي بفتح الحاء والراء المهملتين، وبعدهما واو ساكنة وألف ممدودة، وقيل: هي قرية بظاهر الكوفة. وقيل: موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فنسبوا إليها. وقال ابن الأنباري: حروراء كورة. وقال أبو منصور: الحرورية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج، وبها كان أول تحكيم واجتماعهم حين خالفوا عليه. الحموي: معجم البلدان، ٢/ ٢٤٥.

(٤) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٧٥، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٧، المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٥، ابن تيمية: الإيمان الأوسط، ص٢٧، اليعقوبي: تاريخ، ٢/ ١٩١، الحموي: معجم البلدان، ٢/ ٢٤٥، المسعودي: مروج الذهب، ٢/ ٤٠٥.

(٥) المبرّد: (٢١٠ ـ ٢٨٦هـ = ٨٢٦ ـ ٨٩٩م) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد، الزركلي: الأعلام، ٧/ ١٤٤.

(٦) المبرد: الكامل في الأدب، ٣/ ١١٠١.

(٧) عائشة أم المؤمنين: (٩ق هـ ـ ٥٨هـ = ٦١٣ ـ ٦٧٨م) بنت أبي بكر الصديق، عبد الله بن عثمان من قريش: من أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب، تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وكانت عالمة بالفرائض، فكان أكابر الصحابة يسألونها فتجيبهم، توفيت في المدينة، الزركلي، الأعلام، ٣/ ٢٤٠.

فقالت له عائشة: أحرورية أنت؟! قد كانت إحدانا تحيض على عهد رسول الله ﷺ، ثم لا تؤمر بقضاء[١].

وذكر شرّاح صحيح مسلم[٢] أن الحرورية يوجبون على الحائض إذا طهرت قضاء الصلاة[٣].

وربما أطلق علماء الفرق هذا الاسم على فرقة بعينها من فرق الخوارج التي كانت تفرّخ كما تفرّخ الطيور؛ يؤيد ذلك ما ذكره الملطي[٤] في التنبيه، حيث جعل الحرورية الفرقة السابعة من فرق الخوارج العشرين[٥]، ثم تحدث بإسهاب عن آرائها ومعتقداتها[٦].

٤ ـ النواصب:

جمع ناصبي، وهو الغالي في بغض عليّ[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، رقمه ٣٣٥.

(٢) مسلم بن الحجاج: (٢٠٤ ـ ٢٦١هـ = ٨٢٠ ـ ٨٧٥م) القشيري النيسابوري، أبو الحسين: حافظ، من أئمة المحدثين، ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٢١.

(٣) عبد المنعم الحفني: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص١٨٩.

(٤) الملطي: (٠٠٠ ـ ٣٧٧هـ = ٠٠٠ ـ ٩٨٧م) محمد بن أحمد بن عبد الرحمٰن، أبو الحسين، الملطي العسقلاني، عالم بالقراآت، من فقهاء الشافعية، من أهل «ملطية»، نزل عسقلان، وتوفي بها، الزركلي: الأعلام، ٥/ ٣١١.

(٥) أكثر علماء الفرق على أن فرق الخوارج قد بلغت عشرين فرقة، وفي التنبيه للملطي، (ص١٧٨): خمس وعشرون، وعند التحقيق، يبلغ عددها أكثر من ذلك بكثير كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

(٦) قال الملطي: «والفرقة السابعة الحرورية: يقولون بتكفير الأمة، ويتبرؤون من الختنين [عثمان وعلي]، ويتولون الشيخين [أبا بكر وعمر]، ويسبون، ويستحلون الأموال والفروج، ويأخذون بالقرآن ولا يقولون بالسنة أصلاً، وإذا تطهر منهم الرجل أو المرأة للصلاة لا يبرح ولا يمشي أصلاً حتى يصلي في المكان الذي تطهر فيه، وزعموا أنه إذا مشى الرجل تحرّك شرجه وانتقضت طهارته، ويستنجون بالماء، وإذا خرجت منهم الريح لم يتطهروا للصلاة خلافاً لجميع الأمة، ولا يصلون في السراويل، ويقولون: السراويل جب الفقاح، وتقاتل نساؤهم على الخيل مضمرات كما يقاتل رجالهم، وهم بناحية سجستان، وهراة، وخراسان. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص٥٣.

(٧) الحفني: موسوعة الفرق، ص٢١٦.

وجاء في (الخطط) للمقريزي[١] ما نصّه: «الخوارج: ويقال لهم النواصب»[٢].

وجاء في (القاموس المحيط) ما نصه: «والنواصب والناصبية وأهل النصب: المتدينون بِبِغضة علي رضي الله عنه؛ لأنهم نصبوا له أي عادوه»[٣].

٥ ـ الشُّراة:

بضمّ الشين، على وزن رُماة وقُضاة، جمع شارٍ، وهو من الأسماء المفضلة لدى الخوارج.

وهم يفسّرون ذلك على أن الشاري الذي هو مفرد الشُّراة، اسم فاعل من الشّراء، ويزعمون أنهم سمُّوا بذلك لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى على أن لهم الجنة، وهم ـ كما يقولون عن أنفسهم ـ الذين قصدهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ [التّوبَة: ١١١].

وأما خصومهم فيفسّرون هذا الاسم تفسيراً مغايراً، فيرون بأن الشاري اسم فاعل من شرى الشرّ إذا استطار وزاد وتفاقم، وأيضاً فإننا نقول: شرى الرجل إذا غضب ولجّ في الخصومة وغيرها[٤].

وقريب منه ما ذكره ابن سيّدة[٥] عن أبي علي الفارسي[٦] أنهم سمّوا بذلك

(١) المقريزي: (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ = ١٣٦٥ ـ ١٤٤١م) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي: مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه)، ولد ونشأ ومات في القاهرة. الزركلي: الأعلام، ١/ ١٧٧.

(٢) المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٥.

(٣) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ١/ ١٣٣، فصل النون، باب الباء.

(٤) الجوهري: الصحاح، ٦/ ٣٦٨، والحفني: موسوعة الفرق، ص٢١٦.

(٥) ابن سيدة: (٣٩٨ ـ ٤٥٨هـ = ١٠٠٧ ـ ١٠٦٦م) علي بن إسماعيل، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها، ولد بمرسية (في شرقي الأندلس)، وانتقل إلى دانية فتوفي بها. كان ضريراً. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٢٦٢.

(٦) أبو علي الفارسي: (٢٨٨ ـ ٣٧٧هـ = ٩٠٠ ـ ٩٨٧م) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي: أحد الأئمة في علم العربية، ولد في فسا (من أعمال فارس) ودخل بغداد سنة ٣٠٧هـ، وقدم حلب سنة ٣٤١هـ، فأقام مدة عند سيف الدولة، وعاد إلى فارس، فصحب عضد الدولة ابن بويه، وتقدّم عنده، ثم رحل إلى بغداد فأقام إلى أن توفي بها. الزركلي: الأعلام، ٢/ ١٧٩، ١٨٠.

لأنهم لجّوا وغضبوا، فأمّا هم فقالوا: نحن الشّراة من قوله عزّ وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وإلى ذلك ذهب قطري[1] في قوله:

رأت فتية باعوا الإله نفوسهم   بجنات عدن عنده ونعيم[2]

وقال المقريزي: «والخوارج يقال لهم الشّراة! واحدهم شاري، مشتق من شرى الرجل إذا ألحّ، أو معناه يشتري بالشرّ، أو من قول الخوارج: شرينا أنفسنا لدين الله، فنحن لذلك شراة، وقيل: إنه من قولهم: شاريته أي لاحيته وماريته، وقيل: شرى الرجل غضباً إذا استطار غضباً، وقيل لهم هذا لشدّة غضبهم على المسلمين[3].

٦ ـ المارقة:

سميت به الخوارج لخروجهم عن الدين[4].

وقد اشتق هذا الاسم من حديث النبي ﷺ: **«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة»**[5].

وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا المارقة، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة[6].

٧ ـ المحكِّمة:

جاءت هذه التسمية من خلال الشعار الذي أطلقه الخوارج بعد قبول علي

---

(١) قطري بن الفجاءة: (٠٠٠ ـ ٧٨هـ = ٠٠٠ ـ ٦٩٧م) أبو نعامة بن الفجاءة، واسمه جعونة بن مازن بن يزيد المازني التميمي: من رؤساء الأزارقة (الخوارج) وأبطالهم، من أهالي قطر بقرب البحرين، كان خطيباً فارساً شاعراً، عثر به فرسه فاندقت عنقه فمات، وقيل إن سفيان بن الأبرق الكلبي قاتله، فقتل في إحدى المعارك. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٢٠٠.

(٢) ابن سيدة: المخصص، ١٣/ ١٢٢.

(٣) المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٩.

(٤) الزبيدي: تاج العروس، ١٣/ ٤٤٠.

(٥) الجوهري: الصحاح، ٤/ ٣٢٠، ابن سيّدة: المخصص، ١٣/ ١٢٢، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٥.

(٦) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٧.

رضي الله عنه بالتحكيم: «لا حكم إلا لله، ولا حكم للرجال»(١)، فلما سمعها علي قال: «كلمة حق أريد بها باطل»(٢)، وقد ضاق أمير المؤمنين ذرعاً بهذا الشعار، وقد اتخذته الخوارج ديناً وديدناً، فكانوا يقاطعونه في كثير من الأحيان وهو على المنبر يخطب بقولهم: لا حكم إلا لله(٣).

وقد اختلف فيمن كان أول المحكِّمة(٤)، فقيل: إن أول من حكَّم عروة بن حُدَيْر(٥) أخو مرداس الخارجي(٦)، وقيل: أولهم يزيد بن عاصم المحاربي(٧)، وقيل: رجل من بني يَشْكُر بن بكر بن وائل، وكان مع عليّ بصفّين، فلما اتفق الفريقان على التحكيم، ركب جمله(٨) وحمل على أصحاب علي فقتل منهم واحداً، ثم حمل على

---

(١) المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٥، وابن دريد: الاشتقاق، ص١٤٨.

(٢) ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦٩، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٦، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ٢٣٢، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٥.

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٥٦.

(٤) أي أول من أظهر قولهم: «لا حكم إلا لله».

(٥) عروة بن حُدَير: ويقع محرفاً في بعض كتب المقالات (عروة بن جرير)، ويقال: عروة بن أُدَيَّة، بضم الهمزة وفتح الدال وتشديد الياء، وحُدير أبوه أو جده، وأدية جدته، ويقال: أمّه، نص على ذلك أبو العباس المبرد في الكامل (٣/ ١٠٩٧)، ويقال: بل كانت ظِئراً لهما. ابن قتيبة: المعارف، ص٢٣١. وفي الأعلام للزركلي: عروة بن أدية: (٠٠٠ ـ ٥٨هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٨م) عروة بن حدير التميمي، وأدية أمّه: من رجال النهروان، أول من قال: «لا حكم إلا لله»، حضر حرب النهروان فكان أحد الناجين منها، وعاش إلى زمن معاوية، فجيء به إلى ابن زياد، فسأله عن أبي بكر وعمر فأثنى عليهما خيراً، وسأله عن عثمان وعلي فأثنى على عثمان في أول خلافته وكفّره في آخرها، وكذلك كفّر علياً بعد التحكيم، فقتله ابن زياد. الأعلام، ٤/ ٢٢٦.

وقال الأشعري: إن أول من حكم بصفين «عروة بن بلال بن مرداس»، مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٧، وعلى الأرجح أن ثمّة تصحيفاً قد وقع في الاسم.

(٦) الإسفرائيني: التبصير، ص٤١، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٧٤، المبرد: الكامل، ٣/ ١٠٩٧. وابن قتيبة: المعارف، ص٢٣١.

ومرداس الخارجي: هو ابن حدير، أو ابن أدية، وفي الأعلام للزركلي: (٠٠٠ ـ ٦١هـ = ٠٠٠ ـ ٦٨٠م) مرداس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب، الربعي، الحنظلي، التميمي، أبو بلال: من عظماء الشراة، وأحد الخطباء الأبطال العباد، قتله عباد بن الأخضر. الأعلام، ٧/ ٢٠٢.

(٧) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٩.

(٨) في الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٧٥): فلما رأى اتفاق الفريقين على الحكمين استوى على فرسه وآخره بنحوه.

أصحاب معاوية[١] فقتل منهم واحداً، ثم نادى بين العسكرين أنه بريء من علي ومعاوية، وأنه خرج من حكمهم، وقتله رجل من همدان[٢].

وقيل إن أول من حكَّم رجلان من عنزة، اسمهما جعد ومعدان، وكان مع علي منهم أربعة آلاف رجل، وقد مرّ براياتهم الأشعث بن قيس[٣] وهو يقرأ كتاب التحكيم، فخرج جعد ومعدان، فقالا: لا حكم إلا لله، ثم شدّا على أهل الشام، فقاتلا حتى قتلا[٤].

وقال آخرون: أول من حكَّم رجل يقال له سعيد من بني محارب بن خَصَفَةَ بن قيس بن عيلان بن مُضَرَ[٥].

وقال غيرهم: إن أول من حكَّم ولفظ بالحكومة ولم يُشِذْ بها رجل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ من بني صريم، يقال له الحجاج بن عبد الله، ويعرف بالبُرك، وهو الذي ضرب معاوية على أُليتيه يوم حاول اغتياله[٦].

وتزعم الخوارج أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسبي[٧].

---

(١) معاوية بن أبي سفيان: (٢٠ق هـ - ٦٠هـ = ٦٠٣ - ٦٨٠م) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، كان فصيحاً، حليماً وقوراً، ولد بمكة، ومات في دمشق، الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٩، والمبرد: الكامل، ٣/ ١١٠٦.

(٣) الأشعث بن قيس: (٢٣ق هـ - ٤٠هـ = ٦٠٠ - ٦٦١م) ابن معديكرب الكندي، أبو محمد: أمير كندة في الجاهلية والإسلام، أسلم ثم ارتدّ في خلافة أبي بكر، أسر وحمل إلى أبي بكر، فعفا عنه وزوجه أخته أم فروة، وشهد الوقائع وحسن إسلامه، أصيبت عينه في اليرموك، توفي في الكوفة على أثر اتفاق الحسن ومعاوية. الزركلي: الأعلام، ١/ ٣٣٢.

(٤) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٥٠.

(٥) المبرد: الكامل، ٣/ ١٠٩٧.

(٦) المبرّد: الكامل، ٣/ ١١٠٦، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٩.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٩.

وعبد الله بن وهب الراسبي: (٠٠٠ - ٣٨هـ = ٠٠٠ - ٦٥٨م) من الأزد: من زعماء الخوارج، كان ذا علم وفصاحة وشجاعة، أدرك النبي ﷺ، وشهد فتوح العراق، وقاتل علياً مع الخوارج في النهروان، فقتل فيها، الزركلي: الأعلام، ٤/ ١٤٣، بتصرف.

وكان هؤلاء الحمقى يخرجون بسيوفهم في الأسواق، فيجتمع الناس على غفلة، فينادون: لا حكم إلا للّه، ويضعون سيوفهم فيمن يلحقون من الناس، فلا يزالون يقتلون حتى يُقتلوا، وكان الواحد منهم إذا خرج للتحكيم لا يرجع أو يقتل، فكان الناس منهم على وجل وفتنة، ولم يبقَ منهم اليوم أحد على وجه الأرض بحمد الله[١].

ويفهم من سياق مختلف الروايات التي ذكرناها آنفاً أن الذين حكّموا لم يحكّموا في وقت واحد أو موقف واحد، حيث جرى التحكيم في أكثر من مناسبة، وأكثر من موقف، فمنهم من حكّم بين الصفين في موقعة صفين، ومنهم من حكّم حينما كان الأشعث يطوف على الجند من كلا الطرفين المتحاربين، يقرأ كتاب التحكيم الذي تم الاتفاق عليه بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، ومنهم من حكّم في مواقف أخرى، على نحو ما رواه المبرد، أن الخوارج حين استقروا في الكوفة بعد عودتهم مع علي أول الأمر، أشاعوا أنه رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً، فأتى الأشعث بن قيس علياً وأخبره بما يقول الخوارج، فخطب علي الناس فقال: من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فهو أضلّ. فخرجت الخوارج عن المسجد فحكّمت، فقيل لعلي: إنهم خارجون عليك، فقال: لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون[٢].

المبحث الثاني

أصل الخوارج ونشأتهم

أ ـ أصل الخوارج:

اختلف الباحثون اختلافاً كبيراً في أصل الخوارج، ممّا يلقي ظلالاً كبيرة من الشك حول ما أشار إليه كثير من الباحثين من اعتبار العصبية القبلية، أحد أهم العوامل

---

(١) الملطي: التنبيه، ص٤٧.

(٢) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٣١، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ٢٣٣.

في التمهيد لظهور الخوارج، والذي أراه أنه ربما كان للعصبية القبلية دورٌ محدود في نشأة الخوارج، إلا أن انضمام كثير من الموالي الحاقدين على الإسلام وأهله إلى صفوف الخوارج، يمثل أحد أهم العوامل في استمرارية وجودهم لسنوات طويلة، وهو ما عبّر عنه (ديمومبين Demombyne)(١) بقوله إن عدداً كبيراً من الموالي انضم إلى الخوارج حين نادوا بالمساواة بين القبائل، وعارضوا حصر الخلافة في قريش.

ويعزو (جب وكرامر Jibb & Kramers)(٢) هذه المشاركة إلى مساواة الخوارج بين الموالي والعرب.

بينما يرى (نيكلسون Nicholson)(٣) أن الخوارج كانوا من البدو الذين استقروا في الكوفة والبصرة بعد فتح فارس.

ويشاركه في الرأي (بروكلمن Brokelman)(٤) فيراهم من قبائل تميم(٥).

ويرى بعض الباحثين العرب أنهم كانوا من قبائل تميم وحنيفة وربيعة، الذين

---

(١) ديمومبين: (١٨٦٢ ـ ١٩٥٧م): مستشرق فرنسي، ولد في أميان وتوفي في باريس، درس القانون، ثم أقام في الجزائر، والتحق بمدرسة الآداب العليا فيها، حيث تتلمذ في العلوم العربية على رينيه باسيه، حصل على درجة الدكتوراه في الآداب وهو في سن الحادية والستين. عبد الرحمٰن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٧١.

(٢) جيب، هاملتون ألكسندر روسكين: (١٨٩٥ ـ؟) مستشرق إنجليزي، تعلم في مدرسة اللغات الشرقية بلندن، ونال درجة الأستاذية ببحث عن الفتوحات العربية في آسيا الوسطى، (لندن ١٩٢٣)، تولى منصب أستاذ اللغة العربية بجامعة أكسفورد، ثم انتقل إلى جامعة هارفرد في الولايات المتحدة. له عناية خاصة بدراسة الإسلام والأدب المعاصرين، الموسوعة العربية الميسرة، ٢/ ٦٧٥ بتصرف.
كرامر: لم أجد له ترجمة.

(٣) نيكلسون، رينولد آلين: (١٨٦٨ ـ ١٩٤٥م) مستشرق إنجليزي، تعلم العربية والفارسية في إنجلترا وألمانيا، وقام بالتدريس بجامعة كيمبردج، وتخصص في اللغات الشرقية وآدابها، خلف سير توماس آدمز، فصار كبيراً لمحاضري العربية، ألف «التاريخ الأدبي للعرب» و«الصوفية في الإسلام»، وترجم مجموعة من المؤلفات من العربية والفارسية. الموسوعة العربية الميسرة، ٢/ ١٨٦٨ بتصرف.

(٤) بروكلمان، كارل: (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦م): مستشرق ألماني، كان أستاذاً للغة العربية في عدد من جامعات ألمانيا، حقق عدداً من النصوص العربية، وأهم أعماله كتابه الكبير في «تاريخ الأدب العربي»، الموسوعة العربية الميسرة، ١/ ٣٦١.

(٥) نايف معروف: الخوارج، ص٢٦.

كان لهم في الجاهلية عزّ ومنعة وبأس[(١)]، وممّن ذهب إلى هذا عبد الحميد العبّادي[(٢)].

وذهب أحمد أمين[(٣)] إلى أن الموالي الذين انضموا إلى الخوارج، لم يكن لهم أثر كبير، ذلك أن الخوارج كانوا من البدو المتعصبين لجنسهم، الذين يحتقرون الموالي ويزدرونهم[(٤)].

وفي تقديري أن هذا الكلام ـ بإطلاق ـ يجافي الحق والصواب، إلا إذا كان المقصود به بداية انضمامهم إلى الخوارج؛ لأن دورهم بدأ يتفاعل وأثرهم يشتد بعد ذلك في حركة الخوارج، لدرجة أنهم صاروا في فترة من الفترات ـ بالإضافة إلى العجم ـ يمثلون العنصر الأبرز والأكثر حضوراً وتأثيراً وعدداً في حركات الخوارج[(٥)].

وهذا ما رمى إليه الدكتور نايف معروف، أن الخوارج كانوا ـ في بدء أمرهم ـ عرباً خُلَّصاً، ومن أعراب البادية بشكل خاص، فقد وصفوا عند معارضتهم لإمضاء الحكومة بأنهم من أعاريب بكر وتميم.

ورجّح الدكتور معروف أن الموالي لم يكن لهم وجود ملحوظ بين صفوفهم في أول الأمر، وأغلب الظن أن انضمامهم ـ بشكل واسع ـ لحركة الخوارج، كان بعد وقعة النهروان، وبعد أن اتخذت الحرورية من أرض فارس منطلقاً لتحركاتهم، وملجأ لراحتهم واستعدادهم.

---

(١) انظر كتاب صور وبحوث من التاريخ الإسلامي لعبد الحميد العبادي، ص١٤٢.

(٢) عبد الحميد العبادي: (١٨٩٢ ـ ١٩٥٦م): ولد في مدينة الإسكندرية وتعلم في مدارسها، انتقل إلى القاهرة، مارس مهنة التدريس في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، وفي الأزهر الشريف، حصل على درجة الليسانس سنة ١٩٣٣م، عين أستاذاً وعميداً لكلية آداب جامعة الإسكندرية، تميزت كتاباته بالأصالة والجدّة والحيوية، عن كتابه: صور وبحوث من التاريخ الإسلامي.

(٣) أحمد أمين: (١٢٩٥ ـ ١٣٧٣هـ = ١٨٧٨ ـ ١٩٥٤م) ابن الشيخ إبراهيم الطباخ، من كبار الكتاب، مولده ووفاته بالقاهرة، من مؤلفاته المطبوعة «فجر الإسلام» و«ضحى الإسلام»، الزركلي، الأعلام، ١/ ١٠١.

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٦٢.

(٥) على نحو ما جرى حين خلع الخوارج قطري بن الفجاءة وبايعوا عبد ربه الصغير، فقد انحاز إليه أكثر من الشطر جلّهم من الموالي والعجم. المبرد: الكامل، ٣/ ١٣٥٠.

وأضاف قائلاً: «ولعلّ قبائل تميم المضرية أمدّت حزب الخوارج بأكبر رصيد له من العساكر والقادة، حتى ليمكن القول: إن هذه الحركة ولدت في أكناف تميم وتحت رايتها، وكان ذلك حين مرّ بهم الأشعث ليقرأ عليهم كتاب التحكيم.

ثم كان أمير القتال فيهم شبث بن ربعيّ التميمي(١)، ومسعر بن فدكي التميمي(٢)، وعروة بن أدية التميمي، وأخوه مرداس، كما نجد أن قبائل تميم رفدت الخوارج بأبرز رؤوسهم وأصلب قادتهم»(٣).

ولكن هذا لا يعني أن قبائل تميم قد أصبحت خارجية بأكملها، حيث إنها انقسمت على نفسها، فبعض أتباعها كانوا على ولائهم للخلافة، فكان هؤلاء يحاربون التميميين من الخوارج(٤).

ولم يقتصر هذا الأمر على عوام الناس من القبائل إنما تعدّاهم إلى رؤسائهم، حيث نجد أن رؤساء الجماعة والخوارج من القبيلة نفسها(٥).

ب ـ نشأتهم:

يربط معظم الباحثين خطأً نشأة الخوارج بالحكومة التي جرت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في معركة صفين، وهذا يجافي الحق والصواب، ذلك أن ثمة إرهاصات وعوامل ساهمت في نشأة هذه الفرقة، إلى أن أصبحت الظروف مؤاتية لإخراجها إلى حيّز الوجود، بعد الحكومة مباشرة.

---

(١) شبث بن ربعيّ: (٠٠٠ ـ نحو ٧٠هـ = ٠٠٠ ـ نحو ٦٩٠م) التميمي اليربوعي، أبو عبد القدوس: شيخ مضر وأهل الكوفة، في أيامه، أدرك عصر النبوة، ولحق بسجاح المتنبئة، ثم عاد إلى الإسلام، وثار على عثمان وكان ممن قاتل الحسين، خرج مع المختار الثقفي، ثم انقلب عليه، توفي بالكوفة. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٥٤.

(٢) مسعر بن فدكي: من ولد فدكي بن أعبد بن أسعد بن مَنْقَر فارس بني سعد في الجاهلية، وابنه مسعر بن فدكي، كان في عسكر عليّ ثم حَكَّم. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢١٧.

(٣) نايف معروف: الخوارج، ص٢٧.

(٤) المبرد: الكامل، ٣/ ١٣١٢.

(٥) ذكر أبو الفرج الأصفهاني في هذا الصدد، أنه عندما حدثت المواجهة بين جيش الجماعة والأزارقة في دولاب، استخلف قائد جيش الجماعة مسلم بن عيسى بن كريز ـ وهو يجود بنفسه ـ الربيع بن عمرو الغُداني من بني غُدانة بن يربوع، واستخلف نافع بن الأزرق عبيد الله بن بشير بن الماحوز من بني سليط بن يربوع، فكانا رئيسَا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يربوع، الأغاني، ٦/ ١٤٣.

صحيح أن بداية ظهور الخوارج كانت بعد موقعة صفين، وما جرى فيها من أمر التحكيم، وأنهم خرجوا على الطائفتين جميعاً، وأن النبي ﷺ كان قد أخبر بهم، وذكر حكمهم[(١)]، ولكن هذا لا يعني البتة أنهم ظهروا هكذا دون مقدّمات، حيث يبدو أن ثمة عوامل متعددة قد تضافرت في نشأة هذه الفرقة الضالة المضلّة، ولم تكن مسألة التحكيم إلا الحافز أو السبب المباشر الذي أدّى إلى ظهورها.

إن ظهور الخوارج - بعد التحكيم - كفرقة لها عقائدها وأفكارها وآراؤها، وأهدافها وتطلعاتها الخاصة، لا يعني البتّة أن بذورها الخبيثة لم تكن موجودة، حيث ثبت أن بذرتها الأولى ظهرت زمن النبي ﷺ، وقد أشار النبي ﷺ إليهم من خلال حديث ذي الخويصرة (حرقوص بن زهير)[(٢)] الذي يعرف في السنّة المطهرة بحديث الخوارج.

وقد صحح الإمام أحمد[(٣)] - رحمه الله - الحديث في الخوارج من عشرة أوجه، وهذه العشرة أخرجها مسلم في صحيحه موافقة لأحمد، وروى البخاري[(٤)] منها عدة أوجه، وروى أحاديثهم أهل السنن والمسانيد من وجوه أخر[(٥)].

وكان من شأن حرقوص بن زهير هذا أنه رمى رسول الله ﷺ بالجور في

---

(١) ابن تيمية: الإيمان الأوسط، ص٢٤.

(٢) حرقوص بن زهير: (٠٠٠ - ٣٧هـ = ٠٠٠ - ٦٥٧م) السعدي، الملقب بذي الخويصرة: صحابي، من بني تميم، نزل بالأهواز، شهد صفين مع علي، وبعد التحكيم صار من أشد الخوارج على علي، قتل بالنهروان، الزركلي: الأعلام، ٢/ ١٧٢. قلت: في صحبته نظر.

(٣) أحمد بن حنبل: (١٦٤ - ٢٤١هـ = ٧٨٠ - ٨٥٥م) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، الوائلي: إمام المذهب الحنبلي، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس، وولد ببغداد، فنشأ منكباً على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفاراً كبيرة، كان أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، في أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، ومات قبل أن يناظر ابن حنبل، وتولى المعتصم فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلق سنة ٢٢٠هـ، ولم يصبه شرّ في زمن الواثق بالله، ولما توفي الواثق وولي أخوه المتوكل ابن المعتصم أكرم الإمام ابن حنبل وقدّمه، وبقي مدّة لا يولّي أحداً إلا بمشورته، وتوفي الإمام وهو على تقدمه عند المتوكل. الزركلي: الأعلام، ١/ ٢٠٣.

(٤) البخاري: (١٩٤ - ٢٥١هـ = ٨١٠ - ٨٧٠م) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب «الجامع الصحيح - ط»، ولد في بخارى ونشأ يتيماً، وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠هـ) في طلب الحديث، وجمع نحو ست مئة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته، مات في خرتنك. الزركلي: الأعلام، ٦/ ١٣٤.

(٥) ابن تيمية: الإيمان الأوسط، ص٢٤.

القسمة، فقد أخرج الشيخان وأحمد عن أبي سعيد(1)؛ قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسْماً، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله! اعدل. قال رسول الله ﷺ: «**ويلك! ومَن يعدل إن لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أعدل**». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله! ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ: «**دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة، يُنظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم يُنظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم يُنظر إلى نضيّه(2) فلا يوجد فيه شيء، ثم يُنظر إلى قُذَذِه فلا يوجد فيه شيء، سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تَدَرْدَر(3)، يخرجون على حين فرقة من الناس**».

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فوُجد، فأتي به حتى نظرت إليه، على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت(4).

وفي رواية عنه أيضاً قال: بعث علي رضي الله عنه، وهو باليمن، بذهبية في تربتها(5)، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس الحنظلي(6)،

---

(1) أبو سعيد الخدري: (١٠ق هـ ـ ٧٤هـ = ٦١٣ ـ ٦٩٣م) سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازمي النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث كثيرة، غزا اثنتي عشرة غزوة، وله ١١٧٠ حديثاً، توفي في المدينة. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٨٧.

(2) نضيّه: النضيّ هو السهم بلا نصل ولا ريش.

(3) تدردر: أي تضطرب فتذهب وتجيء، وأصله تتدردر.

(4) وأخرجه أبو داود بنحوه عن أنس، كما أخرجه ابن جرير وابن النجار عن عمرو بن العاص بنحوه، وعبد الرزاق وابن أبي شيبة عن أبي سعيد بنحوه كما في المنتخب، ٥/ ٤٣٣، وأورده الهيثمي من طريق عامر بن واثلة وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات، مجمع الزوائد، ٦/ ٢٣٠، وأخرجه الواقدي في المغازي (٣/ ٦٤٨) عن سعد بن أبي وقاص، انظر أيضاً البداية والنهاية، ٤/ ٣٦٣، والإصابة، ١/ ٤٨٥، وأسد الغابة، ٢/ ١٣٩.

(5) بذهبية في تربتها: أي بكمية من الذهب الخام غير المسبوك.

(6) الأقرع بن حابس الحنظلي: (٠٠٠ ـ ٣١هـ = ٠٠٠ ـ ٦٥١م) بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي: صحابي. من سادات العرب في الجاهلية، قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني دارم (من تميم) فأسلموا، وشهد حنيناً وفتح مكة والطائف، وسكن المدينة، وكان من المؤلفة قلوبهم، ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه حتى اليمامة، واستشهد بالجوزجان. الزركلي: الأعلام، ٢/ ٥.

وعيينة بن بدر الفزاري[١]، وعلقمة بن علاثة العامري[٢]، ثم أحد بني كلاب، وزيد الخير الطائي، ثم أحد بني نبهان، قال: فغضبت قريش، فقالوا: أيعطي صناديد نجد ويدعنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم**». فجاء رجل كثّ اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتىء الجبين، محلوق الرأس، فقال: اتّقِ الله يا محمد! قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فمن يطع الله إن عصيته؟! أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟**». قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله، (يرون أنه خالد بن الوليد)[٣]، فقال رسول الله ﷺ: «**إن من ضئضىء[٤] هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرّميّة، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[٥].

---

(١) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بالجيم مصغراً، ابن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري أبو مالك، له صحبة، وكان من المؤلفة قلوبهم، أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنيناً والطائف، وبعثه النبي ﷺ لبني تميم فسبى بعض بني العنبر، ثم كان ممن ارتد زمن أبي بكر، ثم عاد إلى الإسلام، عاش إلى خلافة عثمان. ابن حجر: الإصابة، ٣/ ٥٥.

(٢) علقمة بن علاثة العامري: (٠٠٠ ـ نحو ٢٠هـ = ٠٠٠ ـ نحو ٦٤٠م) بن عوف الكلابي العامري: وال، من الصحابة، من بني عامر بن صعصعة، كان في الجاهلية من أشراف قومه، وفد على قيصر، ونافر عامر بن الطفيل، ثم أسلم، وارتد في أيام أبي بكر، فانصرف إلى الشام، فبعث إليه أبو بكر القعقاع بن عمرو، ففرّ علقمة منه، ثم عاد إلى الإسلام، وولاه عمر ابن الخطاب حوران فنزلها إلى أن مات. وكان كريماً، للحطيئة قصيدة في مدحه. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٣) خالد بن الوليد: (٠٠٠ ـ ٢١هـ = ٠٠٠ ـ ٦٤٢م) بن المغيرة المخزومي، القرشي: سيف الله الفاتح الكبير، الصحابي، كان من أشراف قريش في الجاهلية، يلي أعنة الخيل، وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية، وأسلم قبل فتح مكة (هو وعمرو بن العاص) سنة ٧هـ، فسرّ به رسول الله ﷺ وولاه الخيل، ولما ولي أبو بكر وجهه لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد، ثم سيّره إلى العراق سنة ١٢هـ ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه، وحوّله إلى الشام، ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش، وظلّ يقاتل بين يدي أبي عبيدة بن الجراح، ثم رحل إلى المدينة، فدعاه عمر ليوليه، فأبى، ومات بحمص. الزركلي: الأعلام، ٢/ ٣٠٠.

(٤) إن من ضئضىء هذا: الضئضىء هو أصل الشيء، ولأصل الشيء أسماء كثيرة كالنجّار والعنصر والأرومة.

(٥) أخرجه البخاري في الأنبياء برقم (٣٣٤٤) وفي المغازي برقم (٤٣٥١) وفي التوحيد برقم (٧٤٣٢)، ومسلم في الزكاة برقم (١٠٦٤)، وأبو داود في السنة برقم (٤٧٦٤)، والنسائي في الزكاة ٧/١١٨، وأحمد في المسند ٣/ ٤، ٥ و٦٨ و٧٢ و٧٣، وروى الترمذي بعضه. وقال: حديث حسن صحيح، وابن كثير في البداية والنهاية، ٥/١٠٦ و٧/ ٣٠٠، وأخرج ابن أبي عاصم نحوه في السنة عن علي كما في المنتخب، ٥/ ٤٣٢.

وروى ابن الجوزي(١) هذا الخبر وقال: «أول الخوارج وأقبحهم حالة ذي الخويصرة»(٢).

ومن المؤكد أن هذا الحديث يمثل علماً من أعلام النبوّة، حيث ارتبط اسم حرقوص بن زهير بالخوارج منذ بداية ظهورهم، وكان له دورٌ بارز في مجريات الأحداث، حيث كان من أبرز الخارجين على عثمان(٣) رضي الله عنه، وكان على رأس المتمرّدين الذين خرجوا إلى المدينة من البصرة(٤).

وفي صفين(٥) كان له دورٌ بارز أيضاً، وذلك أنه لم يكتفِ بإلزام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقبول مبدأ التحكيم، حيث نراه يأتي بصحبة زرعة بن البرج الطائي، ويدخلان عليه، فيقول حرقوص بن زهير: تب من خطيئتك، وذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه(٦).

وبعد خروج الخوارج إلى النهروان، كان على رأسهم اثنان من القادة، أحدهما حرقوص بن زهير، وقد قتل في هذه الوقعة(٧).

(١) ابن الجوزي: (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ = ١١١٤ ـ ١٢٠١م) عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى «مشرعة الجوز» من محالها، الزركلي: الأعلام، ٣/٣١٦.

(٢) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٤.

(٣) عثمان بن عفان: (٤٧ق هـ ـ ٣٥هـ = ٥٧٧ ـ ٦٥٦م) بن أبي العاص بن أمية، من قريش، أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، من كبار الذين اعتز بهم الإسلام في عهد ظهوره، ولد بمكة، وأسلم بعد البعثة بقليل، وكان غنياً شريفاً في الجاهلية، ومن أعظم أعماله في الإسلام تجهيز نصف جيش العسرة، وصارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر سنة (٢٣هـ) حدثت في أيامه فتوحات عظيمة، نقم الناس عليه أموراً، فجاءه المتمردون من الكوفة والبصرة ومصر وحصروه في داره، ثم تسوّر عليه بعضهم وقتلوه صبيحة يوم عيد الأضحى وهو يقرأ القرآن. الزركلي: الأعلام، ٤/٢١٠، بتصرف.

(٤) الطبري: تاريخ، ٢/٦٥٢.

(٥) صِفّين: بكسرتين وتشديد الفاء، وهو موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي، بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة ٣٧هـ في غرّة صفر، الحموي: معجم البلدان، ٣/٤١٦.

(٦) الطبري: تاريخ، ٣/١١٣.

(٧) المرجع نفسه، ٣/١٢٢.

ولم يكن حرقوص بن زهير هو الوحيد من قادة الخوارج الذين خرجوا على عثمان، فهذا نافع بن الأزرق[١] ـ رأس الأزارقة ـ يعترف صراحة بأنه حضر قتل عثمان يوم قتل[٢].

ومن هذا المنطلق، فإن الحافظ ابن كثير[٣]، لا يفرّق بين أولئك الذين خرجوا على عثمان، وأولئك الذين شقوا عصا الطاعة على عليّ، عند قبوله التحكيم، فكلّهم في نظره سواء[٤].

وممّا تقدّم من معطيات، يؤكد الدكتور معروف أننا نستطيع أن نتوصل إلى هذه النتيجة، من خلال دراستنا لأخبار الخوارج منذ أيام الرسول ﷺ، وحتى ظهورهم كفرقة إسلامية، حيث يتبدّى لنا أن حركة الخوارج لم تكن وليدة صفين، ولا كانت بنت التحكيم، بل كانت قائمة ـ بقالب أو بآخر ـ قبل هذا التاريخ، وما قضية الحكومة إلا ذريعة ملائمة استغلها قادة هذه الجماعة لإبرازها إلى حيّز الوجود العلني، كدعوة دينية إصلاحية في ظاهرها، وكحزب سياسي في جوهره وأهدافه[٥].

وهي تعتبر امتداداً لحركة التمرد على عثمان، ولذلك فإن الطبري[٦] لا يجد ثمة

---

(١) نافع بن الأزرق: (٠٠٠ ـ ٦٥هـ = ٠٠٠ ـ ٦٨٥م) بن قيس الحنفي البكري، الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، من أهل البصرة، كان وأصحاب له من الخارجين على عثمان، ثم كانوا مع علي، إلى أن كانت قضية التحكيم، فخرجوا عليه وكفّروه وحاربوه، ثم حاربوا الأمويين، قتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٣٥١.

(٢) المبرد: الكامل، ٣/١٢١٨، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/ ٢٣٧.

(٣) ابن كثير: (٧٠١ ـ ٧٧٤هـ = ١٣٠٢ ـ ١٣٧٣م) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء: حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ، ورحل في طلب العلم، توفي في دمشق، الزركلي: الأعلام، ١/ ٣٢٠.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٥٠ و٢٧٣.

(٥) معروف: الخوارج، ص٥٤.

(٦) الطبري: (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ = ٨٣٩ ـ ٩٢٣م) محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر: المؤرخ المفسر، الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد، وتوفي بها، عرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. الزركلي: الأعلام، ٦/ ٦٩.

فرقاً بين المتمردين على عثمان أي السبئية[1] وبين الخوارج، فكلاهما من الخوارج على حد تعبيره[2].

وإذا كانت بذرة الخوارج الأولى قد وجدت في عهد الرسول ﷺ، وكانت تتمثل - على حد تعبير الدكتور نايف معروف - بالغلاة المتطرفين، الذين يجعلون من أنفسهم موازين للحق والباطل، ومن عقولهم مقاييس للخطأ والصواب، فإن تلك البذرة لم تجد التربة الصالحة لتنمو وتترعرع في عهد النبي ﷺ، أو في خلافة أبي بكر، إلا أنها لم تمت، بل استمرت في النمو البطيء الخفي في بعض الزوايا المظلمة.

أما في عهد عمر[3]، فهناك رواية جاء بها ابن دريد[4]، ربما توحي بوجود هؤلاء القوم بين الناس، فقد ذكر أن رجلاً اسمه صبيغ[5] أتى عمر بن الخطاب، فقال: خبّرني

---

(١) السبئية: أتباع عبد الله بن سبأ: (٠٠٠ - نحو ٤٠هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٦٠م) كان يقول بألوهية علي، أصله من اليمن، قيل: كان يهودياً وأظهر الإسلام، رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق أيام عثمان فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته، ومن مذهبه رجعة النبي ﷺ، نفاه علي إلى ساباط المدائن حيث القرامطة وغلاة الشيعة، وكان يقال له ابن السوداء لسواد أمه، وقيل إن علياً أحرقه بالنار. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٧٧، بتصرف.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ٢/ ٦٥٢، أحداث سنة ٣٥هـ.

(٣) عمر بن الخطاب: (٤٠ق هـ - ٢٣هـ = ٥٨٤ - ٦٤٤م) بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع، الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السفارة فيهم، ينافر عنهم وينذر من أرادوا إنذاره، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين فأعزّ الله الدين به، قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر. وشهد الوقائع. وفي أيامه تم فتح الشام والعراق وغيرهما. وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري، وكانوا يؤرخون بالوقائع، قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي (غلام المغيرة بن شعبة) غيلة بخنجر في خاصرته، وهو في صلاة الصبح، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال، الزركلي: الأعلام، ٥/ ٤٥، ٤٦.

(٤) ابن دريد: (٢٢٣ - ٣٢١هـ = ٨٣٨ - ٩٣٣م) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أزد عُمان من قحطان، أبو بكر: من أئمة اللغة والأدب، ولد في البصرة، وانتقل إلى عُمان، فأقام اثني عشر عاماً، وعاد إلى البصرة، ثم رحل إلى نواحي فارس، اتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين ديناراً، فأقام إلى أن توفي. الزركلي: الأعلام، ٦/ ٨٠.

(٥) صبيغ بن عِسْل، ويقال: ابن عُسَيْل، ويقال: ضبيع بن شريك من بني عُسَيْل بن عمرو بن يربوع بن حنظلة التميمي اليربوعي البصري، وهو الذي سأل عمر بن الخطاب عما سأل، فجلده، وكتب إلى أهل البصرة: لا تجالسوه، وفد على معاوية، ولم يزل بشرّ - يعني بعد جلد عمر - حتى قتل في بعض الفتن. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٣/ ٤٠٨، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢/ ١٠٢): ضبيع التميمي.

عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾ [الذاريات: ١]، فقال له عمر: افحص عن رأسك، فإذا له ضفيرتان، فلو كان محلوقاً لأدرك أنه من الخوارج، إذ كانت علامتهم التحليق[١].

وهناك رواية أخرى نقلها ابن أبي الحديد[٢] عن نصر بن مزاحم[٣]، تقول إن رجلاً خرج بين الصفّين في صفين، لا يعلم من هو، فقال: أيها الناس، أخرَجَ فيكم المحلقون؟ فقيل: لا، فقال: إنهم سيخرجون، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرّ من الصبر، ثم غاب الرجل فلم يعلم من هو[٤].

فإذا صحّت هذه الرواية، فإنها تؤكد أن الخوارج السبئية كانوا موجودين بين عساكر عليّ في صفين، وأنهم كانوا ينتظرون كلمة السر ليخرجوا في ساعة الصفر الحاسمة[٥].

ويكفي أن يكون رؤوس الخوارج أيام علي هم أولئك المتمردون على عثمان، حتى ليمكن القول، إن حركة الخوارج هي امتداد لحركة التمرد على الخليفة الراشدي الثالث، وبخاصة بعد أن أدركوا أن علياً لن يكون مطية لأهوائهم.

ويبدو أن الأمر كان واضحاً لا لبس فيه، أن قتلة عثمان ومسببي معركة الجمل من السبئية هم أسلاف حزب الخوارج، وهذا ما عُيِّر به ابن الزبير[٦] حين رضي

---

(١) ابن دريد: الاشتقاق، ص٢٢٨.

(٢) ابن أبي الحديد: (٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ = ١١٩٠ ـ ١٢٥٨م) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، أبو حامد عز الدين: عالم بالأدب من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ، ولد في المدائن، وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الإنشاء، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي، توفي ببغداد. الزركلي: الأعلام، ٣/٢٨٩.

(٣) نصر بن مزاحم: المنقري العطار أبو الفضل، ذكره أبو داود الحلي في المجروحين والمجهولين، وقال الشيخ في الرجال: كوفي مستقيم، لكنه يروي عن الضعفاء. وقال الذهبي: رافضي جلد تركوه، مات سنة اثنتي عشرة ومائتين، قال العقيلي: شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير، وقال أبو خيثمة: كان كذاباً، وقال أبو حاتم: واهي الحديث، متروك، وقال الدارقطني: ضعيف. الذهبي: ميزان الاعتدال، ٤/٢٥٣.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٨/٥٧.

(٥) معروف: الخوارج، ص٥٤، ٥٥.

(٦) عبد الله بن الزبير: (١ ـ ٧٣هـ = ٦٢٢ ـ ٦٩٢م) بن العوّام القرشي الأسدي؛ أبو بكر: فارس قريش في زمنه، وأول مولود ولد في المدينة بعد الهجرة، شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع بالخلافة سنة ٦٤هـ عقب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، حتى سيّروا إليه الحجاج بن يوسف الثقفي في أيام عبد الملك بن مروان، فحاصره في مكة، ونشبت بينهما حرب طاحنة، انتهت بمقتل ابن الزبير بعد أن قاتل قتال الأبطال. الزركلي: الأعلام، ٤/٨٧، بتصرف.

بانضمام الخوارج الذين جاءوا يحاربون إلى جانبه ضد الأمويين في مكة، فقد قال قيس بن همام:

يا ابن الزبير أتهوى عصبة قتلوا ... أباك ولم تُنزَع الشُّكُكُ
ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية ... ما أعظم الحرمة العظمى التي انتهكوا[(١)]

وهذا صاحب الأزارقة نافع بن الأزرق يعترف صراحة بأنه حضر قتل عثمان كما تقدّم[(٢)]، وفي الوقت نفسه فإنه يتولّى قتلة عثمان[(٣)].

ولعل هذا يفسّر شدة معارضة خوارج السبئية لقضية الحكومة، إذ ربما كانوا يخشون أن تتمّ المصالحة بين العسكرين المتنازعين على حسابهم، فيقتصّون منهم.

قد لا تبدو العلاقة واضحة بين السبئية والخوارج، إذا ما نظرنا إلى هذه المسألة نظرة سطحية، لكننا إذا نظرنا إليها نظرة فاحصة، فإننا ندرك أن السبئية هي الأم الشرعية لحركة الخوارج، وهي الراعية الأكثر أثراً في نشأتها واستمراريتها فيما بعد.

ويبدو أن الدكتور نايف معروف كان من الباحثين القلائل الذين نجحوا في كشف النقاب عن هذه العلاقة، من خلال تتبعه لقادة الخوارج، والبحث في أصولهم وأنشطتهم، لعلّ ذلك يلقي ضوءاً أكثر على الغموض المحيط بنشأة الخوارج وعلى مدى علاقتهم بالسبئية.

فقد كان من قادتهم حرقوص بن زهير السعدي، وكان مبدأ خروجهم بعد اجتماعهم في منزله، وزيد بن الحصين الطائي الذي بويع خليفة الخوارج في منزله، كما كان من زعمائهم شريح بن أوفى العبسي[(٤)]، ويزيد بن قيس، وعبد الله بن الكوّاء[(٥)]، وخليفتهم الأول عبد الله بن وهب الراسبي.

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/ ١٢١٠.

(٢) المرجع نفسه، ٣/ ١٢١٨، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/ ٢٣٧.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٩٨.

(٤) شريح بن أوفى بن يزيد بن زاهر بن حرّ بن شيطان بن حَذْلَم بن خزيمة بن رواحة بن ربيعة ابن مازن بن الحارث بن قُطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث غطفان بن سعد بن قيس عيلان العبسي الكوفي: كان في المسيّرين الذين سيرهم عثمان بن عفان في خلافته من الكوفة إلى دمشق، ثم إن شريح بن أوفى خرج على علي بن أبي طالب وأنكر تحكيم الحكمين فقتل في النهروان. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٣/ ٣.

(٥) عبد الله بن أوفى: المعروف بابن الكوّاء: سمع علياً ومعاوية رضي الله عنهما، قدم دمشق على معاوية ومعه جماعة من أصحابه، فأغلظ له بالقول، ومع ذلك أحسن جوائزهم وردّهم إلى الكوفة. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٧/ ٩٦ بتصرف.

إن حرقوص بن زهير - كما سبق وعلمنا - هو الرجل الذي اعترض على رسول الله ﷺ عند توزيع الغنائم، وهو رأس ثوار البصرة الذين أسهموا مع السبئية في حصار عثمان ومقتله، وزيد بن الحصين الذي وصف بأنه من أصحاب البرانس، وكان على رأس العصابة التي جاءت تهدّد علياً وتفرض عليه قبول التحكيم، حيث جاؤوا إليه فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا علي، أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان(١).

فهذا اعتراف صريح بأنه كان من تلك العناصر الفاسدة التي شاركت في حركة التمرّد على الإمام المظلوم، وقد وصفه ابن كثير بأنه كان من السبئية(٢). وكذلك الأمر بالنسبة لشريح بن أوفى العبسي، حيث كان مع ابن السوداء(٣) عند مسيره إلى عثمان، كما كان معه قبيل إنشاب القتال في معركة الجمل(٤).

ويزيد بن قيس الأرحبي كان أحد المشاغبين ومثيري الفتن، الذين سيّرهم عثمان في خلافته من الكوفة إلى الشام(٥)، وابن الكوّاء كان من الذين أثاروا الفتنة على عثمان، فأمر بإبعاده عن المدينة(٦).

أما خليفة الخوارج الأول عبد الله بن وهب الراسبي، فيراه الدكتور نايف معروف رجلاً غامض النسب، تحوم حوله الشبهات(٧)، فعلى الرغم من أن بعض المصادر تجعله من القرّاء، فإن مصادر أخرى تطعن بعدالته وتجرده من لباس الإيمان والتقوى.

ومما يزيد الأمر اشتباهاً بشأن هذا الراسبي ما رواه المبرّد في أخبار النهروان، فقد ذكر أن علياً قتل أحد الخوارج، فقال الخارجي قبل أن يلفظ أنفاسه: حبذا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب: ما أدري إلى الجنة أم إلى النار، فقال

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/١٠١، نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص٤٨٩ و٤٩١، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٤.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٤.

(٣) ابن السوداء: هو عبد الله بن سبأ، وقد تقدّمت ترجمته.

(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٢.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، القسم الرابع، ١/ ٥٢٩.

(٦) الباقلاني: التمهيد، ص٢١٤، وجاء في بعض المصادر أن ابن الكوّاء رجع عن مذهب الخوارج وعاد إلى صحبة علي. ابن حجر: لسان الميزان، ٤/ ٥٤٩.

(٧) معروف: الخوارج، ص٥٧، نقلاً عن Jib & Kramers: short Eneyel of Islam, page: 246

رجل من سعد: إنما حضرتُ اغتراراً بهذا وأراه قد شك، فانخزل بجماعة من أصحابه(١). وروى المسعودي مثل هذا حين تحدّث عن سبب تفرّق الخوارج عن الراسبي، فقال إن الخوارج تنادوا فيما بينهم عند إحاطة أصحاب علي بهم، فقالوا: يا إخوتنا، أسرعوا بنا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب: فلعلها إلى النار، فقال من فارقه مرائياً: نقاتل مع رجل شاك؟! ففارقوه(٢). وذكر الحافظ ابن كثير أن عبد الله بن وهب كان شديد البغض لعلي، ولا يسمّيه إلا الجاحد(٣).

ويضيف الدكتور معروف أن الأمر المثير للانتباه، هو انطباق كثير من أوصاف عبد الله بن وهب على ابن سبأ اليهودي، فقد عاش كلا الرجلين في الحقبة الزمنية نفسها، وفي الظروف السياسية ذاتها، وقد حملا الدعوة نفسها، فشعار ابن سبأ كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٤).

وهؤلاء أصحاب الراسبي حين نزلوا حروراء جعلوا دعواهم: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(٥). وإذا كان زعيم الخوارج قد شهر بأنه من القراء، فإن صاحب الطبقات الكبرى(٦) يشير إلى أن ابن سبأ كان أحد القرّاء الذين صحبوا علياً(٧).

ويذهب الدكتور معروف إلى أبعد من هذا، حيث يجد أن ثمة توافقاً في النسب، بل يتعداه إلى التسمية والنسب، فيلاحظ ـ على حدّ قوله ـ أن نسبهما لا يختلف إلا في الجد الأعلى لكل منهما، فابن سبأ هو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني، وخليفة الخوارج هو عبد الله بن وهب الراسبي، الذي تردّه بعض المصادر أزدياً(٨)، وهمدان والأزد قبيلتان من القبائل السبئية اليمنية.

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٠٥.
(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٣١٦.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٨٩.
(٤) معروف: الخوارج، ص٥٧.
(٥) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠٨.
(٦) هو محمد بن سعد: (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ = ٧٨٤ ـ ٨٤٥م) بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله: مؤرخ، ثقة، من حفاظ الحديث، ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. الزركلي: الأعلام، ٦/ ١٣٦.
(٧) معروف: الخوارج، ص٥٧، نقلاً عن عقيدة الشيعة لرونلدسن، ص٥٩، وأشار الدكتور معروف أنه لم يعثر على ترجمة عبد الله بن وهب الراسبي في طبقات ابن سعد.
(٨) المبرد: الكامل، ٣/ ١٠٧٧، والمسعودي: التنبيه والإشراف، ص٣١٦.

فهل كان الراسبي أمير الخوارج الأول هو نفسه ابن سبأ اليهودي؟ أم أنه مجرّد اتفاق في التسمية والنسب والأهداف؟! ولولا أن بعض الروايات ذكرت أن الراسبي قتل يوم النهروان وأن ابن سبأ عاش إلى ما بعد مقتل علي، لداخلنا الشك بأنهما شخصية واحدة، خصوصاً وأن المقدسي[(١)] يروي لنا أن عبد الله بن وهب الراسبي عاد من النهروان قبل القتال[(٢)]. وإذا لم يكن رأس الخوارج هو نفسه رأس السبئية، فإنه كان أحد أركانها، حيث ذكر الذهبي[(٣)] أنه كان سبائياً[(٤)].

كما أن هناك من القرائن الأخرى ما يشير إلى احتمال صلة قادة الخوارج من السبئية باليهود، فقد ذكر المسعودي أن رسول الخوارج إلى علي يوم النهروان كان من يهود السواد وأنه حاول تضليل أمير المؤمنين حين أخبره أن الخوارج قد عبروا إلى طبرستان، فقال له علي: والله ما عبروا، ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه[(٥)].

ويلاحظ إيلي سالم أن حركات التمرّد الأولى التي قادها الخوارج كانت في العراق وفارس، حيث يوجد عدد كبير من اليهود[(٦)].

وهكذا بدا لنا أن رؤوس الخوارج ـ في بدء أمرهم ـ كانوا من المتمرّدين على عثمان ومن أنصار ابن سبأ، فهذا رأس الأزارقة نافع بن الأزرق لا يكتفي بإعلان

---

(١) المقدسي: (٠٠٠ ـ بعد ٣٥٥هـ = ٠٠٠ ـ بعد ٩٦٦م) مطهر بن طاهر المقدسي: مؤرخ، نسبته إلى بيت المقدس، دل تحقيق المستشرق «كليمان هوار» على أنه مصنف كتاب «البدء والتاريخ ـ ط» وكان المعروف أنه من تأليف أبي زيد أحمد بن سهل البلخي. وقال هوار: كان مطهر في «بست» من بلاد سجستان، وزاد بروكلمن أنه توفي فيها. وذكر الزركلي أنه لم يظفر له بترجمة. الزركلي: الأعلام، ٧/٢٥٣.

(٢) المقدسي: البدء والتاريخ، ٥/١٣٧.

(٣) الذهبي: (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ = ١٢٧٤ ـ ١٣٤٨م) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين، أبو عبد الله، حافظ، مؤرخ، علامة، محقق، تركماني الأصل، من أهل ميارفين، مولده ووفاته في دمشق الزركلي: الأعلام، ٥/٣٢٦.

(٤) الذهبي: العبر، ١/٣٢.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، ٢/٤١٦.

(٦) معروف: الخوارج، ص٥٨، نقلاً عن إيلي سالم.

خروجه على عثمان، بل يمتدح قتلته من المتمرّدين، وذلك حين يقول متباهياً: وقد حضرت قتل عثمان يوم قتل، وكان قاتلوه من المهتدين[(١)].

ولعلّ هذه الشبهات حول صلة الخوارج باليهود، هي التي جعلت أهل السنة يستحلُّون دماء الخوارج، فقال الجاحظ[(٢)] في ذلك: «لا تعرف فقيهاً من أهل الجماعة لا يستحلّ قتال الخوارج، كما أنّا لا نعرف أحداً منهم لا يستحلّ قتال اللصوص»[(٣)].

وانتهى الدكتور معروف إلى القول إن العلائق الوثيقة الخطيرة بين قادة الخوارج الأوائل وبين ابن سبأ وأنصاره، تجعلنا نميل إلى أن حركة الخوارج قد نمت وترعرعت في أحضان السبئية، وأنها إحدى ولائدها التي كانت تعمل في الظلام حتى تهيّأت لها الفرصة المؤاتية، فخرجت إلى ميدان العمل العلني بعد التحكيم.

ولم يفته أن يشير إلى ما لاحظه فلهوزن[(٤)] من أن الخوارج كانوا يشنّعون على خصومهم من الشيعة ويرمونهم بالسبئية[(٥)]، وذكر أن ذلك كان بعد أن تمّ الطلاق الحاسم بين الفريقين، وبخاصة حين رضي شيعة علي بمقاتلة الخوارج تحت راية الأمويين.

ورأى الدكتور معروف أن الخوارج بعد انكشاف هويتهم وإظهار عداوتهم لعلي، ثم اغتيالهم له، لم يعد من سبب ظاهر لإيقاع الشبهة عليهم بأنهم من السبئية، ولكن ستبقى هذه الشبهة تحوم حول الغلاة من الشيعة، الذين بلغوا منزلة سياسية كبيرة في

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/ ١٢١٨، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) الجاحظ: (١٥٥ ـ ١٦٣هـ = ٧٨٠ ـ ٨٦٩م) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة، فلج في آخر عمره، وكان مشوّه الخلقة، ومات والكتاب على صدره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٧٤.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ٣/ ١٣٠.

(٤) فلهوزن، يوليوس: (١٨٤٤ ـ ١٩١٨م) مستشرق ألماني، كان أستاذاً للعربية بجامعة جوتنجن، من بين مؤلفاته: «بقايا الوثنية العربية» و«الدولة العربية وانهيارها». الموسوعة العربية الميسرة، ١٣١٣/١.

(٥) نايف معروف: الخوارج، ص٥٩، نقلاً عن الخوارج والشيعة لفلهوزن، ص٢٥.

عهد المختار الثقفي[١] الكذاب، الذي جعل منهم حرساً خاصاً به[٢]. كما أن الأمويين وعمالهم كانوا يشنعون بهذه التهمة على خصومهم السياسيين، فقد كتب زياد بن أبي سفيان[٣] إلى معاوية بشأن تحرّك المعارضة في العراق، فألبسهم ثوب السبئية أيضاً[٤].

ومن هنا فقد كان من الطبيعي أن تنزع هوية السبئية عن الخوارج، لتلصق بغيرهم من غلاة الشيعة، أي لتعود إلى قطب رحاها الذي تسربلت به في بدء دعواها[٥].

وثمّة عوامل متعددة ساهمت في نشأة الخوارج منها:

العصبية القبلية ودورها في نشأة الخوارج:

وضع الإسلام حداً للعصبية القبلية، فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، إلا أن هذه العصبية التي قوّض الإسلام دعائمها فترة طويلة من الزمن، انطلقت من عقالها قوية لجبة في الفترة التي أعقبت مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

ويرى أستاذي الدكتور نايف معروف[٦] أن العصبية القبلية كان لها دورٌ كبير في التمهيد لظهور الخوارج، وفي استمرار وجودهم لسنوات طويلة بعد ظهورهم فقال ما نصه: «كما كان للعصبية أثر كبير في كثير مما وقع من أحداث في تاريخ صدر

---

(١) المختار بن أبي عبيد: (١ ـ ٦٧هـ = ٦٢٢ ـ ٦٨٧م) بن مسعود الثقفي، أبو إسحاق: من زعماء الثائرين على بني أمية، وأحد الشجعان الأفذاذ من أهل الطائف، انتقل منها إلى المدينة مع أبيه في زمن عمر، وتوجه أبوه إلى العراق فاستشهد يوم الجسر، وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم، كان مع علي بالعراق، ولما قتل «الحسين» سنة ٦١هـ، انحرف عن عبيد الله بن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وحبسه وجلده، ونفاه بشفاعة عبد الله بن عمر، تتبع المختار قتلة الحسين، فقتل منهم عدداً، وشاعت في الناس أخبار عنه بأنه ادّعى النبوة ونزول الوحي عليه، اشتدت شوكته في العراق، فوجه إليه عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير، فنشبت بينهما وقائع انتهت بقتله ومن معه في الكوفة. الزركلي: الأعلام، ٧/ ١٩٢، بتصرف.

(٢) نايف معروف: الخوارج، ص٥٩، نقلاً عن الدولة العربية وسقوطها ص٥٧، لفلهوزن.

(٣) زياد بن أبي سفيان: (١ ـ ٥٣هـ = ٦٢٢ ـ ٦٧٣م) أمير من الدهاة القادة الفاتحين، الولاة، كان خطيباً مفوهاً، ولدته أمه سمية (جارية الحارث بن كلدة الثقفي) في الطائف، مات ولم يخلف غير ألف دينار. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٥٣.

(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ٢٢٨.

(٥) نايف معروف: الخوارج، ص٥٩.

(٦) نايف معروف: الخوارج، ص٢٦.

الإسلام، فقد كان لها أثر مماثل في التمهيد لنشأة الخوارج وفي استمرار وجودهم لسنوات طويلة بعد ظهورهم. ولعلّ أول موقف خطير تمثلت فيه العصبية الجاهلية، وأسهم في تعزيز أمر الخوارج فيما بعد، كان موقف الأشعث بن قيس من اختيار ممثّل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الحكومة، حين اعترض على ترشيح عبد الله بن عباس[١] قائلاً: لا والله، لا يحكم فيها مضريّان حتى تقوم الساعة[٢].

ولما لفت عليّ نظره وحذّره من تكليف أبي موسى الأشعري[٣]، قدّم عصبيته اليمنية على الراية التي يحارب تحت ظلالها، وقال: والله لأن يحكمان ببعض ما نكره، وأحدهما من أهل اليمن أحب إلينا من أن يكون بعض ما نحب في حكمهما وهما مضريان[٤].

ولعلّ أصدق برهان على نزعة الخوارج القبلية، وعصبيتهم الموجهة ضدّ قريش وسلطانها، أننا لا نجد في صفوفهم - لفترة طويلة من تاريخ وجودهم - قرشياً واحداً، بل على العكس من ذلك، فإنهم كانوا يحملون لواء التمرد على قيادتها، فقد ناظرهم عبد الله بن عباس عند نزولهم حروراء، فقلب حجتهم عليهم، وكاد أن يوقع بينهم، فإذا فريق منهم يقولون لأولئك الذين بدا عليهم أنهم أخذوا بقول ابن عباس: لا تجعلوا احتجاج قريش حجّة عليكم، فإن هذا من القوم الذين قال الله عزّ وجل فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرُف: ٥٨][٥].

---

(١) عبد الله بن عباس: (٣ق هـ = ٦٨ - ٦١٩م) بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٩٥.

(٢) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٧، ابن مزاحم: وقعة صفين، ص٥٠٠، اليعقوبي: تاريخ، ٢/ ١٨٩، والمسعودي: مروج الذهب، ٢/ ٤٠٢.

(٣) أبو موسى الأشعري: (٢١ق هـ - ٤٤هـ = ٦٠٢ - ٦٦٥م) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ابن حرب، من بني الأشعر، من قحطان: صحابي من الشجعان الولاة الفاتحين، ولد في زبيد (باليمن) وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم استعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧هـ فافتتح أصبهان والأهواز، ولما ولي عثمان أقرّه عليها، ولما قتل عثمان وحدثت الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما اعتزل الفريقين، وكان يحضّ الناس على عدم المشاركة فيها. توفي في الكوفة. الزركلي: الأعلام، ٤/ ١١٤.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص٥٠٠.

(٥) المبرّد: الكامل، ٣/ ١٠٨٠.

ويبدو أن الخوارج لم يتخلُّوا عن عصبيتهم المضادة لقريش فيما بعد، ففي مرحلة متقدّمة من العصر الأموي، تمكن الضحاك بن قيس الشيباني[١] الخارجي من العراق لفترة قصيرة من الزمن، وقد بايع له عبد الله بن عمر بن عبد العزيز[٢] وسليمان بن هشام بن عبد الملك[٣]، فجاء شاعر الخوارج يسجّل ذلك نصراً لبكر على قريش، وذلك حين يقول:

ألـــم تـــرَ أن الله أظـــهـــر ديـــنـــه   وصلّت قريش خلف بكر بن وائل

وهذا شاعر آخر من شعرائهم يكشف عن نزعته العصبية وعداء الخوارج المستمرّ لقريش، فيقول متوعداً عبد الملك بن مروان[٤]:

فـإنـك إلاّ تـرض بـكـر بـن وائـل   يـكـن لـك يوم بـالـعـراق عـصـيـب

---

(١) الضحّاك بن قيس الشيباني: وهو آخر من كان خرج من ناحية الجزيرة في جمع من الخوارج حتى أتى الكوفة وبها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عاملاً عليها، فحاربه عنها فهزمه الضحاك وطعن بالكوفة، ثم سار إلى مروان بن محمد وأقبل مروان إليه فالتقيا بكفرتوثا سنة ثمان وعشرين ومائة في صفر، فقتل الضحاك وخلف مكانه الخيبري. ابن قتيبة: المعارف، ص٢٣٣.

(٢) عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان ابن عم الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، ولي الكوفة ليزيد بن الوليد، قتل غيلة في سجن مروان بن محمد، وقيل: بل مات في السجن من وباء وقع بحرّان، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣١/٢١٦ ـ ٢٢٣.

(٣) سليمان بن هشام بن عبد الملك: (٠٠٠ ـ ١٣٢هـ = ٠٠٠ ـ ٧٥٠م) بن مروان، من بني أمية، أمير، نشأ في دمشق، وغزا في زمن أبيه أرض الروم، وافتتح إحدى مدنها، ولما مات أبوه حبسه الوليد بن يزيد، فلما قتل الوليد خرج من السجن، وولاه يزيد بن الوليد بعض حروبه، ولما ظهر مروان بن محمد جمع سليمان جيشاً وطمع في الخلافة، فهزمه مروان، فلحق بالضحاك بن قيس الخارجي وهو في نصيبين بعدد كبير من أهله ومواليه، ولما قتل الضحاك (سنة ١٢٨هـ) وانتقل أمر أصحابه إلى الخيبريّ ثم إلى شيبان الحروري، كان سليمان من رجالهما، وتزوج أختاً لشبيب، وقتل الخيبري، ولجأ شيبان إلى عُمان، فرحل سليمان بمن معه إلى السند، ولما ولي السفاح «العباسي» الخلافة أقبل عليه سليمان، فأمر به السفاح فقتل. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٧٧.

(٤) عبد الملك بن مروان: (٢٦ ـ ٨٦هـ = ٦٤٦ ـ ٧٠٥م) بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد: من أعاظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة، فقيهاً واسع العلم، متعبداً ناسكاً، وشهد يوم الدار مع أبيه، واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة ٦٥هـ)، فضبط أمورها وظهر بمظهر القوّة، فكان جباراً على معانديه، قوي الهيبة، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج الثقفي، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وأول من نقش بالعربية على الدراهم، توفي في دمشق. الزركلي: الأعلام، ٤/ ١٦٥.

فلا ضير إن كانت قريش عبدى لنا يـصـيـبـون مـنـا مـرّة ونـصـيـب[(١)]

ونشهد مظهراً آخر من مظاهر حقد الخوارج على قريش، وذلك حين تمكن أبو حمزة[(٢)] الخارجي من هزيمة أهل المدينة في وقعة قديد، فإنه فتك بقريش فتكاً ذريعاً حتى قال أحدهم: الحمد لله الذي أقرّ عيني بمقتل قريش[(٣)].

ويبدو ـ من خلال الرواية ـ أنه كان متعاطفاً مع الأنصار فكان يعفو عنهم.

القرّاء ودورهم في نشأة الخوارج:

القرّاء هم جماعة من المسلمين امتازوا بجودة قراءتهم للقرآن، حفظاً وتلاوة، فكانوا يعلّمون الناس، وصار لهم منزلة كبيرة في نفوس المسلمين، وقد اتخذوا لهم شارة وتبرنسوا، فصاروا يعرفون بأصحاب البرانس.

ويجب على القارىء الكريم أن يدرك ابتداء أن القراء جماعة غير الخوارج؛ وذلك أنه نظراً لاقتران ذكرهم ببداية ظهور الخوارج، فإن الكثيرين يخلطون بينهما، حتى ليظنّ القارىء ـ للوهلة الأولى ـ أنهما شيء واحد.

ويرى بعض الباحثين أنه كان للقراء دورٌ في ظهور فرقة الخوارج، ويرى آخرون أنهم يمثلون التربة التي نبتت فيها[(٤)].

ويتراءى دور القراء بوضوح، عند الإعداد لحرب صفّين، حيث برزوا كجماعة لها دورها العسكري والسياسي، فحين عقد عليّ ألوية جيشه، جعل مسعر بن فدكي التميمي على قرّاء أهل البصرة، كما أن قرّاء أهل الكوفة صاروا إلى عبد الله بن بديل[(٥)] وعمّار بن ياسر[(٦)].

---

(١) نايف معروف: الخوارج، ص٢٨.

(٢) أبو حمزة الخارجي: (٠٠٠ ـ ١٣٠هـ = ٠٠٠ ـ ٧٤٨م) المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السليمي البصري: ثائر فتاك، من الخطباء القادة، ولد بالبصرة، وأخذ بمذهب الإباضية. الزركلي: الإعلام، ٧/ ١٩٢.

(٣) الطبري: تاريخ، ٤/ ٣٢٨، ابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٣١٤، وابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/ ٣٥.

(٤) نايف معروف: الخوارج، ص٢٩، ٣٠.

(٥) عبد الله بن بديل: (٠٠٠ ـ ٣٧هـ = ٠٠٠ ـ ٦٥٧م) بن ورقاء الخزاعي، صحابي، كان من الدهاة الفصحاء، انتهت إليه السيادة في خزاعة، أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً والطائف وتبوك، وقاتل مع علي بصفين، فكان قائد الرجالة، ولم يزل يضرب حتى انتهى إلى معاوية، فأزاله عن موقفه، فتكاثر عليه أصحاب معاوية، فقتل. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٧٣.

(٦) الطبري: تاريخ، ٣/ ٨٢.

وفي الوقت نفسه نجد عبيدالله بن عمر بن الخطاب[١] على أربعة آلاف من قرّاء أهل الشام[٢].

وفيما بعد نراهم ـ من كلا المعسكرين ـ يسعون لمنع الاقتتال بين المسلمين في صفين، حيث قاموا بالفصل بين الجيشين المتحاربين طيلة ثلاثة أشهر[٣].

وحين رفع أهل الشام المصاحف، جاءت عصابة من القراء وعلى رأسهم مسعر بن فدكي التميمي، وزيد بن الحصين الطائي إلى عليّ يطلبون منه الاستجابة لحكم القرآن، ووصل بهم الأمر إلى تهديده بالقتل إذا لم يستجب لمطلبهم[٤].

ثم نجد القراء يتخذون خطوة أخرى في سبيل إنهاء القتال، وذلك حين قعدوا بين العسكرين وأخذوا يتدارسون كتاب الله، وفي آخر الأمر يتفقون على الاحتكام إلى القرآن[٥].

ثم نراهم يتدخلون في اختيار ممثل عليّ في الحكومة، ويفرضون عليه أبا موسى الأشعري[٦].

وبعد ذلك يأتيه فريق منهم في طليعتهم عبد الله بن وهب الراسبي، فيعترضون على قبوله بمبدأ التحكيم، ويطلبون إليه استئناف القتال ضد معاوية[٧].

ويُعلّق الدكتور نايف معروف على هذا السلوك العجيب والمتناقض الذي سجله الخوارج بقوله: «ولعلّ هذا يشير إلى أن الأمور لم تكن تسير على خير ما يرام في

---

(١) عبيد الله بن عمر بن الخطاب: (٠٠٠ ـ ٣٧هـ = ٠٠٠ ـ ٦٥٧م) العدوي القرشي: صحابي، من أنجاد قريش وفرسانهم، ولد في عهد رسول الله ﷺ، وأسلم بعد إسلام أبيه، ثم سكن المدينة، وغزا إفريقية مع عبد الله بن سعد، ورحل إلى الشام في أيام علي، فشهد صفين مع معاوية، وقتل فيها. الزركلي: الأعلام، ٤/ ١٩٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٩٦.

(٣) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٣٠.

(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠١.

(٥) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٧.

(٦) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠٢، وابن مزاحم: وقعة صفين، ص٤٩٩.

(٧) الإمامة والسياسة، ١/ ١٤٧، ١٤٨.

معسكر عليّ، وأن أناساً كانوا يضمرون العداوة لأمير المؤمنين، وقد تجلببوا بجلابيب التقوى، وتسلّلوا إلى مكان الصدارة بين أصحابه، صاروا يعملون على إحراجه في المواقف الحاسمة المصيرية»[١].

تتراءى من خلال هذه المواقف شخصية القراء بوضوح، حيث تبدو متردّدة متناقضة، لا تعرف الحزم، ولا تجيد السياسة، ولا تحسن التعاطي مع المواقف، إنما تتعامل بردّات الفعل على أساس مزاجي، كما تظهر أنهم كانوا متعددي الآراء والأهواء، حيث نجد عصبة منهم يطلبون إلى عليّ وقف القتال، ويصرُّون على الالتزام به تمهيداً لتحكيم القرآن، بينما نجد عصبة أخرى منهم يطلبون الاستمرار في القتال، ويصرُّون على تحكيم السيف في رقاب خصومهم[٢].

وأخيراً وبعد قبول علي بمبدأ التحكيم وعودته من صفين، خرج عليه الخوارج، وانحازوا إلى حروراء.

ولم تخل أخبار هذه الفترة من الاضطراب، حيث إن بعض المصادر تجعل الخوارج الذين خرجوا إلى حروراء من القرّاء على نحو ما فعله الحافظ ابن كثير، وصاحب كتاب الإمامة والسياسة[٣]، وذلك خلاف ما ذهب إليه شيخ المؤرخين الطبري وابن الجوزي[٤].

وعلى الأرجح أنهم كانوا خليطاً من القرّاء وغيرهم[٥].

ولعله من الصعب التعرف على هوية الخوارج الحقيقية في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ ظهورهم كقوة فاعلة على مسرح الحياة الإسلامية، فلا بدّ أن تكون هذه الحركة قد جرفت في عسكرها كثيراً من المؤمنين الصادقين من القرّاء، الذين أدخل

---

(١) نايف معروف: الخوارج، ص٣٢.
(٢) ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦١.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٩، والإمامة والسياسة، ١/ ١٤٧.
وتجدر الإشارة إلى أن كتاب الإمامة والسياسة نسب زوراً وبهتاناً لابن قتيبة.
(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ١١٣ ـ ١٢١، وابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٥.
(٥) المسعودي: مروج الذهب، ٢/ ٤٠٥.

في روعهم أنهم أنصار الحق، وحفّاظ القرآن، فقد كان فيهم من قرّح جباههم السجود(١).

دور السبئية في نشأة الخوارج:

كان للسبئية دورٌ كبير في ظهور الخوارج، وهم الذين فعلوا ما فعلوه بالإسلام وأهله من دسائس ومؤامرات، اكتوى المسلمون ولا يزالون يكتوون بنارها، وكان من أهمّها تأليب أهل الآفاق على أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وخاصة أهل مصر والعراق، حيث انتهت هذه المؤامرة الدنيئة بقتله وهو يتلو القرآن.

وقد أخفق كثير من الباحثين في قراءة أحداث هذه الفترة العصيبة من التاريخ الإسلامي، زاعمين أن ما جرى كان عبارة عن حركات معارضة قادها بعض الصحابة ضدّ الخليفة لأشياء نقموها عليه، ولا شيء يصح مما ذكروه في هذا الصدد.

إن المتتبع لأحداث هذه الفترة، يشعر بأن يداً خفية كانت تقف وراءها، ثمّ تشعل الفتيل إذا قدح الشرر.

ولكي نفهم العلاقة التي تربط السبئية بالخوارج، لا بدّ أن نحسن قراءة أحداث الخلافة زمن عثمان، لقد كانت الجبهة الداخلية مستقرة في خلافة الشيخين، إلا أن الفتن بدأت تلقي بهمومها وكلكلها على الخلافة الإسلامية زمن ذي النورين عثمان، وقد ذرّ الشيطان قرنه في الكوفة، حينما بدأ أهلها يتذمّرون من ولاتهم، فكان الخليفة ينزل عند رغبتهم، ويغيّر ولاتهم واحداً بعد آخر، إلى أن استعمل على الكوفة سعيد بن العاص(٢)، فسأل عن أهلها، ووقف على حالهم، ثم أخبر عثمان باضطراب أمرهم، وأن أهل الشرف والبيوتات والسابقة غُلبوا على أمرهم، وأن الغالب على تلك البلاد روادف قدمت وأعراب لحقت، فكتب إليه عثمان أن يفضل أهل السابقة، فأرسل سعيد إلى أهل القادسية، فطلب إليهم أن يبلغوه بحاجة ذوي الحاجة، وكثر اللغط في الكوفة، ففشت القالة فيها بالقدح في ولاة عثمان وفيه لتوليته إيّاهم.

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/ ٢٣٢، لمزيد من التفصيل انظر كتاب الخوارج للدكتور نايف معروف، ص٥٦.

(٢) سعيد بن العاص: (٣١ ـ ٥٩هـ = ٦٢٤ ـ ٦٧٩م) بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين، استعمله عثمان على الكوفة ثم عزله بعد مدة، استعمله معاوية على المدينة، فتولاها إلى أن مات. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٩٦.

وبدأت الأوضاع في الكوفة تزداد سوءاً واضطراباً، كلّما كره أهلها والياً أقاله عثمان وعيّن آخر مكانه، إلى أن عزل سعيد بن العاص، وولّى مكانه أبا موسى الأشعري نزولاً عند رغبتهم، وكتب إليهم: أما بعد، فقد أمّرت عليكم من اخترتم، وأعفيتكم من سعيد، ووالله لأقرضنكم عرضي، ولأبذلنّ لكم صبري، ولأستصلحنكم بجهدي، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتموه، ولا شيئاً كرهتموه ولا يعصى الله فيه إلا ما استعفيتم منه أنزل فيه عندما أحببتم، حتى لا يكون لكم على الله حجة، ولنصبرن كما أمرنا حتى تبلغوا ما تريدون.

غير أن هذه المعاملة التي عاملهم بها أمير المؤمنين لم تزدهم إلا غلوًّا وانحرافاً، فواصلوا حملتهم الشعواء على ولاة الأمصار، ثم راحوا يؤلّبون الناس على عثمان، ويشيرون إليه بأصابع الاتهام، زاعمين أنه خالف سنة الشيخين، وأنه أدنى إليه أقاربه، وهم الظالمون في ذلك، وهو البّار الراشد المفترى عليه رضي الله عنه.

وخلاصة ما جرى، أنه مع حلول السنة الرابعة والثلاثين، بدأت الفتنة تذرّ قرنها في بعض الأمصار، وكان جمهور المنحرفين عن طاعة عثمان من أهل الكوفة، وقد ثار بعضهم على سعيد بن العاص، وتألبوا عليه، ونالوا منه ومن عثمان، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما نسب إليه من مطاعن واتهامات، وأغلظوا له في القول، وطلبوا إليه أن يعزل عماله ويستبدل بهم غيرهم، حتى شقّ ذلك عليه، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم.

دور الحركة السبئية في هذه المؤامرة:

خبت جذوة اليهود بعد الضربات التي تعرضوا لها في جزيرة العرب، بسبب خيانتهم ومكرهم، ونقضهم للعهود والمواثيق التي كانت تربطهم برسول الله ﷺ، وبرغم الدسائس والمؤامرات التي ما فتئوا يحيكونها ضد الإسلام والمسلمين من وراء الكواليس، إلا أنهم لم ينجحوا في استعادة أمجادهم الغابرة.

ومنذ ذلك الحين، لم يسجّل التاريخ لليهود أي نشاط يذكر؛ لأن الدولة الإسلامية كانت قوية متماسكة، والمسلمون متراصّون.

إن أول نشاط ظهر بعد طرد اليهود من جزيرة العرب، اتّسم بالتنظيم والتخطيط، كان على يد اليهودي الماكر، عبد الله بن سبأ، الذي أظهر الإسلام، ثم راح يتنقّل في الديار الإسلامية، باثًّا ضلالاته وشبهاته، حتى انتهى به المقام في مصر، حيث أظهر القول بالرجعة[١]. وأظهر القول بالوصاية، فزعم أن علياً رضي الله عنه وصيّ رسول الله ﷺ، وأن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، وراح يبثّ عملاءه في أنحاء العالم الإسلامي، وطلب إليهم أن يحرّكوا هذا الأمر، ويظهروا الطعن في أمرائهم، وأن يظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليستميلوا الناس إلى دعوتهم المشبوهة، فوجدوا لهم أنصاراً كثيرين من ضعاف الإيمان[٢].

ونجحوا أخيراً في الخروج من جحورهم، وأقبلوا إلى المدينة مظهرين الحج، فخرج المصريون في خمسمائة عليهم الغافقي بن حرب العكي[٣]، وخرج أهل الكوفة في عداد أهل مصر، وفيهم الأشتر النخعي[٤]، وأهل البصرة وفيهم حُكَيْم بن جبلة العبدي[٥]، وهم في عداد أهل مصر فنزلوا على مقربة من المدينة، ويبدو أنهم أخفقوا

(١) كان يقول لعنة الله عليه: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القَصَص: ٨٥]، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. الطبري: تاريخ، ٢/ ٦٤٧.

(٢) الطبري، تاريخ، ٢/ ٦٤٧، وابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٧٧، ٧٨.

(٣) الغافقي بن حرب العكّي: لم أظفر له بترجمة، وقال محب الدين الخطيب أنه من أبناء وجوه القبائل اليمنية التي نزلت مصر عند الفتح، فلما تظاهر ابن سبأ بالتشيع لعلي، ولم يجد مرتعاً لفساده في الحجاز ولا في الشام، اكتفى باصطناع بعض الأعوان في البصرة والكوفة، واختار الإقامة في الفسطاط، فكان الغافقي هذا من قنائصه، وقد استمالوه من ناحية تهافته على الرئاسة والجاه. من تعليقات محب الدين الخطيب النفيسة على العواصم من القواصم ص١١٢.

(٤) الأشتر النخعي: (٠٠٠ ـ ٣٧هـ = ٠٠٠ ـ ٦٥٧م) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، المعروف بالأشتر: أمير من كبار الشجعان، كان رئيس قومه، أدرك الإسلام، سكن الكوفة، وشهد اليرموك، وذهبت عينه فيها، وكان ممن ألّب على عثمان وحضر حصره في المدينة، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي، وولاه علي مصر فقصدها، فمات في الطريق. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٢٥٩.

(٥) حكيم بن جبلة: (٠٠٠ ـ ٣٦هـ = ٠٠٠ ـ ٦٥٦م) العبدي، من بني عبد القيس، صحابي، كان شريفاً مطاعاً، من أشجع الناس، ولاه عثمان إمرة السند، ولم يستطع دخولها فعاد إلى البصرة، واشترك في الفتنة أيام عثمان، ولما كان يوم الجمل (بين علي وعائشة) أقبل في ثلاث مئة من بني عبد القيس وربيعة، فقاتل مع أصحاب علي، وقتل في هذه الوقعة. الزركلي: الأعلام، ٢/ ٢٦٨.

في إقناع كبار الصحابة برغبتهم في إقالة الخليفة، فعادوا مظهرين للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم، وساروا أياماً راجعين، ثم كرُّوا عائدين إلى المدينة، فأحاطوا بدار عثمان، وأقبل عليهم الصحابة يسألونهم عن سبب رجوعهم، فأخبروهم باكتشاف كتاب من عثمان إلى والي مصر بقتلهم، فقال لهم علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة، ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل، ثمّ طويتم نحونا؟! هذا والله أمر أبرم بالمدينة، فقال المتمردون العراقيون بلسان رؤسائهم: فضعوه على ما شئتم، لا حاجة لنا إلى هذا الرجل، ليعتزلنا. ويبدو واضحاً من خلال كلام أمير المؤمنين علي أن قصة الكتاب كانت مصطنعة، ومن المؤكد أن عملية تزوير الكتب بتدبير من السبئية كان لها دور بارز في هذه الأحداث، وقد كانوا يكتبون على لسان أمهات المؤمنين إلى الأمصار بالشكوى من حكم عثمان(١).

وليس أدلّ على ذلك ممّا ذكره الباقلاني(٢)، أن أحد المتمردين اقتحم بسيفه دار عثمان يريد قتله، فلما رأى هيبته وسمع قراءته للقرآن أحجم عنه وعاد مذعوراً، فقال له عثمان: ما لك رحمك الله؟! قال: إنا جئنا لقتلك، فإن القوم كتبوا لنا أنك كفرت وارتددت، وما أراك إلا إماماً صالحاً قوّاماً(٣).

وقد تمخضت هذه الحركة الخبيثة عن مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، على أيدي السبئية ومن شايعهم من المتمردين الذين نقموا عليه بغير حق، وقد حاصروه حصاراً شديداً، حتى منعوه الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، فانبرى عدد كبير من أهل المدينة، وفيهم أبناء كبار الصحابة ليذبوا عنه، فأمرهم بالانصراف، فانصرفوا إلا قليلاً منهم، ثم منع المتمردون الناس عن مخالطة عثمان ومكالمته، ولما خافوا أن يطول عليهم الأمر فتأتيهم جنود الأمصار، اقتحموا باب الدار، فقاتلهم جمع من أبناء الصحابة، وعزم عثمان عليهم أن يكفُّوا عن القتال، وخبّرهم أنهم في حلّ من

---

(١) أشار القاضي أبو بكر بن العربي إلى مسألة تزوير الكتب في هذه الفتنة، على لسان أم المؤمنين عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين وعلي وعثمان وغيرهم في كتابه العواصم من القواصم، ص٥٩ و١٠٩ و١٢٨ و١٣٦.

(٢) الباقلاني: (٣٣٨ ـ ٤٠٣هـ = ٩٥٠ ـ ١٠١٣م) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد بالبصرة وسكن بغداد فتوفي فيها، الزركلي: الأعلام، ٦/ ١٧٦.

(٣) الباقلاني: التمهيد، ص٢١٥، ٢١٦.

نصرته، فأحرق المتمرّدون الباب، ودخلوا عليه وهو يقرأ القرآن، فلم يشغله ما رأى عن تلاوته، ثم دخل على عثمان الذين كتب عليهم الشقاوة فقتلوه، قتلهم الله، ظلماً من عند أنفسهم، في الشهر الحرام، في البلد الحرام، فكان أول قطرة من دمه الشريف سقطت على قوله تبارك وتعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٣٧][١] وكان قتله رضي الله عنه لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة[٢].

وهكذا نجحت السبئية في تنفيذ هذه المؤامرة التي لم تتوقف عند مقتل عثمان، حيث ذرّ الشيطان قرنه في المجتمع الإسلامي الفتي، ووجد أبناء الأفاعي لهم فيه موطىء قدم، وبين أتباعه من يصغي إلى شبهاتهم وأضاليلهم، وقد يتبنّاها ويروّج لها بحسن نية[٣].

وممّا يؤكد صلة السبئية بهذه المؤامرة، أن سودان بن حمران المرادي كان أول من أسال دم الخليفة[٤]، وكان من صنائع عبد الله بن سبأ، ولما أرسل أمير المؤمنين عثمان عمار بن ياسر[٥] إلى مصر ليكتشف له مصدر الإشاعات الكاذبة وحقيقة الحال، استمال السبئيون عمّاراً، وكان سودان بن حمران واحداً منهم[٦].

وفي رواية أن اللذين توليا قتل الخليفة المفترى عليه هما: سودان بن حمران، وكنانة بن بشر التجيبي، وكلاهما من متمرّدي مصر الذين جهزهم ورافقهم ابن السوداء[٧].

---

(١) أخرجه أبو داود في المصاحف، ١/ ١٥٥، رقم الأثر (١).

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: قراءة في سيرة الخلفاء الراشدين للمؤلف.

(٣) على نحو ما فعله أبو ذر الغفاري رضي الله عنه زمن معاوية، حيث جعل دينه وديدنه تقريع عمّال عثمان، لتوسعهم في المركب والمأكل والملبس، وإنكاره على الأغنياء، ودعوته لهم إلى مشاركة الفقراء بأموالهم. انظر العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي، ص٧٤.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، القسم الرابع، ٤/ ٥٧٤.

(٥) عمار بن ياسر: (٥٧ق هـ ـ ٣٧هـ = ٥٦٧ ـ ٦٥٧م) بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان: صحابي، من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به، هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان، ولاه عمر الكوفة، فأقام زمناً وعزله عنها، وشهد الجمل وصفين مع علي، وقتل في الثانية. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٣٦.

(٦) المسعودي: مروج الذهب، ٢/ ٣٥٥.

(٧) الطبري: تاريخ، ٢/ ٦٤٨.

فالذين خلعوا عصا الطاعة في هذه المحنة، ورفعوا راية العصيان، وساروا في ركاب الشيطان، وفتحوا باب الشرّ على هذه الأمة إلى قيام الساعة، لم يكونوا من الصحابة، ولم يقصدوا وجه الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما زعموا، «وإذا نظرت إليهم دلّك صريح ذكرهم على دناءة قلوبهم وبطلان أمرهم»[١].

وتبدو الصلة وثيقة بين السبئية والخوارج من خلال الشعار الذي جمع بينهما وهو إظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكي نفهم الصلة بين السبئية والخوارج، يحسن بنا أن نتعرف على أبرز قادة الفتنة الذين حاكوا خيوط المؤامرة، وصنعوا فصولها، ممّن كان لهم دور في نشأة الخوارج بعد ذلك.

١ ـ سودان بن حمران:

أمّا سودان بن حمران هذا، فقد أكد الطبري أنه كان من أتباع عبد الله بن سبأ، ولمّا سيّر السبئيون متطوّعة الفتنة في أوشاب القبائل اليمانية التي في مصر في شوّال سنة ٣٥هـ نحو المدينة، وجعلوا أربع فرق، كان سودان قائد إحدى هذه الفرق[٢].

ولمّا وصل هؤلاء إلى المدينة، وخرج محمد بن مسلمة[٣] ليعظم لهم حق عثمان وما في رقابهم من البيعة له رآهم ينقادون لأربعة هذا واحد منهم[٤].

ويصف الطبري كيف تسوّر سودان هذا ومعه آخرون من دار عمرو بن حزم[٥] إلى دار عثمان، كما يضيف بعض التفاصيل حول ما وقع عند ارتكابهم الجناية العظمى[٦].

---

(١) أبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم، ص١١١.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٦٤٨، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٧٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ١٧٣.

(٣) محمد بن مسلمة: بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الأوسي، ولد على عهد النبي ﷺ، شهد فتح مكة وما بعدها إلا غزوة تبوك، فإنه تخلّف عنها بإذن من النبي ﷺ له أن يقيم في المدينة، توفي سنة ست وأربعين وهو ابن سبع وسبعين سنة. ابن حجر: الإصابة، ٣/ ٣٨٣.

(٤) الطبري: تاريخ، ٢/ ٦٦٥.

(٥) عمرو بن حزم: (٠٠٠ ـ ٥٣هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٣م) بن زيد بن لوذان الأنصاري، أبو الضحاك: وال من الصحابة، شهد الخندق وما بعدها، استعمله النبي ﷺ على نجران. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٧٦.

(٦) الطبري: تاريخ، ٢/ ٦٧٦ و٦٧٧، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٩٠، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ١٨٨.

٢ ـ عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي:

ذكر الطبري أن الأخنس بن شريق[١] حليف بني زهرة، خرج هو وعبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وغيرهم، يدافعون عن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، حينما اقتحم الثوار داره، فحمل عبد الله بن بديل بن ورقاء على الأخنس بن شريق فقتله[٢].

وقد كان أحد القادة في جيش المتمردين كما جاء في إحدى الروايات[٣]، وكان جماع أمر المتمردين الذين أقبلوا من مصر إليه كما جاء في رواية أخرى[٤].

وثمّ اضطراب قد وقع فيه الطبري وغيره حول هذا الرجل، فتارة يسميه أبا عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي[٥]، وتارة يطلق عليه اسم عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي[٦]، وتارة أخرى يطلق عليه اسم عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي[٧]، ويضيف قائلاً بأن عمراً هذا كان من أصحاب النبي ﷺ[٨].

وعمرو هذا غير معدود في الصحابة، إنما الصحابي هو عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، أسلم مع أبيه بديل عام الفتح[٩]، وحضر صفين مع علي رضي الله عنه، واستشهد فيها وهو ابن أربع وعشرين سنة، وكان صبياً صغيراً زمن عمر رضي الله عنه[١٠]، فكيف تسنّى له أن يقود جيشاً عرمرماً زمن عثمان؟!

---

(١) الأخنس بن شريف الثقفي: بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، أبو ثعلبة، حليف بني زهرة، أسلم بعد وقعة بدر، وكان من المؤلفة قلوبهم. ابن حجر: الإصابة، ١/٢٦، وابن الأثير: أسد الغابة، ١/٥٦.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/٦٧٠، ٦٧١.

(٣) الطبري: تاريخ، ٢/٦٥٢.

(٤) المرجع نفسه، ٢/٦٦٣، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/١٧٠.

(٥) الطبري: تاريخ، ٢/٦٥٢.

(٦) المرجع نفسه، ٢/٦٧٠.

(٧) المرجع نفسه، ٢/٦٦٣، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/١٧٠.

(٨) الطبري: تاريخ، ٢/٦٦٣.

(٩) ابن حجر: الإصابة، ٢/٢٨١.

(١٠) المرجع نفسه، ٢/٢٨١، والطبري: تاريخ، ٢/٥٣١.

معاوية ودوره في نشأة الخوارج:

يرى بعض الباحثين أن ثمة دوراً قام به معاوية من وراء الكواليس، كان له أثر بارز في نشأة الخوارج، فذكروا في هذا الصدد، أن يد معاوية لعبت فأحدثت الانقسام في جيش علي وسببت ظهور الخوارج[١].

والذين ذهبوا هذا المذهب استندوا إلى رواية ضعيفة، لا تقوى على التحقيق، التقطوها من تاريخ اليعقوبي[٢]، مفادها أن أهل الشام لما رفعوا المصاحف قال عليّ: إنها مكيدة وليسوا بأصحاب قرآن، فاعترض الأشعث بن قيس الكندي ـ وقد كان معاوية استماله وكتب إليه ودعاه إلى نفسه ـ فقال لعليّ يحضّه على قبول الصلح: قد دعانا القوم إلى الحق[٣].

كما نقلوا عن الإمامة والسياسة أيضاً أن معاوية أرسل عتبة بن أبي سفيان[٤] إلى الأشعث وقال له: أَلِن إلى الأشعث كلاماً فإنه إن رضي بالصلح رضيت به العامة، فناداه عتبة وكلمه[٥].

وزعم الدكتور أحمد شلبي[٦] أن تاريخ معاوية وذكاءه ودهاءه تجعل من الأقرب أنه لم يكتفِ برفع المصاحف، بل هيأ في جيش علي من يقبل هذه الخدعة، وللدلالة على ذلك فإنه ينقل ما ذكره المستشرقون في هذا الصدد، أن الأشعث مثل دور الخيانة

(١) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٢٥٧.

(٢) اليعقوبي: (٠٠٠ ـ بعد ٢٩٢هـ = ٠٠٠ ـ بعد ٩٠٥م) أحمد بن إسحاق (أبو يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح من أهل بغداد، مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، اختلف المؤرخون في سنة وفاته. الزركلي الأعلام، ١/ ٩٥.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ٢/ ١٨٩.

(٤) عتبة بن أبي سفيان: (٠٠٠ ـ ٤٤هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦٤م) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أمير مصر، وليها من قبل أخيه معاوية، فقدمها سنة ٤٣هـ، ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطاً، وتوفي بها، كان عاقلاً فصيحاً مهيباً، شهد مع عثمان يوم الدار، وشهد يوم الجمل مع عائشة، وفقئت عينه. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٢٠٠، ٢٠١.

(٥) الإمامة والسياسة، ١/ ١٣٦.

(٦) الدكتور أحمد شلبي: من أهالي مصر، تلقى دراساته في الأزهر وفي كلية دار العلوم (جامعة القاهرة) وفي لندن وجامعة كمبردج، درس مجموعة من اللغات الأجنبية، اشتغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصل إلى درجة أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، كتب بعض مؤلفاته بالإنجليزية والإندونيسية، وترجمت أكثر مؤلفاته إلى الأوردية والتركية والإندونيسية والماليزية والفرنسية والفارسية. عن كتابه: موسوعة التاريخ الإسلامي.

في جيش عليّ، فقد ألقى فلهوزن وڤيل[(١)] ودوزي[(٢)] وبرنوف[(٣)] وملر[(٤)] عبء التهمة الرئيس عليه، فيقال إن أهل الشام قالوا للأشعث قبل المعركة: إننا إذا شعرنا بخطر الهزيمة سنرفع المصاحف على أسنة الرماح، فاعمل بحيث يوقف القتال، ووفقاً لهذه الخطة عمل الأشعث.

وأضاف شلبي قائلاً: وقد ذكرنا من قبل كيف تحمس الأشعث لوقف القتال، وهدّد علياً بقتله أو تسليمه لأهل الشام، ولم يرد أن يعطي فرصة قصيرة للأشتر ليكمل بها انتصاراته، وكل هذا يوحي بثبوت التهمة ضد هذا المارق.

قد يقول قائل: إن هذا الادعاء لا يقبل لأن الخوارج عادوا معاوية وحاربوه، فكيف تتهم يد معاوية بأنها لعبت وأثارت الفتن في جيش علي؟

والجواب على ذلك واضح فإن يد معاوية عندما لعبت لم تلعب مع الجميع بطبيعة الحال، وإنما لعبت مع بعض القادة كالأشعث مثلاً وتبعته الجماهير الحمقاء، واعتقادي أن هذه الجماهير لم تكن تعرف الخدعة بل كانت كراهيتها لمعاوية أكثر من كراهيتها لعلي، ولذلك استمروا في حروبهم ضد معاوية كما استمروا في عدائهم لبني أمية[(٥)]. انتهى.

وفي تقديري أن هذا الكلام يجافي الحق والصواب، ولم يكن في عملية رفع المصاحف أية خديعة كما يطيب للمستشرقين ومن سار على نهجهم أن يزعموا.

---

(١) جولتهولد ڤيل: (Gouthold Wail): (١٢٢٣ ـ ١٣٠٦هـ = ١٨٠٨ ـ ١٨٨٩م): مستشرق ألماني، ولد في سالز بورج ومات في برسيجاو. أقام زمناً في باريس يأخذ العربية عن علماء المستشرقين، وانتقل إلى الجزائر ثم إلى مصر حيث اشتغل مدرساً ومترجماً، ولما عاد إلى بلاده عمل في مكتبة «هايدلبرج» ثم عين أستاذاً للتاريخ الشرقي في جامعتها سنة ١٨٣٧م، له بالعربية عدة مؤلفات. الزركلي: الأعلام، ٢/١٤٣.

(٢) دوزي: (١٢٣٥ ـ ١٣٠٠هـ = ١٨٢٠ ـ ١٨٨٣م) رينهارت بيتر آن دوزي: مستشرق هولندي من أصل فرنسي، بروتستانتي المذهب، هاجر أسلافه من فرنسة إلى هولندة في منتصف القرن السابع عشر، مولده ووفاته في ليدن. الزركلي: الأعلام، ٣/٣٨، ٣٩.

(٣) برنوف: لم أجد له ترجمة.

(٤) مولر، أوجست: (١٨٤٨ ـ ١٨٩٢م) مستشرق ألماني، نشر «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، لابن أبي أصيبعة، ومعلقة امرىء القيس مع شروح ألمانية، وفهرست ابن النديم، مع فلوجل وروديجر. الموسوعة العربية الميسرة، ٢/١٧٨٦.

(٥) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٢٥٧، ٢٥٨.

المبحث الثالث

دوافعهم وأسباب خروجهم وثوراتهم

لا يكاد الباحث يجد سبباً حقيقياً جديراً بأن يدفع الخوارج إلى إراقة الدماء التي أراقوها، وإزهاق الأرواح التي أزهقوها، وإلى سلب أموال المسلمين وقتل نسائهم وأطفالهم، وقد هزم الخوارج عدة مرات في ميدان الجدل والمناظرات، هزموا أمام علي عندما رفضوا دخول الكوفة، وهزموا أمام عبد الله بن عباس عندما أرسله إليهم في حروراء، وناظرهم عمر بن عبد العزيز[١] فأقام الحجة عليهم، واستسلموا له، ولذلك تقرر أنه لم تكن هناك أسباب حقيقية ذات شأن تدفعهم إلى ارتكاب ما ارتكبوا من إثم، وما أراقوا من دماء وما شغلوا من جيوش المسلمين، وأضاعوا من جهد القادة والجنود.

لذلك حار الباحثون في تحديد أسباب خروجهم ودوافع ثوراتهم، فمنهم يردها إلى عوامل سياسية، وآخرون يردونها إلى عوامل اجتماعية، أو اقتصادية وغيرها. ومن الباحثين من غالى في هذا الصدد، فردّ أسباب خروجهم إلى كونهم عرباً خلَّصاً؛ لأن طبيعة العربي ـ على حد قولهم ـ الثورة لأتفه الأسباب. يقول الدكتور أحمد شلبي ما نصه: «وأول ما نجده هو أنهم كانوا عرباً، وليسوا كالشيعة ينحدر أكثرهم من غير العرب، وطبيعة العربي الثورة لأتفه الأسباب، وإذا درسنا أيام العرب وحروبهم لا نجد سبباً ذا بال يستحق أن تراق له الدماء التي أريقت، وأن تشهر له السيوف والرماح التي شهرت»[٢].

---

(١) عمر بن عبد العزيز: (٦١ ـ ١٠١هـ = ٦٨١ ـ ٧٢٠م) بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم، ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام، وولي الخلافة بعهد من سليمان (سنة ٩٩هـ)، فبويع في مسجد دمشق، وسكن الناس في أيامه، ولم تطل مدته، قيل: دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرّة، فتوفي به. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٥٠.

(٢) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥.

وتابع الدكتور شلبي مستشهداً بحرب البسوس التي وقعت بسبب إقدام كليب بن ربيعة[(١)] سيد تغلب ـ الذي كان يحمي مواقع الحيا ـ على قتل ناقة لخالة جسّاس بن مرّة بن بكر[(٢)]، فلم يغفرها له جسّاس فقتله، مع أن أخت جسّاس كانت زوجة لكليب، وهبّت الحروب بعد ذلك ولاقت الجزيرة العربية منها الأهوال.

وأضاف ما نصّه: «ذلك فيما أعتقد سبب هام لثورات الخوارج، أنهم عرب يقاتلون لأتفه الأسباب، فلا تشغل نفسك بالسؤال: لماذا خرجوا ولماذا يقاتلون؟ فإنه ليمكن القول إن القتال عندهم كان عملاً عادياً يوشك أن يكون كالطعام والمشي، ويقول ابن عبد ربّه في ذلك: وكانت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها، والسوط والعِلق الخسيس (ما تتبلّغ به الماشية من الشجر) أشد قتال، وسقط في بعض أيامهم رمح من خارجي فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل، وصاحب الرمح يرتجز:

الليل ليل فيه ويل ويل
وسال بالقوم الشراة السيل
إن جاز للأعداء فينا قول»[(٣)]

وفي تقديري أن هذا الكلام الذي ذكره الدكتور أحمد شلبي، ينطوي على مغالطة كبيرة، وليس من الإنصاف تصوير العرب على هذا النحو السيىء، وكان جديراً بالدكتور شلبي أن ينظر إلى حرب البسوس من زاوية أخرى مختلفة، ذلك أن العرب كانوا أصحاب حضارة، وكانوا يملكون من القيم ما نفتقده في عالمنا

---

(١) كليب بن ربيعة: (نحو ١٨٥ ـ ١٣٥ق هـ = نحو ٤٤٣ ـ ٤٩٢م) بن الحارث بن مرّة التغلبي الوائلي: سيد الحيين «بكر» و«تغلب» في الجاهلية، ومن الشجعان والأبطال، كانت منازله في نجد وأطرافها، وبلغ من هيبته أنه كان يحمي مواقع السحاب، فيقول: ما أظلته هذه السحابة في حماي، فلا يرعى أحد ما تظله. وهو أخو «مهلهل بن ربيعة» وخال امرىء القيس بن حجر الكندي، قتله جسّاس بن مرّة. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٢٣٢.

(٢) جسّاس بن مرّة: (٠٠٠ ـ نحو ٨٥هـ = ٠٠٠ ـ نحو ٥٣٥م) بن ذهل بن شيبان، من بني بكر بن وائل: شجاع، شاعر، من أمراء العرب في الجاهلية، هو الذي قتل كليب بن وائل، فكان سبباً لنشوب حرب طاحنة بين بكر وتغلب، دامت أربعين سنة، قتل جسّاس في أواخرها، الزركلي: الأعلام، ٢/ ١١٩.

(٣) المبرد: الكامل، ٣/ ١٣٤١، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ١٨٦.
انظر موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٢/ ٢٥٥، للدكتور أحمد شلبي، ص٢٥٥.

المعاصر، ممّا يجعلنا نترحم على تلك الفترة، وقد جاء في الأثر: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١).

وقد كان العرب يتمتعون بأخلاق فريدة، وقيم عظيمة رائدة، منها الشجاعة وإغاثة الملهوف، وحسن الجوار، ولو نظرنا إلى حرب البسوس نظرة فاحصة لوجدنا أن من أهم أسبابها خرق هذه القيم والاستهتار بها، ذلك أن خالة جسّاس كانت في جواره، ويعتبر اعتداء كليب على ناقتها اعتداء على ذلك الجوار، فكان لا بدّ من ردّ الصاع صاعين، لدفع هذه الإهانة، في وقت كان فيه العربي يأنف أن يطعن بكرامته أو بشيء من القيم التي يعتز بها.

تلك كانت طبيعة العربي في ذلك الحين، وهذه بعض الأسباب التي كان يقاتل بسببها العربي، ولست أراها تافهة إذا نظرنا إلى المسألة من هذا المنظار.

ويرى الدكتور شلبي أن ثمّة سبباً آخر يقف وراء ثورات الخوارج، يتمثّل في الأخذ بالثأر، على عادة العرب، فقد حارب علي الخوارج في النهروان وقتل أكثرهم، وهبّ الخوارج بعد ذلك يتذاكرون ما حصل لإخوانهم في النهروان، ويعملون للأخذ بثأرهم، ونقل ما حكاه الطبري في هذا الصدد، أنهم كانوا يأتون مصارع إخوانهم في النهروان فيتوضؤون ويصلون ويتذاكرون إخوانهم ويبكون، ثم يهبون للأخذ بثأرهم(٢).

العامل الاجتماعي:

يرى بعض الباحثين أن ظهور الخوارج هو تعبير عن تناقضات اقتصادية اجتماعية، اكتسبت طابعاً دينياً، نتيجة تفجير تلك التناقضات من خلال مشكلة الإمامة، ويرى هؤلاء أن السياسة التي اتبعها الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) رضي الله عنه، قد أسهمت في ظهور الخوارج، الذين كان لهم دورٌ بارز في إعلان

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغاً، والطبراني من حديث جابر، وأحمد من حديث معاذ بن جبل كما في الدرر المنتثرة للسيوطي، ص١٠٠. انظر الموطأ للإمام مالك.
كتاب الجامع، ص٧٨٨ برقم (٣٦).

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٦١، انظر موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٢٥٥، ٢٥٦.

الثورة عليه، وذلك أنه خالف ـ على حدّ قولهم ـ سياسة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وضرب صفحاً عن تطبيق عدالة الإسلام، وأطلق العنان لبني جلدته للاستبداد بالمسلمين في الأمصار. يقول أحد الكتاب المعاصرين في هذا الصدد ما نصه:

«فقد حرص أبو بكر(١) أن تأخذ العدالة الاجتماعية مجراها دون نظر إلى عصبية أو جنس، فالتزم بالكتاب والسنة التزاماً تاماً في تقدير الأعطيات وتقسيم الفيء والغنائم، فانصاعت «الجماعة» لحكمه، ولم يكن في عهده افتراق، كذلك اتسمت سياسة عمر بالعدالة المطلقة، المستوحاة من تعاليم الإسلام، فلم يخالف الكتاب والسنة، إنما زاد عليهما أمراً آخر هو الاجتهاد، وكان عليه أن يجعل الاجتهاد مصدراً ثالثاً للتشريع ليواكب التطوّر الجديد الذي حدث في عهده بعد الفتوح الإسلامية الكبرى في العراق والشام ومصر، لكن عمر في اجتهاداته لم يحد عن جوهر مفهوم العدالة في الإسلام، وحسبه أنه لم يجعل للعصبية القبلية أو النزعة العنصرية تأثيراً فيما استحدثه من نظم وقوانين، فضرب المثل الفذ على مثالية المبادىء، ومراعاة مقتضيات الحال في تطبيقها، لذلك اختفت في عصره النعرات العنصرية والسخائم القبلية».

وأضاف قائلاً: «غير أن تلك النعرات والسخائم تعمل عملها في إحداث الفتنة في خلافة عثمان، فقد أطلق العنان لكبار الصحابة من قريش لاستغلال مكانتهم الخاصة في اقتناء الضياع وتكوين الثروات في البلاد المفتوحة، فشكلوا «أرستقراطية ثيوقراطية قرشية» أثارت هلع الفقهاء والصالحين لانتهاك عدالة الإسلام من ناحية، كما

---

(١) أبو بكر الصديق: (٥١ق هـ ـ ١٣هـ = ٥٧٣ ـ ٦٣٤م) عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر ابن كعب التيمي القرشي، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأحد أعاظم العرب، ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، وحرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب واحتمل الشدائد، وبذل الأموال. وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ (سنة ١١هـ)، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة، افتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق، وكان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، خطيباً لسناً وشجاعاً بطلاً، توفي في المدينة. الزركلي: الأعلام، ٤/١٠٢.

أثارت أحقاد القبائل الأخرى وحسدها فأحيا عثمان بذلك الضغائن والصراعات القبلية الجاهلية، وفضلاً عن ذلك ظهرت أرستقراطية بيروقراطية سفيانية في الأمصار التي آلت إمرتها إلى رجال بني أمية أقارب عثمان، فأثار بذلك بقية بطون قريش وأعاد الصراع القديم بين بني أمية وبني هاشم وفضلاً عن ذلك، فقد خالف الشيخين في نظرتهما إلى الخلافة باعتبارها عبئاً ومسؤولية، واعتبرها «قميصاً ألبسه الله إياه»[١]، وهو أمر زاد في توسيع الهوّة بينه وبين جماعة الفقهاء والقرّاء، فطالبوا بعزله لإخلاله بقواعد الملة وخروجه عن نصوص الشريعة، ولم يتوانوا في حض عرب الأمصار على الثورة وأفتوا بشرعيتها، لذلك كان عرب الأمصار ـ من غير قريش ـ يشكلون جند الثورة، بينما تصدّر الفقهاء قيادتها، وانتهى الأمر بمصرع عثمان حسبما هو معروف في كتب التاريخ»[٢].

وقال كاتب آخر في هذا الصدد ما نصه: «إن مبدأ المساواة بين المسلمين الذي طبقه الرسول في حياته، وشدّد عليه قبل وفاته في قوله: «. . . **أيها الناس اسمعوا قولي واعلموا أن كل مسلم أخو المسلم وأن المسلمين إخوة**»[٣].

بدأ الاختلال في عهد عثمان، حيث أخذ الولاة يوزعون الأموال على الأقرباء والمناصرين دون مراعاة لمقياسي الفضل والحاجة.

ولقد ناهض هذه السياسة الاقتصادية الجائرة، عدد كبير من الصحابة وذوي الرأي في المجتمع، وكان على رأسهم علي بن أبي طالب الذي كانت كلمته المأثورة: «عجبت للجائع كيف لا يخرج من بيته شاهراً سيفه على الناس» ذات أهمية في نفوس المسلمين.

---

(١) يغمز محمود إسماعيل من قناة الحديث النبوي الشريف الذي جاء فيه: «**يا عثمان! إن ولاّك الله هذا الأمر يوماً فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمّصك الله، فلا تخلعه**» وأخرجه ابن ماجة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كما أخرجه الحاكم بسند ضعيف، وعزاه الهيثمي إلى أحمد والطبراني وقال: أحد إسنادي الطبراني حسن، مجمع الزوائد، ٩/ ٩٠.

(٢) محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام، ص١٣ ـ ١٥.

(٣) لا أساس لهذا الحديث بهذا السياق في كتب السنة، ويغلب على ظني أن علي جفّال قد خلط الحابل بالنابل دون أن يكلف نفسه عناء العودة إلى مصادر السنة لتوثيق الحديث.

وقد كان لهذه الدعوات المعارضة لسياسة الدولة الاقتصادية، يحملها أبو ذرّ الغفاري[١]، وعمار بن ياسر، وسواهما، أثر كبير في دفع المحتاجين وفي تحريضهم للوقوف بوجه عمّال الخلافة وولاتها»[٢].

إن هذا الكلام الذي يعتبر صدًى لكثير مما كتبه الباحثون عن هذه المرحلة، يجافي الحق والصواب، وينضح بما فيه من كذب وتزوير، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على جهل قائليه بتاريخ الإسلام وأحكامه وتعاليمه؛ فما ذكره هؤلاء بصدد السياسة التي اتبعها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لا اعتراض عليه، إلا أن ما زعموه من مخالفة عثمان لهما لا يصحّ من باب، وهو من شبهات السبئية أعداء الأمة، التي تردّدت أصداؤها قديماً، ولا تزال تجد من يجترّها، ليشير بأصابع الاتهام إلى ذي النورين، علماً أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه وقف مدافعاً عن عثمان ـ كما هو مشهور ـ وفنّد كل الشبهات التي أطلقها مثيرو الشغب والفتنة، وردّها إلى نحورهم، وأفحمهم وأقام عليهم الحجة[٣].

إن تصوير الكتاب المحسوبين ـ بكل أسف ـ على الإسلام والمسلمين، لهذه القضية الخطيرة على هذا النحو السيّىء، لهو مدعاة للحزن والأسف، فلا شيء يصحّ مما زعمه محمود إسماعيل من مطالبة الفقهاء والقراء بعزل عثمان رضي الله عنه، لإخلاله بقواعد الملّة وخروجه عن نصوص الشريعة، ويا حبذا لو أنه وثّق أكاذيبه

---

(١) أبو ذر الغفاري: (٠٠٠ ـ ٣٢هـ = ٠٠٠ ـ ٦٥٢م) جندب بن جُنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار: صحابي، من كبارهم، يضرب به المثل في الصدق، هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق، فجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية (وكان والي الشام) إلى عثمان، فاستقدمه عثمان إلى المدينة، فقدمها واستأنف نشر رأيه في تقبيح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء، فعلت الشكوى منه، فأمره عثمان بالرحلة إلى الربذة (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات. الزركلي: الأعلام، ٢/١٤٠. قلت: إن مسألة نفي عثمان لأبي ذر إلى الربذة هي من شبهات السبئية، وقد درج العلماء على تكرارها بلا تمحيص، والحق أن أبا ذر هو الذي اختار الذهاب إلى الربذة والإقامة فيها بعد أن فشا العمران في المدينة، عن أمر له من رسول الله ﷺ قبل موته، مما لا مجال لتفصيله في هذا المقام. للاطلاع على مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، راجع كتابي: قراءة في سيرة الخلفاء الراشدين.

(٢) علي جفال: الخوارج، ص٢٣، ٢٤.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر: العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي، ص٧٢ ـ ١١٠.

بنصوص من التاريخ الإسلامي، فضلاً عن طعنه للسنة النبوية الشريفة حيث قال ما نصه: «واعتبرها «قميصاً ألبسه الله إيّاه»، وهو بهذا يغمز من طرف خفي في قناة ما ورد عن النبي ﷺ في هذا الصدد، وقد سبقت الإشارة إليه في هامش الصفحة السابقة.

ويتواصل مسلسل الأكاذيب عند كاتبنا الهمام، حيث يزعم أن الفقهاء قد تصدّروا قيادة الثورة على عثمان، فليت شعري من هم أولئك الفقهاء الذين ادّعاهم؟! علماً أن الذين قادوا حركة التمرد على عثمان كانوا من السبئية، كما سبق وذكرنا.

أما قوله عن سياسة عمر أنها اتسمت بالعدالة المطلقة فهو زيادة في الحدّ، والزيادة في الحد كالنقصان فيه، وهو ضرب من ضروب الغلو التي يرفضها الإسلام، ورغم ما اشتهر به عمر من العدالة، إلا أنه لا يصح أن توصف عدالته بالمطلقة، لأن العدالة المطلقة لا تنبغي إلا لله تبارك وتعالى، وأما قوله أن عمر زاد على الكتاب والسنة أمراً آخر، ألا وهو الاجتهاد؛ فهو يدلّ على جَهْلٍ مركّب بتعاليم الإسلام، لا يقع فيه تلاميذ الشريعة الإسلامية؛ لأن باب الاجتهاد، كان مفتوحاً منذ أيام النبي ﷺ، حيث كان النبي ﷺ يجتهد فيما ليس فيه نص، وكذلك الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؛ فعندما أراد أن يرسل معاذ بن جبل[1] إلى اليمن، سأله قائلاً: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟**» قال: أقضي بكتاب الله، قال: «**فإن لم تجد في كتاب الله؟**» قال: فبسنّة رسول الله ﷺ، قال: «**فإن لم تجد في سنّة رسول الله ﷺ، ولا في كتاب الله؟**» قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: «**الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله**»[2].

---

(١) معاذ بن جبل: (٢٠ق هـ - ١٨هـ = ٦٠٣ - ٦٣٩م) بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمٰن: صحابي جليل، كان أعلم الأئمة بالحلال والحرام، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ، أسلم وهو فتى، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعثه رسول الله ﷺ بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً لأهل اليمن. توفي عقيماً بناحية الأردن، ودفن بالقصير المعيني (بالغور). الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٥٨.

(٢) أخرجه أبو داود في الأقضية برقم (٣٥٩٢)، والدارمي في سننه، ١/ ٦٠، وأحمد في المسند، ٥/ ٢٣٠ و٢٣٦ و٢٤٢.

أما قول علي جفال أن عدداً كبيراً من الصحابة وذوي الرأي في المجتمع قد ناهضوا هذه السياسة الاقتصادية وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر رضي الله عنهم، فهو يجافي الحق والصواب، وليس من الصواب إسقاط كلام علي رضي الله عنه الذي أورده علي جفال على هذه الشبهة؛ لأنه لا علاقة بينهما، علماً أن علياً رضي الله عنه كان أوّل المدافعين عن عثمان فيما حاك حوله السبئيون من شبهات.

أمّا ما ذكره من اعتراض أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر لهذه السياسة، فلعله رمى إلى ما فعله أبو ذر من دعوته مشاركة الأغنياء للفقراء في أموالهم، وكان من قنائص عبد الله بن سبأ.

ولله در أبي الدرداء رضي الله عنه، حيث كان أول من تفطّن للدور الخطير الذي يقوم به ابن السوداء، وعرف من خلال دعاويه أنه ليس مسلماً، بل هو يهودي يتستّر بالإسلام، ففي الوقت الذي استطاع فيه خداع أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، إلاّ أنه لم يتمكن من خداع أبي الدرداء، ذلك أنه حينما عرض عليه ما عرضه على أبي ذر، قال له: أظنك والله يهودياً، فأتى عبادة بن الصامت[(١)]، رضي الله عنه، فتعلّق به عبادة، وأتى به معاوية رضي الله عنه فقال: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر[(٢)].

وزعم علي جفال أن الخوارج ـ وقد كانوا في جيش علي قبل مسألة التحكيم ـ قد أحسوا بأن الخلافة ستؤول إلى معاوية بنتيجتها، فرفضوا القبول بنتائجها، وأعلنوا معارضتهم لعلي الذي بدا مربكاً في اتخاذ الموقف بعد انقسام جيشه وخذلان معظم قادته والقراء منهم خاصة[(٣)].

---

(١) عبادة بن الصامت: (٧ق هـ ـ ٣٤هـ = ٥٨٦ ـ ٦٥٤م) بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد: صحابي، من الموصوفين بالورع، شهد العقبة، وكان أحد النقباء وبدراً وسائر المشاهد، ثم حضر فتح مصر، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين، ومات بالرملة أو ببيت المقدس، وكان من سادات الصحابة. الزركلي: الأعلام، ٣/٢٥٨.

(٢) لما ورد ابن السوداء إلى الشام لقي أبا ذرّ فقال: يا أبا ذر، ألا تعجب من معاوية يقول: المال مال الله ألا إن كل شيء لله، كأنه يريد أن يحتجنه دون الناس ويمحو اسم المسلمين، فجاء أبو ذر إلى معاوية وعاتبه في ذلك، فقال معاوية: يرحمك الله يا أبا ذرّ، ألسنا عباد الله والمال ماله؟! قال: فلا تقله. قال: سأقول مال المسلمين. الطبري: تاريخ، ٢/٦١٥، وابن الأثير: تاريخ، ٣/٥٧.

(٣) علي جفال: الخوارج، ص٢٢.

وهذا الكلام يجافي الحق والصواب، لأن أحداً لم يكن يتوقع ما ستؤول إليه نتيجة التحكيم، علماً بأنها لم تكن في مصلحة معاوية، ولم يصبح خليفة بنتيجتها كما هو معروف، وإنما آلت إليه الخلافة بعد أن تنازل الحسن عنها له طائعاً مختاراً.

ويرى الإمام أبو زهرة(١) أن ثمّة أموراً أخرى غير اعتقاد الحق، حفزت الخوارج على الخروج، أنهم كانوا يحسدون قريشاً لاستيلائها على الخلافة، واستبدادها بها دون الناس، ويستدل للدلالة على صحة اعتقاده أن أكثر الخوارج من القبائل الربعيّة التي قامت بينها وبين القبائل المضرية الإحن الجاهلية التي خفّف الإسلام من حدّتها ولم يذهب بكل قوّتها، بل بقيت منها أثارة غير مستمكنة في النفوس، وقد تظهر في الآراء والمذاهب من حيث لا يشعر المعتنق للمذهب الآخذ بالرأي، وإن الإنسان قد يسيطرعلى نفسه هوىً يدفعه إلى فكرة معينة يخيّل إليه أن الإخلاص رائده، والعقل وحده يهديه، وهذا أمر واضح في أمور الحياة كلّها، فالإنسان ينفر من كلّ فكرة اقترنت بما يؤلمه، وإذا كان ذلك كذلك فلا بدّ أن نتصوّر أن الخوارج ـ وأكثرهم ربعيّون ـ رأوا الخلفاء من «مضر» فنفروا من حكمهم، واتجهوا في تفكيرهم نحو الخلافة تحت ظلّ هذا النفور من حيث لا يشعرون، وظنوا أن ما يقولونه هو محض الدين، وأنه لا دافع لهم إلا الإخلاص لدينهم.

والخوارج على هذا أكثرهم من العرب، ولم يكن فيهم من الموالي إلاّ عدد قليل، مع أن آراءهم في الخلافة من شأنها أن تجعل للموالي الحق في أن يكونوا خلفاء عندما تتوافر شروطها، إذا الخوارج لا يقصرون الخلافة على بيت من بيوت العرب، ولا على قبيل من قبيلهم، بل لا يقصرونها على جنس من الأجناس، أو فريق من الناس(٢).

---

(١) محمد أبو زهرة: (١٣١٦ ـ ١٣٩٤هـ = ١٨٩٨ ـ ١٩٧٤م) محمد بن أحمد أبو زهرة: أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره، مولده بمدينة المحلة الكبرى، وتربى بالجامع الأحمدي، وتعلّم بمدرسة القضاء الشرعي (١٩١٦ ـ ١٩٢٥)، عين أستاذاً محاضراً للدراسات العليا في الجامعة سنة ١٩٣٥، وتولى عدة وظائف في الدولة. الزركلي: الأعلام، ٦/ ٢٥.

(٢) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٦٤.

المبحث الرابع
أبرز صفاتهم وخصائصهم

تعتبر هذه الفرقة من أشدّ الفرق الإسلامية دفاعاً عن مذهبها، وحماسة لآرائها، وأشدّ الفرق تديّناً في جملتها وأشدّها تهوراً واندفاعاً، وهم في دفاعهم وتهوّرهم مستمسكون بألفاظ قد أخذوا بظواهرها، وظنُّوا هذه الظواهر ديناً مقدساً، لا يحيدون عنه، وقد استرعت انتباههم كلمة «لا حكم إلا لله» فاتخذوها شعاراً ينادون به، فكانوا كلما رأوا علياً يتكلم قذفوه بها(١).

وقد اتصف الخوارج بصفات كثيرة قلما وجدت في سواهم، جعلتهم قوماً خصمين، يجادلون عن مذاهبهم، ويلتقطون الحجج من خصومهم، ويستمسكون بآرائهم أشدّ الاستمساك، ويتعصبون لها تعصباً عجيباً.

ويرى بعض الباحثين أنهم قد اكتسبوا هذه الصفات من أصولهم العربية، فهي ـ على حدّ تعبير هؤلاء ـ عربية في خيرها وشرّها، عربية في البساطة وعدم التعمّق، عربية في الصراحة والوضوح، عربية في الشجاعة وحبّ الوغى، عربية في الفردية وضعف الروح الجماعية، عربية في الوفاء، عربية في عدم تقديس الزعماء(٢).

وأبرز هذه الصفات ما يلي:

أ ـ تميّزهم بالفصاحة والبلاغة:

اتصف الخوارج بالفصاحة وطلاقة اللسان، والعلم بطرق التأثير البياني، وكانوا ثابتي الجنان لا يتحيّرون أمام خصومهم ولا تأخذهم حبسة فكرية؛ روي أن عبد الملك بن مروان أتي برجل منهم، فرأى منه فهماً وعلماً ودهاءً، فطلب إليه الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصراً محققاً، فزاد عبد الملك في طلبه الرجوع، فقال الرجل: لتغنك الأولى عن الثانية، وقد قلتَ فسمعتُ، فاسمع أقُل، قال له: قل. فجعل يبسط له من قول الخوارج، ويزيّن له من مذهبهم بلسان طلق، وألفاظ بيّنة، ومعان قريبة، فقال عبد الملك: لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم وأنهم

---

(١) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٦٠.

(٢) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٢٦٢.

أولى بالجهاد منهم، ثم رجعت إلى ما ثبت الله عليَّ من الحجة، ووقر في قلبي من الحق، فقلت له: لله الآخرة والدنيا، وقد سلّطني الله في الدنيا، ومكّن لنا فيها، وأراك لست تجيب بالقول، والله لأقتلنّك إن لم تطع. وبينا هما في الحديث، إذ دخل على عبد الملك ابن له باكياً، فشق ذلك على عبد الملك، فأقبل عليه الخارجي، فقال له: دعه يبكِ، فإنه أرحب لشدقه، وأصحّ لدماغه، وأذهب لصوته، وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة ربّه، فاستدعى عبرتها! فقال له عبد الملك: أما يشغلك ما أنت فيه؟! فقال: ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء، فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله، وقال معتذراً: لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتي ما حبستك.. من شككني ووهمني حتى مالت بي عصمة الله، فغير بعيد أن يستهوي من بعدي(١).

ب ـ حرصهم على طلب العلم:

كانوا مع فصاحتهم يطلبون علم الكتاب والسنة، وفقه الحديث، وآثار العرب في ذكاء شديد وبديهة حاضرة، ونفس متوثبة؛ يروى أن نافع بن الأزرق كان ينتجع عبد الله بن عباس فيسأله... سأله مرّة عن معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ [الانشقاق: ١٧]، فقال ابن عباس: وما جمع، فقال: أتعرف ذلك العرب؟ فقال: نعم، أما سمعت لقول الراجز:

إن لنا قلائصاً حقائقاً مستوسقات لو يجدن سائقاً

وسأله مرة قائلاً: أرأيت نبيّ الله سليمان عليه السلام مع ما خوّله الله وأعطاه كيف عُنِي بالهدهد على قلّته وضآلته؟ فقال ابن عباس: إنه احتاج إلى الماء، والهدهد فناء الأرض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فسأل عنه لذلك. فقال ابن الأزرق: قف يا وقاف، كيف يبصر ما تحت الأرض والفخّ يغطي له بمقدار إصبع من التراب، فلا يبصره حتى يقع فيه؟ فقال ابن عباس: ويحك يا بن الأزرق، أما علمت أنه إذا جاء القدر غشي البصر(٢).

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٥٥ ـ ١١٥٧.

(٢) المرجع نفسه، ٣/ ١١٤٥ و١١٤٩.

فهم كانوا يحاولون أن يعرفوا علم القرآن والسنة من أهل الخبرة، ولكن أنظارهم جانبية لم ينتفعوا به انتفاعاً كاملاً.

ت ـ شغفهم بالجدل والمناظرة:

كانوا يحبون الجدل والمناقشة ومذاكرة الشعر وكلام العرب، وكانوا يذاكرون مخالفيهم حتى في أزمان القتال، فقد نقل ابن أبي الحديد من الأغاني: كان «الشراة» أي الخوارج في حرب المهلب[١] وقطريّ ابن الفجاءة يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدين وغير ذلك، على أمان وسكون، فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليشكري[٢] من الخوارج مع أبي حزابة[٣] التميمي من جيش الجماعة، فقال عبيدة: يا أبا حزابة إني سائلك عن أشياء، أفتصدقني في الجواب عنها؟ قال: نعم، إن تضمّنت لي مثل ذلك. قال: قد فعلت، قال: سل عمّا بدا لك، قال: فما تقول في أئمتكم؟ قال: يبيحون الدم الحرام والمال الحرام، والفرج الحرام، قال: ويحك فكيف فعلهم في المال؟ قال: يجنونه من غير حلّه، وينفقونه في غير حقّه. قال: فكيف فعلهم في اليتيم؟ قال: يظلمونه ماله، ويمنعونه حقه... قال: ويحك يا أبا حزابة أمثل هؤلاء تتبع[٤]؟!

---

(١) المهلب بن أبي صفرة: (٧ ـ ٨٣هـ = ٦٢٨ ـ ٧٠٢م) ظالم بن سراق الأزدي العتكي، أبو سعيد: أمير بطاش، جواد، ولد في دبا ونشأ بالبصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر، وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير، أقام يحارب الخوارج تسعة عشر عاماً، ولاه عبد الملك خراسان، ومات فيها، الزركلي: الأعلام، ٢/ ٣٤٧.

(٢) عبيدة بن هلال اليشكري: (٠٠٠ ـ ٧٧هـ = ٠٠٠ ـ ٦٩٦م) من رؤساء الأزارقة وشعرائهم وخطبائهم، كان في أوائل خروجه من المقدمين فيهم، وأرادوا مبايعته، فقال: أدلكم على من هو خير لكم مني قطري بن الفجاءة المازني، فبايعوا قطرياً، وظلّ عبيدة إلى جانبه زمناً، ووقع الخلاف بين الأزارقة، ففارقه وانحاز إلى حصن قومس (في ذيل جبال طبرستان) وسير الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش عظيم، فطلب قطري بن الفجاءة حتى لقيه في أحد شعاب طبرستان، وقتل قطري، وتبع سفيان بن الأبرد عبيدة وحاصره في حصن قومس إلى أن قتله وقتل من معه. الزركلي: الأعلام، ٤/ ١٩٩.

(٣) أبو حزابة: الوليد بن حنيفة التميمي من بني ربيعة ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، شاعر معروف من بادية البصرة، ثم سكن البصرة واكتتب في بعث سجستان إليها، وكان بها مدة ثم رجع إلى البصرة، وخرج مع عبد الرحمٰن بن الأشعث حين خرج على عبد الملك، ويقال: إنه قتل معه في بعض وقائعه، وكان قد وفد على يزيد بن معاوية في حياة أبيه. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٦٣/ ١٢٣.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ٦/ ١٤٩.

ونرى من هذا أن حبّ المناقشة والمناظرة قد استولى عليهم حتى كانوا يوقفون القتال مع مقاتليهم ليساجلوهم الآراء والأفكار.

ث ـ تعصبهم الأعمى لآرائهم:

وقد كان التعصب يسود جدلهم، فهم لا يسلمون لخصومهم بحجّة، ولا يقتنعون بفكرة مهما تكن قريبة من الحق، واضحة الصواب، بل لا تزيدهم قوة الحجة عند خصومهم إلا إمعاناً في اعتقادهم، وبحثاً عما يؤيده، والسبب في ذلك استيلاء أفكارهم على نفوسهم، وتغلغل مذاهبهم في أعماق قلوبهم، واستيلاؤها على كل مواضع تفكيرهم وطرق إدراكهم، وكان فيهم مع ذلك لدد وشدّة في الخصومة تمثل نزعتهم البدوية.

وقد كان ذلك من أسباب تحيّزهم إلى جانب فكرة واحدة والنظر إليها من هذا الجانب وحده غير معتبرين سواه.

ولقد دفعتهم شدة رغبتهم في نصر مذاهبهم إلى أن يكذبوا أحياناً على رسول الله ﷺ، حتى أنه يروى عن خارجي تاب أنه دعا العلماء لأن ينظروا في أحاديث رسول الله ﷺ، فإن الخوارج كانوا إذا لم يجدوا دليلاً نسبوا للرسول كلاماً[1].

وبين أيدينا مراسلة جرت بين زعيمين من زعماء الخوارج، تبيّن لنا طرفاً من تعصّبهم واعتدادهم بآرائهم، فحينما بلغ نجدة بن عامر[2] زعيم النجدات ما فعله نافع بن الأزرق من استعراضه[3] للناس، وقتله الأطفال، واستحلاله الأمانة، فكتب إليه كتاباً يسفّه فيه رأيه جاء فيه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، أما بعد.. فإن عهدي بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم، وللضعيف كالأخ البرّ، لا تأخذك في الله لومة لائم، ولا ترى معونة ظالم،

---

(١) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٧١.

(٢) نجدة بن عامر الحنفي: (٣٦ ـ ٦٩هـ = ٦٥٦ ـ ٦٨٨م) من بني حنيفة، من بكر بن وائل، رأس الفرقة النجدية، ويعرف أصحابها بالنجدات، كان أول أمره مع نافع بن الأزرق، ثم فارقه لإحداثه في مذهبه، نقم عليه أصحابه أموراً فقتلوه. الزركلي: الأعلام، ٨/ ١٠.

(٣) أي اعتراضه الناس وقتلهم دون أن يبالي أمسلماً قتل أم كافراً.

كذلك أنت وأصحابك، أما تذكر قولك: لولا أني أعلم أن للإمام العادل مثل أجر جميع رعيته، ما توليت أمر رجلين من المسلمين، فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبت من الحق فصَّهُ(١)، وركبت مرّهُ تجرأ لك الشيطان، ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك، فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويت. وأكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قَعَد المسلمين وضعفتهم، فقال جلّ ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التّوبَة: ٩١]، ثم سمّاهم أحسن الأسماء فقال: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التّوبَة: ٩١]، استحللت قتل الأطفال، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم، وقال جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعَام: ١٦٤]، وقال في القعد خيراً، وفضل الله من جاهد عليهم، ولا يرفع منزلة أكثر الناس عملاً منزلة من هو دونه: إلا إذا اشتركا في أصل، أوَ ما سمعت قوله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النّساء: ٩٥]، فجعلهم الله من المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين، ورأيت من رأيك أن لا تؤدي الأمانات إلى أهلها، والله يأمر أن تؤدّى الأمانات إلى أهلها فاتقِ الله، وانظر لنفسك واتق ﴿يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمَان: ٣٣]، فإن الله بالمرصاد، وحكمه العدل، وقوله الفصل والسلام.

فكتب إليه نافع بن الأزرق:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، أما بعد. . فقد أتاني كتابك تعظني فيه وتذكرني وتنصح لي وتزجرني، وتصف ما كنت عليه من الحق، وما كنت أوثره من الصواب، وأنا أسأل الله أن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. . . وعبت عليّ ما دنت به من إكفار القعد وقتل الأطفال واستحلال الأمانة، وسأفسّر لك ذلك إن شاء الله. أما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممّن كان على عهد رسول الله ﷺ لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلاً، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقاً، وهؤلاء قد فقهوا في الدين وقرؤوا القرآن، والطريق لهم نهج واضح، وقد

(١) فصّهُ: أي مفصله وقلبه.

عرفت ما يقول الله فيمن كان مثلهم إذ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ﴾ [النساء: ٩٧]، وقال: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]، وقال: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ﴾ [التوبة: ٩٠]، وقال: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٠]، فانظر إلى أسمائهم وسماتهم.

وأما أمر الأطفال فإن نبي الله نوحاً كان أعرف بالله يا نجدة مني ومنك، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]، فسمّاهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا فكيف جاز ذلك في قوم نوح ولا يجوز في قومنا؟ والله يقول: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ [القمر: ٤٣]، وهؤلاء كمشركي العرب، لا تقبل منهم جزية، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام.

وأما استحلال الأمانات ممن خالفنا فإن الله عزّ وجل أحلّ لنا أموالهم، كما أحلّ لنا دماءهم، فدماؤهم حلال طلق [طيب]، وأموالهم فيء للمسلمين، فاتقِ الله يا نجدة وراجع نفسك، فإنه لا عذر لك إلا بالتوبة، ولا يسعك خذلاننا والقعود دوننا، وترك ما نهجناه لك من طريقتنا ومقالتنا، والسلام على من أقرّ بالحق وعمل به(١).

وهكذا كان استدلال رافع، من الواضح أنه استدلال واه ضعيف، ولكن الأزارقة كانوا يرونه سليماً كأنه التنزيل، وكانوا يدينون به ويعملون بمقتضاه، وقد جلب عليهم هذا سخط الكثيرين حتى أعداء بني أمية، ولكنهم لم يبالوا بسخط أحد أو رضاه، وكان جلّ اهتمامهم أن يسيروا في الطريق الذي اعتقدوا أنه الحق مهما كانت نتائج سيرهم(٢).

ج ـ أخذهم بظاهر النصوص:

وكانوا يأخذون بظاهر النص من غير تحرٍّ في دفع التهم عما ينسب إلى بعضهم من جرائم، يروى أن عبيدة بن هلال اليشكري الذي ذكرنا جدله مع أبي حزابة آنفاً،

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/ ١٢١٥ ـ ١٢١٨، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠، بتصرف.

(٢) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٢٦٠، ٢٦١، بتصرف.

اتهم بامرأة حدّاد، رأوه مراراً يدخل داره بغير إذنه، فأتوا قطري بن الفجاءة الذي نصبوه أميراً لهم، فذكروا له ذلك، فقال لهم: إن عبيدة من الدين بحيث علمتم، ومن الجهاد بحيث رأيتم، فقالوا: إنا لا نقارّه على الفاحشة، فقال: انصرفوا! ثم بعث إلى عبيدة فأخبره، فقال: بهتوني يا أمير المؤمنين كما ترى، قال: إني جامع بينك وبينهم فلا تخضع خضوع المذنب، ولا تتطاول تطاول البريء، فجمع بينهم فتكلموا فقام عبيدة فقال: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١]، إلى آخر الآيات، فلما سمعوها بكوا وقاموا إليه واعتنقوه، وقالوا: استغفر لنا[(١)].

وبذلك أبعدهم بتلاوة الآية عن أن ينظروا في قضية الاتهام، أهي صادقة فيستحق العقاب، أم هي كاذبة فيكونوا قد بهتوه، لم يفكروا في هذا إزاء ظواهر النص الكريم من غير أن يطبقوه، وبذلك أصدروا الحكم بالبراءة من الفاحشة من غير دليل بعد أن اتهموه بها أيضاً من غير دليل، وانتقلوا من النقيض إلى النقيض من غير سبب قوي يقتضي ذلك العدول السريع[(٢)].

ويردّ الدكتور أحمد شلبي أخذهم بظاهر النصوص إلى بساطتهم وسطحيتهم، وعدم تعمّقهم في فهم الأمور، وعدم تقديرهم لنتائج ما يقدمون عليه.

ومن مظاهر هذه البساطة والسطحية استدلال نافع بن الأزرق على صحة تكفير القعدة وقتل الأطفال والنساء واستحلال الأمانات، على نحو ما ذكرناه آنفاً، وما استدلوا به في قتلهم عبد الله بن خباب بن الأرت[(٣)]، حيث استدلّوا بقوله تعالى:

---

(١) المبرّد: الكامل، ٣/ ١٣٣٣.
(٢) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٧٢.
(٣) عبد الله بن خبّاب بن الأرت المدني، حليف بني زهرة. قال أحمد بن عبد الله العجلي: عبد الله بن خباب: من كبار التابعين، ثقة، قتلته الحرورية. أرسله إليهم علي فقتلوه، فأرسل إليهم: أقيدونا بعبد الله بن خباب، فقالوا: كيف نقيدك به، وكلنا قتلته؟! فنهد إليهم فقتلهم. وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. المزي: تهذيب الكمال، ١٤/ ٤٤٦، ٤٤٧. قلت: ليس صحيحاً أن علياً رضي الله عنه بعث عبد الله بن خباب إلى الخوارج، والصحيح أنه كان عاملاً لعلي على المدائن، وهم الذين اعترضوه وقتلوه.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المَائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعَام: ٥٧]، وعليّ حكّم الرجال على حدّ تعبيرهم، وعلى هذا حكموا بكفره، فلما قدم عليهم عبد الله بن خباب وسألوه رأيه في عليّ فأثنى عليه خيراً ومدحه، فقالوا: إن القرآن الذي في رقبتك يأمرنا بقتلك؛ وذلك أن عبد الله يتولّى علياً، وعلي في نظرهم كافر.

وفي الوقت الذي ارتكبوا فيه حماقة قتل عبد الله بن خباب، صدرت منهم أمور متناقضة، تدلّ على أنهم كانوا يخبطون خبط عشواء، منها أن رطبة سقطت من نخلة فتناولها رجل ووضعها في فيه فقالوا له: أكلتها غصباً وأخذتها بلا ثمن، فلفظها، ومنها أن خنزيراً لبعض أهل القرى مرّ بهم فضربه أحدهم بسيفه فعقره فقالوا: هذا فساد في الأرض، فمضى الرجل إلى صاحب الخنزير وأرضاه[١].

يقول الإمام ابن الجوزي في هذا الصدد:

«ولهم قصص تطول ومذاهب عجيبة لهم لم أرَ التطويل بذكرها، وإنما المقصود النظر في حيل إبليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم واعتقدوا أن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه على الخطأ، ومن معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ وأنهم على الصواب، واستحلوا دماء الأطفال ولم يستحلوا ثمرة بغير ثمنها، وتعبوا في العبادات وسهروا وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر، واستحل قتل علي كرّم الله وجهه، ثم شهروا السيوف على المسلمين، ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله ﷺ: اعدل فما عدلت، وما كان إبليس ليهتدي إلى هذه المخازي نعوذ بالله من الخذلان[٢].

ح ـ مبالغتهم في العبادة:

من ملامح الخوارج الغالبة، تشدّدهم في العبادة، ومبالغتهم فيها، فقد روي أن

(١) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٩٩.

(٢) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١١٠.

ابن عباس عندما ذهب إليهم رسولاً من قبل علي، رأى منهم جباهاً قرحة لطول السجود، وأيدياً كثفنات الإبل(١)، عليهم قمص مرحضة(٢).

ومما يروى في هذا الصدد ما ذكره رسول الله ﷺ في حديث ذي الخويصرة الذي سبق ذكره: «دعه، **فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرَّمية...**»(٣).

ومما يذكر عن مبالغتهم في العبادة أن زياد بن أبيه لما قتل عروة بن أديّة دعا مولاه فقال له: صف لي أمره واصدق. قال المولى: أأطنب أم أختصر؟ فأجابه زياد: بل اختصر. قال المولى: ما أتيته بطعام في نهار قط، ولا فرشت له فراشاً بليل قط(٤).

ويصف أبو حمزة الخارجي أتباعه في خطبة ألقاها في المدينة بقوله: يا أهل المدينة، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي، قلتم شباب، أحداث، وأعراب جفاة! ويلكم يا أهل المدينة! وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلاّ شباباً أحداثاً! شباب لله مكتهلون في شبابهم، غضية عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أقدامهم، قد باعوا الله عزّ وجل أنفساً تموت بأنفس لا تموت، قد خالفوا كلالهم بكلالهم، وقيام ليلهم بصيام نهارهم(٥)، منحنية أصلابهم على أجزاء من القرآن، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفاً من النار، وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقاً إلى الجنة، فلما نظروا إلى السيوف قد انتُضيت، والرماح قد شرعت، وإلى السهام قد فوِّقت، وأرعدت الكتيبة بصواعق

---

(١) قرحة: من قرح جلده، إذا خرجت به قروح. كثفنات الإبل: الثفنات، ما يصيب الأرض منها إذا بركت الركبتين والمرفقين، فغلظ من أثر البروك. رغبة الآمل، ٧/ ١٤٠.

(٢) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٣٢، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ٢٣٣، وقمص مرحّضة: يقال: رحض الثوب، رحضه كمنعه: غسله كما رحضه فهو رحيض ومرحوض، والمرحاض بالكسر خشبة يضرب بها الثوب والمغتسل. الفيروزأبادي: القاموس المحيط، ٢/ ٣٣١، فصل الراء، باب الضاد.

(٣) أشار ابن الجوزي إلى هذا المعنى في كتابه تلبيس إبليس، ص١١٠، ١١١، والحديث سبق تخريجه.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٨، المبرد: الكامل، ٣/١٠٩٨، وابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٦.

(٥) أضاف الجاحظ: قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، واستقلوا ذلك في جنب الله. البيان والتبيين، ٢/ ١٢٥.

الموت، استخفوا وعيد الكتيبة لوعيد الله عزّ وجل، ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكتيبة، فطوبى لهم وحسن مآب! فكم من عين في منقار طير طالما بكت في جوف الليل من خوف الله عزّ وجل، وكم من يد زالت عن مفصلها اعتمد بها صاحبها في سجوده لله[(١)].

خ ـ تعطشهم للقتال:

وكانت الخوارج ـ كما يقول ابن عبد ربّه[(٢)] ـ تقاتل على السوط يؤخذ منها، والعِلْقِ الخسيس[(٣)] أشد قتال، وسقط في بعض أيامهم رمح لرجل من مراد من الخوارج، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل، وذلك مع المغرب، والمرادي يرتجز:

اللـيـل لـيـلٌ فـيـه ويـلٌ ويـلٌ وسـال بـالـقـوم الـشـراةِ الـسـيـل
إن جـاز لـلأعـداء فـيـنـا قـول[(٤)]

د ـ اتصافهم بالشجاعة والفداء والإخلاص والكرم:

من الملامح البارزة في الخوارج الشجاعة وحب الوغى والاستهانة بالدنيا دفاعاً عن رأي يعتقدونه، أو مبدأ يدينون به، فضلاً عن الرغبة في الموت، والاستهداف للمخاطر من غير داع قوي يدفع إلى ذلك، وربما كان منشؤه ـ كما يقول الإمام محمد أبو زهرة ـ هوساً عند بعضهم، واضطراباً في أعصابهم، لا مجرّد الشجاعة، وأنهم ليشبهون في ذلك النصارى الذين كانوا تحت حكم العرب بالأندلس إبان ازدهارها بالحضارة العربية، فقد أصاب فريقاً منهم هوس جعلهم يقدمون على أسباب الموت

---

(١) الطبري: تاريخ، ٤/٣٢٩، ٣٣٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/٣٦، والجاحظ: البيان والتبيين، ٢/١٢٥.

(٢) ابن عبد ربّه: (٢٤٦ ـ ٣٢٨هـ = ٨٦٠ ـ ٩٤٠م) أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب بن حُدير بن سالم، أبو عمر: الأديب الإمام، صاحب العقد الفريد، من أهل قرطبة، كان جدّه الأعلى (سالم) مولى لهشام بن عبد الرحمٰن بن معاوية، وكان ابن عبد ربه شاعراً مذكوراً فغلب عليه الاشتغال في أخبار الأدب وجمعها، وكانت له في عصره شهرة ذائعة الصيت، أصيب بالفالج قبل وفاته بأيام. الزركلي: الأعلام، ١/٢٠٧.

(٣) العلق الخسيس: بكسر العين، الجراب أو السيف أو الترس، أو ما تتبلّغ به الماشية من الشجر.

(٤) المبرد: الكامل، ٣/١٣٤١، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/١٨٦.

وراء عصبية جامحة، فأراد كل واحد منهم أن يذهب إلى مجلس القضاء ليسبّ (محمداً) ويموت، فتقاطروا في ذلك أفواجاً حتى تعب الحجاب من ردهم، وكان القضاة يصمُّون آذانهم حتى لا يحكموا عليهم بالإعدام، والمسلمون مشفقون من هؤلاء المساكين ويظنونهم من المجانين.

ولقد كان من الخوارج من يقاطع علياً في خطبته، بل من يقاطعه في صلاته، ومن يتحدّى المسلمين بسبّ عليّ وعثمان، ورمي أتباعها بالشرك، ولقد قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت، وبقروا بطن جاريته، فقال لهم عليّ كرّم الله وجهه: ادفعوا إلينا قتلته، فقالوا: كلنا قتلته، فقاتلهم حتى كاد يبيدهم، ولم يمنع ذلك بقيتهم من أن يسيروا سيرهم وينهجوا مناهجهم، ويتبعهم من هم على شاكلتهم من أعراب البادية الذين اعتراهم مثل ذلك الهوس الفكري[١].

وليس أدلّ على شجاعة الخوارج من شهادة خصومهم، فقد قيل للمهلب بن أبي صفرة: ما أعجب ما رأيت من حرب الأزارقة؟ فقال: فتًى كان يخرج إلينا منهم في كل غداة فيقف فيقول:

وسائلة بالغيب عني ولو درت ... مقارعتي الأبطال طال نحيبها
إذا ما التقينا كنت أول فارس ... يجود بنفس أثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شيء إلاّ أقعده، فإذا كان من الغد عاد لمثل ذلك[٢].

والمهلب ـ على حدّ تعبير الدكتور أحمد شلبي ـ بطل مغوار، يرجع إليه الفضل في تحطيم صخرة الخوارج وهزّ سلطانهم، ومع هذا فالمهلب قاسى منهم كثيراً وعانى من صمودهم له وثباتهم أمام حملاته؛ يذكر الطبري وابن عبد ربّه أن عبد الملك بن مروان أعطى للمهلب خراج بلاد فارس وخراج كثير من الكور الأخرى المجاورة ليستعين بها على حرب الخوارج، ويبدو أن الحجاج[٣] نفس على المهلّب ذلك،

---

(١) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/٦٢.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/٩٥.

(٣) الحجاج بن يوسف الثقفي: (٤٠ ـ ٩٥هـ = ٦٦٠ ـ ٧١٤م) أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب ولد ونشأ بالطائف، وانتقل إلى الشام، فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان، ثم جعله عبد الملك على عسكره، كان سفاحاً سفاكاً باتفاق معظم المؤرخين، مات بواسط. الزركلي: الأعلام، ٢/١٦٨.

وظنّ أنه يتهاون في حرب الخوارج، فكتب له يستعجله حربهم، فأجابه المهلب: إن من البلية أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره، ولكن الحجاج لم يسكت عنه، وأرسل إليه البراء بن قبيصة[١] مع خطاب يقول فيه: «لقد اصطلمت هذه الخارجة وأنت تحب طول بقائهم لتأكل الأرض حولك، فانهض لهم وجاهدهم وإياك والعلل والأباطيل»، فأخرج المهلّب بنيه في الكتاتيب، وخرج هو يدير المعركة العظمى وأخرج البراء ليشهد، فرأى البراء قتالاً أشد ما يكون القتال، ورأى الرجال تحمل على الرجال في حرب شعواء، وتكرر ذلك المنظر في عدّة أيام، فقال البراء للمهلب: ما رأيت كبنيك فرساناً قط، ولا كفرسانك من العرب فرساناً، ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط أصبر ولا أبأس، ووالله ما يعينك عليهم إلا الله، وأنت بهم معذور، وعاد البراء ليخبر الحجاج بذلك[٢].

وخرج مرداس أبو بلال في أربعين رجلاً أيام عبيدالله بن زياد، فأرسل لهم هذا أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين، ودارت معركة بين الفريقين في مكان يقال له آسك، والعجب أن تدور الدائرة على أسلم وأصحابه، فقال أحد شعراء الخوارج في ذلك:

أألفا مؤمن منكم زعمتم	ويقتلهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم	ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم	على الفئة الكثيرة ينصرونا[٣]

وتروى عن الخوارج مجموعة ضخمة من المواقف، يستعذبون فيها الموت حباً للقاء الله، فمن ذلك أن علي بن أبي طالب حمل على خارجي، وضربه ضربة قاتلة، فلما أحسّ الخارجيّ بالموت قال: حبذا الروحة إلى الجنة[٤].

---

(١) البراء بن قبيصة: بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب، من ثقيف، ولاه الحجاج البصرة، وولاه أيضاً الكوفة ثم عزله، وولاه أصبهان، وغضب الحجاج عليه يوم الزاوية، فهرب منه إلى المدينة، وولي البراء الطائف بعد الحجاج، وكان البراء خطب أم عبد الغفار بنت عبد الملك بن عبد الله بن عامر، وكانوا أرادوا تزويجه إياها فتزوجها عبد الأعلى، فحقد عليه الحجاج ذلك. البلاذري: أنساب الأشراف؛ القسم السابع ٢/ ٣٥٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ١٢١ و١٤٥.

(٣) الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٣٣.

(٤) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٠٥.

وطعن خارجي آخر برمح، فجعل يسعى إلى قاتله ويقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤][(١)].

ولما خرج حوثرة الأسدي[(٢)] يقود جماعة من الخوارج في عهد معاوية، استعان معاوية بأبي حوثرة ليرد ابنه، فجاء الأب يطلب من الابن الكف عن الثورة فلم يجبه، فقال الأب لحوثرة: أجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن إليه؟ فقال حوثرة: يا أبت، أنا والله إلى طعنة نافذة أتقلّب فيها على كعوب الرماح أشوق مني إلى ابني[(٣)].

وكان بين الخوارج مجموعات كبيرة من النساء، ولم يكنّ أقلّ من الرجال شجاعة واستعداداً للموت، ومن هاتيك النسوة: أم حكم زوجة قطريّ بن الفجاءة، وكانت تشارك في الحروب بشجاعة فائقة وإيمان بالغ، ومن رجزها وهي تحمل على صفوف الأعداء:

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتىً يحمل عني ثقله

وهم يفدونها بالآباء والأمهات[(٤)].

وكان شبيب بن يزيد الشيباني يخوض حروبه الطاحنة الطويلة ضد جيوش الحجاج، ومعه مجموعة من النساء اللائي لم يكن أقلّ من الرجال حماسة وبطولة، ومن هؤلاء زوجته غزالة[(٥)] وأمّه جهيزة، وقد ماتت زوجته في ساحة الوغى بين صليل السيوف وطعن الرماح[(٦)].

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٤٢.
(٢) حوثرة الأسدي: (٠٠٠ ـ ٤١هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦١م) حوثرة بن وداع بن مسعود، من الشجعان الأشداء الزعماء، كان من شيعة علي في بدء عهده، وشهد معه كثيراً من الوقائع، ثم فارقه بعد التحكيم، ولما قتل علي تحالف حوثرة مع حابس الطائي على قتال معاوية، فجمعا أصحابهما في النخيلة (قرب الكوفة) وجرت وقائع قتل حوثرة في آخرها. الزركلي: الأعلام، ٢/ ٢٨٨.
(٣) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٦٥، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ١٨١.
(٤) الأصفهاني: الأغاني، ٦/ ١٥٠.
(٥) وقع في بعض المصادر أن غزالة زوجته وليست أمه.
(٦) الطبري: تاريخ، ٣/ ٥٨٥، واليعقوبي: تاريخ، ٢/ ٢٧٥، ولمزيد من التفصيل انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي للدكتور أحمد شلبي، ص٢٦٥ ـ ٢٦٨.

ويروى أن مرداساً مرّ بأعرابي يَهْنَأُ[1] بعيراً له فهرجَ البعير[2]، فسقط مرداس مغشياً عليه، فظن الأعرابي أنه قد صرِع فقرأ في أذنه، فلما أفاق قال له الأعرابي: قرأت في أذنك. فقال له مرداس: ليس بي ما خفته عليّ، ولكني رأيت بعيرك هرج من القطران، فذكرت به قطران جهنم فأصابني ما رأيت. فقال: لا جرم والله لا فارقتك أبداً[3].

وكانت النسوة تخرج مع جيوش الخوارج، إلى أن وقعت امرأة أسيرة، فقتلها زياد، وعرّاها، فلم تخرج النساء بعد على زياد، وكنّ إذا دعين إلى الخروج قلن: لولا التعرية لسارعنا[4].

وخرجوا ذات مرة ومعهم امرأتان، يقال لإحداهما كُحَيْلة، والأخرى قطام، فجعل أصحاب ابن عامر يعيّرونهم، فتناديهم الخوارج بالدفع والرّدع[5].

كما اتصف الخوارج بالكرم، ومما يروى في هذا الصدد، أن عبيد الله بن زياد أخذ عروة بن أدية أخا أبي بلال، فقطع يده ورجله وصلبه على باب داره، فقال لأهله وهو مصلوب: انظروا إلى هؤلاء الموكلين بي فأحسنوا إليهم، فإنهم أضيافكم[6].

فلم يمنعه ما هو فيه من محنة وعذاب من الوصاية بهؤلاء!

ذ ـ اتصافهم بالوفاء:

ومن الصفات التي امتاز بها الخوارج شدّة الوفاء، ومن عجيب ما يروى في هذا الصدد، أن عبيد الله بن زياد، قبض على مرداس أبي بلال، وأودعه السجن، فرأى السجّان عبادة مرداس وصلاحه، فكان يأذن له في مطلع الليل فينصرف إلى داره ويعود إلى السجن في مطلع الفجر دون أن يعلم ذلك أحد، وكان لعبيد الله بن زياد جليس وثيق الصلة بأسرة مرداس، فسمع هذا الجليس من ابن زياد ذات ليلة أنه ينوي قتل مساجين الخوارج إذا أصبح، وصدرت الأوامر للسجان بإحضارهم صباحاً بين

---

(١) هنأت البعير: أهنؤه إذا طليته بالهِناء بالكسر، وهو القطران.
(٢) هرج البعير: تحير من شدّة الحر وثقل الحمل.
(٣) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٧٥.
(٤) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٧١، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ١٨٥.
(٥) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٧٢.
(٦) ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ١/ ١٩٥.

يديه، فعرف مرداس وهو في بيته ذلك الخبر من جليس ابن زياد، وقيل لمرداس: أنج بدمك ولا تعد إلى السجن، فقال مرداس: إني أكره أن أواجه ربي وأنا خائن، وعزم على أن يعود في مطلع الفجر كعادته. أما السجّان، فأمضى ليلة سوء إشفاقاً من أن يعلم مرداس الخبر فلا يرجع، فلما كان الوقت الذي يرجع فيه إذا به يعود، فقال له السجّان، بعد أن شمله السجن: هل بلغك ما عزم عليه الأمير؟ قال: نعم. قال: ثم غدوت؟ قال: نعم، ولم يكن لي أن أخون ولا أن أقابل إحسانك لي بفرار تعاقب أنت بسببه، وفي الصبح جلس ابن زياد وقدّم الخوارج للموت، حتى جاء دور مرداس، فوثب السجان ـ وكان ظئراً[1] لعبيد الله ـ وأخذ بقدمه وقال: هب لي هذا، وقصّ قصته، فوهبه له وأطلقه[2].

ر ـ غلبة الفوضى والاضطراب على سلوكهم:

من أبرز الملامح وضوحاً في الخوارج، ما يمكن أن نسمّيه «الفوضى والاضطراب»، وعدم الخضوع للنظام، ولولا ذلك لكانت قوّتهم غالبة، ولكان من العسير القضاء عليهم، ومن فوضاهم أنهم ناصبوا الناس جميعاً العداء، وأعلنوا الحرب على كل من لم يكن من جماعتهم، ومن فوضاهم أنهم كانوا كثيري الفرقة، يخرج بعضهم على بعض لأتفه الأسباب، ويعتبرون الصديق عدواً دون جريرة تذكر، وكان خروجهم على عليّ نموذجاً احتذوه في جميع تاريخهم فاستسهلوا الخروج على الزعماء في كثير من الأحايين، وكفروا الرؤساء، واستحلوا دماءهم. والأمثلة على ذلك تزدحم بها كل المراجع التي بين أيدينا، وقد مرّ منها نماذج عديدة؛ ومن فوضاهم البالغة أنهم كانوا يحكمون بتكفير الناس لأتفه الأسباب، أو بدون سبب، حتى قال بعضهم: إن الإمام إذا كفر كفرت الرعية[3]، فأيّ تطرف هذا، وهل ثمّة تطرف بعد هذا؟! وليت شعري كيف يزول اعتقاد المؤمنين إذا ضلّ إمامهم[4]؟!

---

(١) الظِئر: بالكسر العاطفة على ولد غيرها، المرضعة له في الناس وغيرهم، للذكر وللأنثى. الفيروزأبادي: القاموس المحيط، ٢/٨٣، فصل الطاء والظاء، باب الراء.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/٢٥٤، ٢٥٥، المبرد: الكامل، ٣/١١٧٤.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٦.

(٤) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٢٦٩.

ومن الأمثلة التي ذكرها علماء الفرق في هذا الصدد ما يضحك الثكلى، فقد نقم أصحاب نجدة بن عامر عليه بعض تصرفاته، فاستتابوه فتاب، ثم ندموا على استتابته وقالوا: أخطأنا، وما كان لنا أن نستتيب الإمام، وما كان له أن يتوب باستتابتنا إياه، فتابوا من ذلك وطلبوا منه أن يتوب من توبته وإلاّ نابذوه فتاب من توبته، ولكن ذلك لم يكفهم أيضاً، فقال بعضهم: إن هذا إقرار منه بصحة أحد الذنبين: صحة ذنب تاب منه أولاً، أو صحة توبة من غير ذنب، فكفّروه ووثبوا عليه فقتلوه[(١)].

تلك هي أبرز الملامح في شخصية الخوارج، ولعلها تشي بحجم الاضطراب والتناقض الذي يمكن للباحث أن يلمسه في هذه الشخصية الغريبة؛ فلماذا كانت هذه الصفات المتناقضة: تقوى وإخلاص وانحراف وهوس، وتشدّد وخشونة، وجفوة، وتهوُّر في الدعوة إلى ما يعتقدون، وحمل للناس على آرائهم المنحرفة، المتحيّزة بالعنف والقسوة من غير رفق، وبحال لا تتفق مع سماحة الدين ولا مع ما يبعثه الإخلاص والتقوى من الرحمة في القلوب؟!

يجيبنا الإمام محمد أبو زهرة عن هذا السؤال بما نصّه: «السبب في هذا فيما أعتقد أن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية، وقليل منهم من كان من عرب القرى، وهؤلاء كانوا في فقر شديد قبيل الإسلام، لم تزد حالتهم المادية حسناً؛ لأنهم استمروا في باديتهم بلأوائها وشدّتها وصعوبة الحياة فيها، وأصاب الإسلام شغاف قلوبهم مع سذاجة في التفكير وضيق في التصوير، وبُعد عن العلوم، فتكوّن من مجموع ذلك نفوس مؤمنة متعصبة لضيق نطاق العقول، ومتهورة مندفعة؛ لأنها نابعة من الصحراء، وزاهدة لأنها لم تجد، إذِ النفس التي لا تجد إذا غمرها إيمان، ومسّ وجدانها اعتقاد صحيح انصرفت عن الشهوات المادية وملاذ هذه الحياة، واتجهت بكليتها إلى نعيم الآخرة.

ولقد كانت هذه المعيشة التي يعيشونها في بيدائهم دافعة لهم على الخشونة والقسوة والعنف، إذ النفس صورة لما تألف، ولو أنهم عاشوا عيشة رافهة فاكهة في نعيم، أو في نوع منه لخفف ذلك من عنفهم وألان صلابتهم ورطب شدتهم»[(٢)].

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٤.

(٢) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/٦٣.

ويستدل أبو زهرة على صحة ما ذهب إليه بما يروى أن زياد بن أبيه قد بلغه عن رجل يكنّى أبا الخير من أهل البأس والنجدة أنه على رأي الخوارج، فدعاه فولاّه ورزقه أربعة آلاف درهم كل شهر، وجعل عمالته في كل سنة مائة ألف، فكان أبو الخير يقول: ما رأيت شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة، فلم يزل والياً حتى أنكر منه زياد شيئاً، فتنمّر لزياد فحبسه، فلم يخرج من محبسه حتى مات.

ويعلّق أبو زهرة على هذه الرواية بقوله: «انظر إلى النعمة كيف ألانت من الطباع وهذّبت من النفس وجعلت من هذا الرجل سمحاً رفيقاً بعد أن كان متعصباً عنيفاً»[١].

إن ما ذهب إليه أبو زهرة في هذا الصدد، وإن كان يمثل أحد العوامل في صبغ شخصية الخوارج بهذه الصبغة، إلاّ أنه لا يمثل عاملاً رئيساً، وفي تقديري أن تنكّب الخوارج للطريق القويم، ومخالفتهم للجادة، وركوبهم متن الشطط والباطل والانحراف والغلو والتطرف، يظلّ السبب الرئيس في ظهور الاضطراب والتناقض في شخصيتهم، أما ما عداه من عوامل، فإنها تظل ثانوية بالمقارنة مع هذا العامل.

(١) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٦٤.

الفصل الثاني

تاريخ الخوارج

الفصل الثاني
تاريخ الخوارج

بعد أن تعرّفنا على الخوارج عن كثب، من خلال الصورة واضحة الملامح التي حصلنا عليها في الفصل الأوّل، صار من الممكن أن ننتقل إلى الحلقة الثانية من حلقات هذا البحث، للوقوف على تاريخ الخوارج منذ بداية ظهورهم الفعلي أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مروراً بالخلافة الأموية، وانتهاء بالخلافة العباسية.

المبحث الأول
أمر الخوارج زمن علي رضي الله عنه

قبل أن نبسط القول في تاريخ الخوارج منذ بداية ظهورهم زمن علي رضي الله عنه، لا بدّ إلا وأن نتحدّث عن الظروف السياسية التي رافقت ظهورهم في تلك الفترة، لما لذلك من أهمية في إلقاء بعض الظلال على تاريخهم، ونبدأ بخلافة علي رضي الله عنه.

بيعة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

لما قتل عثمان رضي الله عنه، اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، ومنهم طلحة[1] والزبير، فأتوا علياً فقالوا له: إنه لا بدّ للناس من إمام،

---

(١) طلحة بن عبيد الله: (٢٨ق هـ - ٣٦هـ = ٥٩٦ - ٦٥٦م) بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد: صحابي، شجاع، من الأجواد، وهو أحد العشرة المبشرين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، كان من دهاة قريش ومن علمائهم، يقال له «طلحة الجود» و«طلحة الخير» و«طلحة الفياض»، لقبه بذلك رسول الله ﷺ، شهد أحداً وسائر المشاهد، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة، ودفن بالبصرة، الزركلي: الأعلام، ٣/ ٢٢٩.

فقال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به، فقالوا: ما نختار غيرك، وتردّدوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك: إنا لا نعلم أحداً أحق به منك، ولا أقدم سابقة، ولا أقرب قرابة من رسول الله ﷺ.

فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المسجد، فبايعه الناس، وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله، فقال قائل: إنا لله، أول من بدأ بالبيعة يد شلاّء، لا يتمّ هذا الأمر.

«وهذا جهل من هذا القائل، لأن يد طلحة أعظم بركة، وأندى عطاء من يد من ليس مثله؛ لأنها يد دافعت عن رسول الله ﷺ يوم أحد وحمته من السهام»(١).

ثم بايعه الزبير، وقيل إنهما بايعاه كرهاً؛ وهذا كله لا يصحّ؛ فلقد ثبت أنه عندما جاء الأحنف بن قيس(٢) إلى طلحة والزبير ـ قبيل مقتل عثمان ـ فقال لهما: لا أرى هذا ـ أي عثمان ـ إلا مقتولاً، فمن تأمراني أن أبايع؟ فقالا: علياً، فقال: أتأمراني بذلك وترضيانه لي؟ فقالا: نعم.

تردّده رضي الله عنه في قبول الخلافة وعزوفه عنها:

بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ألقت الفتن بهمومها وكلكلها على الدولة الإسلامية، وسادت في المدينة حالة من الفوضى، كان فيها المتآمرون سادة الموقف، فبقيت المدينة بعد مقتل عثمان خمسة أيام، وأميرها الغافقي بن حرب العكيّ، «وعرضت الخلافة على عليّ فتردّد في قبولها بادىء الرأي، لما وقع من الأحداث الرهيبة على يد الثوار المجرمين الذين قتلوا الخليفة عثمان بوحشية مفزعة، وهم أولاء بالمدينة متمكنون وأيديهم لم يجف عنها دم الشهيد عثمان! فقدّر عليّ كلّ هذه التبعات، وفكّر وقدّر، فرأى أن كل لحظة تمر ومنصب الخلافة شاغر، تشكل خطراً

(١) عبد الستار الشيخ: علي بن أبي طالب، ص١٤٠.

(٢) الأحنف بن قيس: (٣ق هـ ـ ٧٢هـ = ٦١٩ ـ ٦٩١م) بن معاوية بن حصين المرّي السعدي، المِنقري التميمي، أبو بحر: سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب به المثل في الحلم. ولد في البصرة وأدرك النبي ﷺ ولم يره، وفد على عمر، وشهد الفتوح في خراسان، واعتزل الفتنة يوم الجمل، ثم شهد صفين مع علي، وولي خراسان أيام معاوية، وكان صديقاً لمصعب بن الزبير (أمير العراق) فوفد عليه بالكوفة، فتوفي فيها وهو عنده. الزركلي: الأعلام، ٢٧٦/١.

على الإسلام ودولته وأهله، فقبل الخلافة وهي مثخنة بالجراح، مشرعة بالمصاعب، لا يقوى على حملها إلا من هو مثل عليّ توكلاً على الله وثقة به، وشجاعة باهرة في مواجهة الصعاب»[١].

أخرج الحاكم[٢] عن قيس بن سعد بن عبادة[٣]، قال: سمعت علياً يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحيي أن أبايع قوماً قتلوا عثمان، وإني لأستحيي أن أبايع وعثمان لم يُدفن بعد، فانصرفوا، فلما رجع الناس فسألوني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة، فبايعت، فقالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صُدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى[٣].

إلا أن الكلمة لم تجتمع عليه رضي الله عنه[٤]، لذلك كثيراً ما رأيناه يقف خطيباً، مذكراً جماهير المسلمين بعدم رغبته في الخلافة بادىء ذي بدء، وإلحاحهم عليه في تولّي أمرها.

وما أوضح ما ذكره عليّ رضي الله عنه ـ في هذا الصدد ـ لمّا وطّن نفسه على المسير إلى الشام لقتال معاوية رضي الله عنه، حيث يقول: وقد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس، وجئتموني راغبين إليّ من أمركم حتى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني فالتويت عليكم لأبلو ما عندكم، فرادتموني القول مراراً وراددتكم، وتكأكأتم[٥] عليّ تكأكؤ الإبل الهيم على حياضها حرصاً على بيعتي، حتى خفت أن يقتل بعضكم بعضاً، فلما رأيت ذلك منكم رويت في أمري وأمركم، وقلت: إن أنا لم أجبهم إلى القيام بأمرهم لم يصيبوا أحداً منهم يقوم فيهم مقامي ويعدل فيهم

---

(١) عبد الستار الشيخ: علي بن أبي طالب، ص١٤٠.

(٢) الحاكم النيسابوري: (٣٢١ ـ ٤٠٥هـ = ٩٣٣ ـ ١٠١٤م) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، أبو عبد الله: من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، مولده ووفاته في نيسابور. الزركلي: الأعلام، ٦/ ٢٢٧.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٠٣، وأورده السيوطي في تاريخ الخلفاء ص١٣٥، كما في الصواعق المحرقة، ١/ ٣٢٩، كما رواه ابن كثير في البداية والنهاية، ٧/ ١٩٣.

(٤) النوبختي: فرق الشيعة، ص١٧، ١٨.

(٥) في نهج البلاغة: تداككتم، وهما بمعنى، والتداك: الازدحام، كأن كل واحد يدك الآخر أي يدقّه، والهيم أي العطاش، جمع هيماء.

عدلي، وقلت: والله لأليَنّهم[١]، وهم يعرفون حقي وفضلي أحب إليّ أن يلوني وهم لا يعرفون حقي وفضلي، فبسطت لكم يدي فبايعتموني يا معشر المسلمين، وفيكم المهاجرون والأنصار، والتابعون بإحسان.

وبعد أن يبيّن لهم تخاذلهم عن نصرته، واختلافهم في بيعته، يقول ـ مشيراً إلى بيعة أبي بكر وعمر من قبله، وعدم اختلاف الناس فيهما ـ ما نصّه: ما كانت بيعتي لكم يومئذ أوكد من بيعة أبي بكر وعمر، فما بال من خالفني لم ينقض عليهما حتى مضيا ونقض عليّ ولم يفِ لي[٢]؟!

وليس أدلّ على كراهية عليّ رضي الله عنه لما عرض عليه من أمر الخلافة، ممّا ذكره الطبرسي[٣]، من خطبة لعليّ، حيث ذكر بيعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ثم أضاف قائلاً: فلما كان من أمره ـ أي عثمان ـ ما كان أتيتموني، فقلتم: بايعنا، فقلت: لا أفعل، فقلتم: بلى، فقلت: لا، وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم فجذبتموها، وتداككتم عليّ تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتليّ وأن بعضكم قاتل بعض، فبسطت يدي فبايعتموني مختارين[٤].

ويذكر الطبري أن الناس كانوا يأتون علياً فيختبىء منهم، ويلوذ بحيطان المدينة ـ أي بساتينها ـ فإذا لقوه باعدهم وتبرّأ منهم ومن مقالتهم مرّة بعد مرّة[٥].

ويقول الطبري بعد ذلك: إن الناس أتوا علياً وهو في سوق المدينة، وقالوا له: ابسط يدك نبايعك، قال: لا تعجلوا فإن عمر كان رجلاً مباركاً، وقد أوصى بها شورى، فأمهِلوا يجتمع الناس ويتشاورون، فارتدّ الناس عن عليّ.

---

(١) لأليَنّهم: أي سأتولى أمرهم، كناية عن الخلافة.

(٢) الشريف الرضي: نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ٢/ ٣٠٥، المفيد: الإرشاد، ص١٣٩، والطبرسي: الاحتجاج، ١/ ١٧٢.

(٣) الطبرسي: (٠٠٠ ـ ٥٤٨هـ = ٠٠٠ ـ ١١٥٣م) الفضل بن الحسن، أمين الدين، أبو علي: مفسّر، محقق لغوي، من أجلاء الإمامية، نسبته إلى طبرستان، توفي في سبزوار، ونقل إلى المشهد الرضوي. الزركلي: الأعلام، ٥/ ١٤٨.

(٤) الطبرسي: الاحتجاج، ١/ ١٦١.

(٥) الطبري: تاريخ، ٢/ ٦٩٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٢٧.

ثم يقول: فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر: أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وأمركم عابر على الأمة، فانظروا رجلاً تنصبونه، ونحن لكم تبع، فقال الجمهور: علي بن أبي طالب نحن به راضون[١].

فقال علي في رواية: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: ننشدك الله، ألا ترى ما نرى! ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف الله! فقال: قد أجبتكم لما أرى، واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم[٢].

إن هذه النصوص التي اقتطعناها من أمّات مصادر التاريخ، والتي تعبّر بوضوح عمّا جرى في تلك الفترة العصيبة من تاريخ المسلمين، لتؤكد أن علياً رضي الله عنه كان متردداً في قبول الخلافة، مشفقاً من تبعاتها، مدركاً خطورة الجريمة النكراء التي ارتكبت بحق عثمان رضي الله عنه، وما سيترتب عليها من نتائج في المستقبل. وبالفعل، فقد سارع النعمان بن بشير[٣] رضي الله عنه، ومعه قميص عثمان مضمخاً بدمه، وأصابع نائلة بنت الفرافصة[٤] التي أصيبت حين كانت تدافع عن زوجها بيدها،

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٧٠٠.

(٢) المرجع نفسه، ٢/ ٧٠٠.

(٣) النعمان بن بشير: (٢ ـ ٦٥هـ = ٦٢٣ ـ ٦٨٤م) بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الله: أمير، خطيب، شاعر، من أجلاء الصحابة، من أهل المدينة، ولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، وعزله وولاه حمص، واستمر فيها إلى أن مات يزيد، فبايع النعمان لابن الزبير، فتمرّد عليه أهل حمص، ففرّ هارباً، فلحقه خليّ الكلاعي فقتله. الزركلي: الأعلام، ٨/ ٣٦.

(٤) نائلة بنت الفرافصة: بن الأحوص الكلبية: زوجة أمير المؤمنين عثمان، كانت خطيبة شاعرة من ذوات الرأي والشجاعة، حملت إلى عثمان من بادية السماوة فتزوجها، وعندما حصره المتمردون في داره، ودخلوا عليه طعنه أحدهم بسيفه، فأمسكت بالسيف فحزّ أصابعها، وبعد أن سكنت الفتنة، خطبها معاوية لنفسه فأبت وحطمت أسنانها، وقالت: إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وأخاف أن يبلى حزني على عثمان فيطلع رجل مني على ما اطلع عليه عثمان، الزركلي: الأعلام، ٧/ ٣٤٣. وذكر ابن عساكر أن عثمان تزوجها وهي نصرانية، ثم أسلمت على يديه. تاريخ مدينة دمشق، ٧٠/ ١٣٧.

فقطعت مع بعض الكفّ، فورد به على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلّق الأصابع في كمّ القميص، وندب الناس إلى الأخذ بالثأر من قتلة عثمان، الذين كانوا لا يزالون يسيطرون على المدينة المنوّرة، وتابعه على ذلك نفرٌ من الصحابة، منهم: عُبادة بن الصامت، وأبو الدرداء[(١)]، وأبو أمامة الباهلي[(٢)]، وعمرو بن عبسة[(٣)] رضي الله عنهم[(٤)].

أما في المدينة، فقد انقسم الناس إلى ثلاث فرق: فرقة كانت تطالب بالتعجيل في أخذ القصاص من قتلة عثمان، وفرقة ترى التمهّل في ذلك، حتى يهدأ المتمرّدون، وتستقيم أمور الدولة، حتى لا يجد المتمردون لهم أنصاراً، وفرقة أخرى لزمت الحياد، ولم تستطع أن تتبيّن وجه الحق حتى تنحاز إلى جانبه.

ففي الوقت الذي كانت فيه المدينة تئن تحت وطأة الجريمة البشعة التي نفذها أهل الرّيب والفتنة بحق الخليفة المظلوم، وبعد أن تمت البيعة لعليّ رضي الله عنه، دخل طلحة والزبير رضي الله عنهما ورؤوس الصحابة على علي فطلبوا إليه إقامة الحدود والأخذ بدم عثمان، ومعاقبة أولئك الجناة المجرمين والتنكيل بهم، حتى تستريح منهم الأمة.

ولم يك عليّ بالذي يجهل خطورتهم على الأمة، ولا يقلّل من شأنهم، لكنه كان يرى التمهّل في هذا الأمر حتى تستقر أمور الدولة، وتقوى شوكتها، وتضعف قوة المتمرّدين، ويتفرّقوا في قبائلهم، فآنئذٍ يؤخذون ويقتلون تقتيلاً، ولقد رأى الإمام قوّة

---

(١) أبو الدرداء: (٠٠٠ ـ ٣٢هـ = ٠٠٠ ـ ٦٥٢م) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي: صحابي، من الحكماء الفرسان القضاة، اشتهر بالشجاعة والنسك، مات بالشام. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٩٥.

(٢) أبو أمامة الباهلي: (٠٠٠ ـ ٨١هـ = ٠٠٠ ـ ٧٠٠م) صُديّ بن عجلان بن وهب الباهلي: صحابي، كان مع علي في صفين، وسكن الشام، فتوفي في أرض حمص وهو آخر من مات من الصحابة بالشام. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٢٠٣.

(٣) عمرو بن عبسة: بن خالد بن حذيفة، الإمام الأمير، أبو نجيح السّلمي البجلي، أحد السابقين، ومن كان يقال هو: ربع الإسلام. نزل عمرو حمص باتفاق، ويقال: شهد بدراً، لعله مات بعد سنة ستين، فالله أعلم. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٥٦ ـ ٤٦٠.

(٤) الطبري: تاريخ، ٢/ ٧٠٢، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٩٨، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٢٨.

بأسهم وكثرة مادّتهم وأنصارهم وسيطرتهم على المدينة، فأدرك خطأ الصدام معهم وهم على هذه الحالة[١].

ولم يكن ثمّ اختلاف بين أمير المؤمنين علي وبين الفريق الآخر من الصحابة في تطبيق الشريعة وإقامة الحدود، وإنما كان الخلاف في توقيت ذلك، فكان يرى الإرجاء، والآخرون يرون الإسراع في القصاص، والذي حدا بالإمام إلى اتخاذ هذا القرار ما لاحظه من كثرة عدد القتلة ومن أيّدهم من جفاة الأعراب، والرعاع من الناس، الذين يسَّمَّعون لكل ناعق، فيصدقون كل إرجاف، وينساقون وراء المكر والخداع.

ورأى الإمام كثرة المتمردين وتسلطهم على المدينة، فضاق بهم ذرعاً، فأمر منادياً فنادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، يا معشر الأعراب! الحقوا بمياهكم.

فأبت السبئية ـ وهم محرّكو الفتنة وقوّادها ـ ذلك، وأطاعهم الأعراب.

وهنا طلب طلحة والزبير من علي أن يأذن لهما أن يأتيا البصرة والكوفة لإحضار قوة كبيرة من الجند، لتضرب على أيدي أولئك المفسدين، وتردّ الأمور إلى نصابها، فلم يرض عليّ بذلك خشية وقوع حرب طاحنة تراق بسببها دماء المسلمين، فاستأذناه بالعمرة، فأذن لهما، فخرجا إلى مكة[٢].

---

(١) ليس أدل على ذلك من قوله لطلحة والزبير وغيرهما من الصحابة، الذين طالبوه بالثأر لعثمان: يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلاطكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟! قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه أبداً إلا أن يشاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، وإن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض آخذ بها أبداً، إن الناس من هذا الأمر إن حرّك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق، فاهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا. الطبري: تاريخ، ٢/ ٧٠٢، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٠٠، والشريف الرضي: نهج البلاغة، ٢/ ٢١٦.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٤، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٠١، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٢٩.

عزل عليّ رضي الله عنه لولاة الأمصار:

عزم علي على تغيير الولاة في الأمصار الإسلامية، ورأى أن يستبدل بهم صحابة حضروا البيعة في المدينة، ليكون أدعى إلى بيعة الناس في تلك البلاد البعيدة، وليجدّد بهم عهد الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبقريات الأخرى أن تنطلق وتخدم دين الله تعالى[١].

فدخل عليه المغيرة بن شعبة[٢]، ونصحه بأن يقرّ عماله على البلاد، وأكّد عبد الله بن عباس هذه النصيحة، فأشار على الإمام أن يقرّ نوّابه على البلاد، إلى أن تستقيم له الأمور، وأن يقرّ معاوية ـ خصوصاً ـ على الشام، فأبى علي ذلك، وولّى على الأمصار نوّاباً[٣].

إلا أن الكلمة لم تجتمع على عليّ، في الوقت الذي ردّ فيه أكثر الأمصار نوّابه، عليها، وامتناعهم عن بيعته، وخاصة أهل الشام، بسبب تباطئه في الاقتصاص من قتلة

---

(١) وليس كما ادّعى أحد المؤلفين من أن علياً رضي الله عنه، كان يرى في بعض عمال عثمان عدم الصلاحية، فلا يتحمل إثم استمرارهم ولا يرى المداهنة ولا الصبر عليهم. خالد البيطار: علي بن أبي طالب، ص١٠٤. وقد سبقه العقاد إلى هذا الرأي المنكر فقال وهو يتحدث عن عزل ولاة عثمان ما نصّه: «فعزل الولاة الذين استباحوا الغنائم المحظورة، وتمرّغوا بالدنيا، وطمعوا وأطمعوا رعاياهم في بيت مال المسلمين، وأثاروا على عثمان سخط السواد وسخط الفقهاء المتحرجين والحفاظ الغيورين على فضائل الدين». العقاد: عبقرية الإمام علي، ص٧٤، ويقول عبد الستار الشيخ معلقاً على هذه الفرية: «وليت هذين الرجلين حددا لنا هذا البعض الذي عنوه، فقد كان من عمال عثمان: أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عامر، ومعاوية، وعبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد، وعبدالله بن أبي سرح، وجرير البجلي وغيرهم، فهل يرى هذان الكاتبان عدم صلاحية هؤلاء الأصحاب، وهل هم حقاً تمرّغوا في الدنيا كما تبجح العقاد بهذه الفرية القبيحة!! وهذا ابن عباس والمغيرة بن شعبة ينصحان علياً بإقرار العمال حتى تهدأ الأمور، فهل يشيران عليه بغير الصالح الراشد الكفء؟!» علي بن أبي طالب، ص١٧٧.

(٢) المغيرة بن شعبة: (٢٠ق هـ ـ ٥٠هـ = ٦٠٣ ـ ٦٧٠م) بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم، صحابي، يقال له «مغيرة الرأي»، ولد في الطائف، شهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام، وذهبت عينه باليرموك، وشهد القادسية وفتوح العراق، ولاه عمر البصرة، ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين، ثم ولاه معاوية الكوفة، فلم يزل فيها إلى أن مات. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٧٧.

(٣) الطبري: تاريخ، ٢/ ٧٠٣، ٧٠٤ و٣/١٠، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٠٣، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، وابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٩٤.

عثمان، وجرت مراسلات بين علي ومعاوية، إلاّ أنها باءت بالفشل، حيث اشترط معاوية على علي أن يقتصّ من قتلة عثمان، ثم يبايعه، فقرّر علي قتال أهل الشام.

وبينما كان علي يهمّ بالخروج من المدينة لقتال أهل الشام، إذ أتاه أن جيشاً فيه طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة قد خرجوا من مكة وتوجهوا إلى البصرة، فقد كان طلحة والزبير استأذنا علياً في العمرة فأذن لهما، فخرجا إلى مكة، وتبعهما خلق كثير، وكان أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل، أقمن بمكة ينتظرن ما يصنع الناس.

فاجتمع بمكة بعد الحج خلائق من الصحابة، وأمهات المؤمنين، وقامت السيدة عائشة ـ بما لها من مكانة سامقة في نفوس المسلمين ـ تحث الناس على القيام بالمطالبة بدم عثمان، والقصاص من قتلته، ثمّ اتفقوا بعد المشورة على المسير إلى البصرة، لجمع قوّة ضاربة من الرجال الذين آسفهم قتل عثمان، فتتعاون هذه القوة مع سلطة الخلافة وجيشها في استئصال شوكة المتمرّدين، وكانت البصرة مشحونة بالسلاح والرجال، وهناك اقتصت عائشة من بعض قتلة عثمان ممّن رجع إلى العراق، وسار الناس في ألف فارس بصحبة طلحة والزبير وعائشة، وخرجوا من مكة، وتلاحق بهم آخرون، فصاروا في ثلاثة آلاف[1].

ولما سمع أهل البصرة بخروج أم المؤمنين انقسموا إلى ثلاث فرق: الأولى حبّذت خروجها، وانضمت إليها لمعونتها على الإصلاح، والثانية بقيت على ولائها لوالي البصرة عثمان بن حنيف[2]، وأنكرت على السيدة عائشة خروجها، والثالثة

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/١٠٧، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/٢٣١ و٢٣٩.

(٢) عثمان بن حُنيف: (٠٠٠ ـ بعد ٤١هـ = ٠٠٠ ـ بعد ٦٦١م) بن وهب الأنصاري الأوسي، أبو عمرو: وال من الصحابة، شهد أحداً وما بعدها، وولاه عمر السواد، ثم ولاه علي البصرة، ولما نشبت فتنة الجمل (بين عائشة وعليّ) دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على علي، فامتنع، فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، واستأذنوا به عائشة فأمرتهم بإطلاقه، فلحق بعلي وحضر معه الوقعة، ثم سكن الكوفة، وتوفي في خلافة معاوية. الزركلي: الأعلام، ٢/٢٠٥، قلت: إن ما ذكره الزركلي من دعوة أنصار عائشة لعثمان بن حنيف للخروج على عليّ لا أساس له من الصحّة.

اعتزلت الفريقين، وفي الوقت الذي عزم فيه عثمان بن حنيف على منع جيش عائشة من دخول البصرة، عزم قتلة عثمان على إنشاب القتال بين الفريقين، فأقبل حُكيم بن جبلة ـ وكان على خيل ابن حنيف وممّن باشر قتل عثمان ـ فأنشب القتال، الذي انتهى إلى إبرام الصلح بعد أن قتل خلق كثير من أصحاب ابن حنيف، وكثرت الجراح في الفريقين، إلا أن السبئية ضاقت ذرعاً بهذا الصلح، فركبوا في جيش قريب من ثلاثمائة، ومقدّمهم حكيم بن جبلة، فانقضُّوا على جيش أم المؤمنين، الذي استأصل شأفتهم، وقتل حكيم بن جبلة، ثم نادى منادي طلحة والزبير في القبائل أن من كان فيكم ممن غزا المدينة فليأتنا به، فجيء بهم فقتلوا، فما أفلت منهم إلا حرقوص بن زهير السعدي، فإن بني سعد قومه منعوه.

ولما اقترب علي بجيشه من الكوفة، جاء الخبر بما وقع من الأمر في البصرة على جليّته، فأراد أن يقف على الدوافع من وراء خروج أم المؤمنين ومن معها، فبعث القائد العبقري القعقاع بن عمرو[١]، فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة، ثم التقى عندها بطلحة والزبير، ولما أدرك دوافعهم النبيلة، عاد إلى عليّ فأخبره، فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه، ورضيه من رضيه[٢].

ثم ارتحل أمير المؤمنين بمن معه من صحبه وجنده، وحطُّوا رحالهم قريباً من البصرة في مكان يسمّى (الزاوية)، فيما كان جيش عائشة بمكان يسمّى (الفرضة)، وتدانوا حتى تراؤوا عند قصر عبيد الله بن زياد في يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة.

(١) القعقاع بن عمرو: (... ـ نحو ٤٠هـ = ... ـ نحو ٦٦٠م) التميمي: أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام، له صحبة، شهد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع الفرس، وسكن الكوفة، وأدرك وقعة صفين فحضرها مع علي، وكان يتقلّد في أوقات الزينة سيف هرقل (ملك الروم) ويلبس درع بهرام (ملك الفرس) وهما مما أصابه من الغنائم في حروب فارس، وكان شاعراً فحلاً. قال أبو بكر: صوت القعقاع في الجيش خير من ألف فارس. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٢٠١، ٢٠٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٢٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١١٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٣٧.

واطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كلّ فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجّاد[١]، وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشرّ ليلة، وباتوا يتشاورون، وأجمعوا أمرهم على أن يثيروا الحرب من الغلس كما سيأتي تفصيله[٢].

دور قتلة عثمان في إثارة الفتنة:

ما إن التقت كلمة المسلمين بعد إبرام هذا الصلح، حتى بدأت الحسرة تأكل قلوب أهل الرّيب والفتنة ممن شارك بقتل عثمان، وساءهم كلام أمير المؤمنين، فباتوا بشرّ ليلة، يتشاورون فيما بينهم، وعقدوا مؤتمرهم الشيطاني، فاجتمع من رؤسائهم جماعة: كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سبأ، وغيرهم في ألفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابي ولله الحمد، فقالوا: ما الرأي وعلي والله أعلم بكتاب الله، وأقرب ممّن يطلب قتلة عثمان، وأقرب إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غداً يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم؟!

فقال الأشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا[٣]، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا فإن كان الأمر هكذا ألحقنا علياً بعثمان، فزجره عبد الله بن سبأ، وسفّه رأيه[٤].

ثم أجمع المتآمرون ـ بمشورة اليهودي الماكر عبد الله بن سبأ ـ على إنشاب القتال من الغلس[٥]، فنهضوا قبل طلوع الفجر ـ وهم قريب من ألفي رجل ـ فانصرف

---

(١) محمد بن طلحة السجاد: (٠٠٠ ـ ٣٦هـ = ٠٠٠ ـ ٦٥٦م) بن عبيد القرشي التيمي، أبو سليمان: صحابي، ولد في حياة النبي ﷺ، وسمّاه باسمه، ويقال له «السجّاد» لكثرة تعبده، قتل يوم الجمل. الزركلي: الأعلام، ٦/ ١٧٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٩٧ و٣٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٢١ ـ ١٢٣، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٤٠.

(٣) يريد أنهما يريدان الاقتصاص منهم بسبب قتلهم لعثمان.

(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٢، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٢٠، ١٢١، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(٥) وهذا الرأي الخبيث الماكر الذي تفتقت عنه عقلية اليهودي الحاقد عبد الله بن سبأ، هو دين اليهود وديدنهم في مسيرتهم السوداء خلال حقب التاريخ المختلفة، لا يستطيعون المواجهة والمبارزة، بل يلجؤون إلى الدسّ والكيد والمؤامرات وإشعال الفتن.

كلّ فريق إلى قراباتهم، فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كلّ طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح، كلّ فريق يظنّ أن الفريق الآخر قد بيّته، وغدر به، ولا يشعر أحد منهم بما وقع من المؤامرة، وقامت الحرب على قدم وساق، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، فنشبت الحرب، وتواقف الفريقان، وقد اجتمع مع عليّ عشرون ألفاً، والتف حول عائشة نحو ثلاثين ألفاً، والسبئية[(١)] - أصحاب ابن سبأ قبحه الله - لا يفترون عن القتل، ومنادي علي ينادي: ألا كفُّوا، ألا كفُّوا، فلا يسمع أحد.

وجاء كعب بن سور[(٢)] - قاضي البصرة - فقال: يا أم المؤمنين، أدركي الناس، لعلّ الله أن يصلح بك بين الناس، فجلست في هودجها فوق بعيرها، وستروا الهودج بالدروع، وأقبلت على المتحاربين، وقد ناولت كعب بن سور مصحفاً، وطلبت إليه أن يدعو أصحاب عليّ إليه، وما إن تقدم كعب بالمصحف، حتى استقبلته مقدّمة جيش الكوفيين، وكان عبد الله بن سبأ وأتباعه بين يدي الجيش، يقتلون من قدروا عليه من جيش البصرة - أصحاب الجمل - لا يتوقفون في أحد، فلما رأوا كعب بن سور رافعاً المصحف، رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فقتلوه، ثم راحوا يرشقون هودج السيدة عائشة بالنبال، حتى صار مثل القنفذ، وهي تدعو على قتلة عثمان[(٣)].

---

(١) وبعد ذلك أعجب لقول العقاد في مدحه لجماعة عبد الله بن سبأ، حيث يقول: «وكان معه - أي علي - جماعة السبئية - أتباع عبد الله بن سبأ - وهم أخلص الناس له وأغيرهم عليه، ولكنهم لفرط غيرتهم ولددهم في عداوتهم لم يقنعوا بما دون القضاء على خصومه، ولم يقبلوا التوسط في الصلح دون الغلبة التي لا هوادة فيها، فدهموا القوم وأوقدوا جذوة الحرب قبل أن يفرغ علي من حديث المهادنة والتقريب بينه وبين أصدقائه الذين خرجوا عليه». العقاد: عبقرية الإمام علي، ص٧٦.

(٢) كعب بن سور: هو من الأزد، بعثه عمر قاضياً لأهل البصرة حين استحسن حكمه بين المرأة وزوجها، وحكم لها في كل أربع ليال بليلة. وكان من حديثها أن امرأة أتت عمر بن الخطاب فقالت له: إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، ولا ينقطع عن العبادة، فقال لها عمر: جزاك الله خيراً عن زوجك، فقال له كعب: إنها تشتكي لك زوجها، لأنه يصوم النهار ويقوم الليل وليس لها حظ منه، فقال له: احكم بينهما. فقال: حيث إن للرجل أن يتزوج أربعة من النساء، فلها ليلة وله أن يقوم الثلاث، فأمضى عمر حكمه، وخرج مع عائشة يوم الجمل ناشراً المصحف يمشي بين الصفين، فجاءه سهم غرب فقتله، وكان معروفاً بالصلاح. ابن قتيبة: المعارف، ص٢٤٤.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ٤٣، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٢٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٤٣.

واستمرّ القتل في الفريقين فقتل خلق كثير، وأدرك الخليفة المحزون أن القتال سيستمرّ، وأن أم المؤمنين ستظلّ هدفاً للرماة الحاقدين، ما دام جملها قائماً والناس حولها يقاتلون، فطلب إلى أصحابه أن يعقروه حتى يتفرّق القوم عنه، ففعلوا ذلك، وعندئذٍ انهزم أهل البصرة، فنادى منادي عليّ في الناس: ألا لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تدخلوا في الدور، وأمر بحمل الهودج من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر(١) أن يضرب عليه قبّة، وقال: انظر هل وصل إليها شيء من جراحة؟

فوجدها بحمد الله سليمة لم تصب بشيء، ثم جاءها عليّ فقال: كيف أنت يا أمّه؟ قالت: بخير يغفر الله لك، قال: ولك، وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين.

ولما انتهت معركة الجمل، رفض علي أن يقسم أموال أصحاب الجمل، فجمع ما خلفه الجند من سلاح ومتاع، وبعث به إلى مسجد البصرة قائلاً: من عرف شيئاً له فليأخذه، إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان.

ووبّخ السبئية الذين طعنوا في قراره واعترضوا عليه بقولهم: كيف يحلّ لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم؟!

فقال: أيحب أحدكم أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟

ولم يتردّد عن تعزير رجلين منهم وقعا في عائشة، فضُربا مئة مئة(٢).

وهكذا نلاحظ أن هؤلاء الذين كانوا ـ في بادىء الأمر ـ يتستّرون بحبّ عليّ والدعوة له من أشد الناس كرهاً وعداوة له، وأنهم كانوا يتحينون كل سانحة لإحراجه وخلق المتاعب له(٣).

---

(١) محمد بن أبي بكر: (١٠ ـ ٣٨هـ = ٦٣٢ ـ ٦٥٨م) محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن عثمان بن عامر التيمي القرشي: أمير مصر، وابن الخليفة الأول أبي بكر الصديق، كان يدعى «عابد قريش»، ولد بين المدينة ومكة في حجة الوداع، ونشأ بالمدينة في حجر علي بن أبي طالب، وكان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبيه، وشهد مع علي وقعتي الجمل وصفين، ولاه علي إمارة مصر بعد موت الأشتر، فدخلها سنة ٣٧هـ، قتل بعد استيلاء عمرو بن العاص على مصر، فدفن خارج مدينة الفسطاط، الزركلي: الأعلام، ٦/ ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٥٧ و٥٨ و٥٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٣١، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٤٥.

(٣) نايف معروف: الخوارج، ص٥٣، ٥٤.

ولمّا كان الليل، دخلت عائشة البصرة، وأقام عليّ في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة، وندب الناس إلى موتاهم، فخرجوا إليهم فدفنوهم، فطاف علي معهم في القتلى، ثم صلّى عليهم جميعاً، وجمع أكثرهم في قبر واحد، إيماناً منه أنهم ماتوا على الإسلام، طالما أنهم كانوا يقاتلون تعبُّداً لا لغرض دنيوي، ولا ارتداداً عن الإسلام، أو استجابة لحقد دفين، أو عصبية بغيضة كما يزعم المغرضون من أهل الهوى والفتنة.

وجاء في كتاب قرب الإسناد للحميري[١] الشيعي، عن جعفر عن أبيه أن علياً عليه السلام كان يقول لأهل حربه عن أهل الجمل: إنا لم نقاتلهم على التكفير لهم، ولم يقاتلونا على التكفير لنا، ولكنا رأينا أنا على حق، ورأوا أنهم على حق[٢].

وورد بإسناد رجاله ثقات أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر**»، قال: أنا يا رسول الله؟! قال: «**نعم**» قال: أنا أشقاهم يا رسول الله، قال: «**لا، لكن إذا كان كذلك فارددها إلى مأمنها**»[٣].

موقعة صفين وبداية ظهور الخوارج:

تقدّم أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه، كان يرى عدم التعجيل في الاقتصاص من قتلة عثمان، لما سبق وبيّنّاه من سعيه لإرغام الخارجين عليه للدخول في طاعته، حتى تكون شوكة الدولة الإسلامية هي الأقوى، ويتمكن من الأخذ برقاب القتلة المجرمين.

وظلّ موقف معاوية رضي الله عنه على حاله، لم يتزحزح عنه قيد أنملة، وزاد الأمر سوءاً ما جرى في موقعة الجمل من حروب طاحنة أودت بحياة الكثيرين، في الوقت الذي ظلّ فيه قتلة عثمان يكيدون للإسلام والمسلمين، ولم يحدث أي تغيير قط في موقفي علي ومعاوية منهم.

---

(١) الحميري: (٠٠٠ ـ نحو ٣١٠هـ = ٠٠٠ ـ نحو ٩٩٢م) عبد الله بن جعفر بن الحسين بن مالك، أبو العباس الحميري القمي: من فقهاء الإمامية، كان شيخهم بقمّ ووجيههم، أتى الكوفة فأخذ عنه أهلها. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٦٧.

(٢) إحسان إلهي ظهير: الشيعة وأهل البيت، ص٢١، نقلاً عن قرب الإسناد للحميري، ص٤٥.

(٣) ابن حجر: فتح الباري، ١٣/ ٦٩، والحديث أورده الهيثمي وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجاله ثقات: مجمع الزوائد، ٧/ ٢٣٤.

ولمّا فرغ أمير المؤمنين علي من موقعة الجمل، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، سنة ست وثلاثين للهجرة، ونزل (الرّحبة)، وصلّى في الجامع الأعظم ركعتين، ثمّ خطب الناس فحثّهم على الخير، ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة.

ثم أرسل جرير بن عبد الله البجلي[١] إلى معاوية بالشام يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فامتنع معاوية واعتلّ بأن ابن عمه عثمان قتل مظلوماً وأنه أولى الناس بالمطالبة بدمه، وتجب المبادرة إلى الاقتصاص من قتلته، وأنه أقوى الناس على الطلب بذلك، والتمس من عليّ أن يمكنه من القتلة، ثم يبايع بعد ذلك، فقد رأى معاوية وأهل الشام أن الجناة على عثمان ـ وعلى رأسهم الأشتر وابن سبأ ـ في معسكر علي، وهذه حقيقة لا يماري فيها أحد، وقد قتلوا الخليفة بوحشية مفظعة، وكانوا مسعر الحرب بين علي وأصحاب الجمل، فصعب على معاوية أن يراهم أحياء يتنفسون الهواء، وأن يبايع الإمام وهم لا يزالون في جيشه!! فتمنى أن يقتلهم الخليفة، أو يسلمهم إليه ـ وهو الوالي القويّ ـ فينكل بهم[٢].

ولما رأى علي إصرار معاوية في أهل الشام على رأيه، عزم على المسير إليهم، فاستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عمرو[٣]، وخرج منها فعسكر بالنخيلة. ثمّ تتابعت المراسلات بين عليّ ومعاوية، إلا أنها لم تفضِ إلى نتيجة تذكر، وزاد الأمر سوءاً أن علياً أرسل إليه في نهاية المطاف، بشير بن عَمرو وسعيد بن قيس

---

(١) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشَم بن عوف، الأمير النبيل، الجميل، أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله، البجلي القسري، من أعيان الصحابة، بايع النبي ﷺ على النصح لكل مسلم، كان بديع الحسن، كامل الجمال، أرسله النبي ﷺ إلى ذي الخلصة، مات سنة أربع وخمسين. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٥٣٠.

(٢) وليس كما ادّعى الدكتور خالد محمد خالد ـ سامحه الله ـ بقوله: «أكان طريق الثأر، أن يطوف ـ يعني معاوية ـ بقميصه بلاد الشام كلها، غارساً في قلوب الناس أن علياً هو الذي أعان على قتل عثمان بالأمس، وهو الذي يؤوي قاتليه اليوم». خالد محمد خالد: خلفاء الرسول، ص٥٥٤، لمزيد من التفصيل انظر: علي بن أبي طالب، لعبد الستار الشيخ، ص٢١٨.

(٣) أبو مسعود عقبة بن عمرو: (٠٠٠ ـ ٤٠هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦٠م) بن ثعلبة الأنصاري البدري، من الخزرج: صحابي، شهد العقبة، وأحداً وما بعدها، ونزل الكوفة، وكان من أصحاب علي، فاستخلفه عليها لما سار إلى صفين، وتوفي فيها. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٢٤١.

الهمداني[١]، وشبث بن ربعيّ التميمي، فتكلم بشير بن عمرو، ثم تلاه شبث بن ربعيّ، فتكلم بكلام فيه جفاء وغلظة في حق معاوية، فزجره وبيّن له تهافت رأيه وسفاهة حلمه، وممّا قاله له: فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كلّ ما ذكرت ووصفت، انصرفوا فليس بيني وبينكم إلاّ السيف.

ومن هنا يفهم أن السفراء بين الأمراء عليهم المدار في الإصلاح والإفساد، ولقد صدق معاوية، فإن شبث بن ربعي، كان أول الخارجين على أمير المؤمنين علي، فرجع الوفد إلى عليّ، وأخبره، عندئذٍ لم يبقَ في جعبة الإمام إلا المواجهة والقتال، فوقف في جيشه خطيباً فأمرهم بقيام الليل والإكثار من تلاوة القرآن، ورسم لهم الخطة في الحرب مع إخوانهم والأخلاق التي يجب أن يلتزموها، وأن لا يبدأوا القوم بقتال حتى يكونوا هم الذين يبدؤونهم، فاقتتلوا شهر ذي الحجة بكامله، فلمّا دخل المحرّم توادع الفريقان على وقف القتال، احتراماً وطمعاً في التوصل إلى صلح يقي المسلمين حر القتال، ويحقن دماءهم من أن تراق على مذبح الفتنة.

وكان لا بد للصدام أن يحدث من جديد بعد أن فشلت كل المساعي لإبرام الصلح بين الفريقين، فبدأ القتال، واشتعلت نار الحرب، فلقي فيها الآلاف من الفريقين مصرعهم، وكان أشدّها ليلة التاسع من صفر عام ٣٧هـ، حيث سُمِّيت هذه الليلة (بليلة الهرير) تشبيهاً لها بليلة الهرير في القادسية، وظلّ الفريقان في كرّ وفرّ إلى أن دارت رحى الحرب على أهل الشام، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح، وقالوا: هذا بيننا وبينكم، وقد فني الناس، فمن للثغور؟! ومن لجهاد المشركين والكفار[٢]؟!

وفي تقديري أنه لما استحرّ القتل في الفريقين، ونظر معاوية إلى شدّة القتال، واستحضر الخسائر الجسيمة التي تكبّدها الفريقان، ولاحظ شدّة القتال، فأدرك أن

---

(١) سعيد بن قيس الهمداني: (٠٠٠ ـ نحو ٥٠هـ = ٠٠٠ ـ نحو ٦٧٠م) ابن زيد، من بني زيد ابن مريب من همدان: فارس من الدهاة الأجواد، من سلالة ملوك همدان، كان خاصاً بالإمام علي بن أبي طالب، وقاتل معه يوم صفين، وكان إليه أمر همدان بالعراق، وإليه نسبة «السعيديين» في بيت زُود (باليمن). الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٠٠.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٩٤ ـ ١٠٤، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦٠، ١٦١ وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٣.

المعركة ستزداد ضراوة، ممّا سيترتب عليه وقوع خسائر جسيمة في صفوف الفريقين، لذلك فإنه كان يؤثر الصلح على القتال، ويبدو أنه كان يتشاور مع عمرو بن العاص، فأشار عليه قائلاً: أرسل إلى علي بمصحف فادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك(١).

وقيل: إنه لما بدأت الدائرة تدور على أهل الشام، اعتصموا بإحدى التلال، واستشار معاوية قادة جنده، فأشار عليه عمرو بن العاص(٢) بأن يرسل بمصحف إلى عليّ، ليدعوه إلى كتاب الله، فإنه لن يأبى عليه، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله، فقال عليّ: نعم، أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله، فجاءته الخوارج ـ وكانوا يدعون بالقرّاء يومئذ ـ فطلبوا إليه مناجزة أهل الشام لإنهاء الأمر(٣).

وقيل إن عمرو بن العاص أشار على معاوية برفع المصاحف، فلما رأى أهل الكوفة ذلك، نكلوا عن القتال، وحدثت البلبلة في صفوفهم(٤).

وقيل إن الأشعث بن قيس قال لقومه وقد اجتمعوا إليه: قد رأيتم ما كان في اليوم الماضي من الحرب المبيرة(٥)، وإنا والله إن التقينا غداً، إنه لبوار العرب وضيعة الحرمات، فانطلقت العيون إلى معاوية بكلام الأشعث، فقال: صدق الأشعث، لئن التقينا غداً ليميلن الروم على ذراري أهل الشام، وليميلن دهاقين فارس على ذراري أهل العراق، وما يبصر هذا الأمر إلا ذوو الأحلام، اربطوا المصاحف على أطراف القنا(٦).

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٣. وبعد ذلك يزعم الكاتبون (الحمقى) أن ما أشار به معاوية من رفع المصاحف كان حيلة ومؤامرة دبّرها عمرو بن العاص، ومن الجدير ذكره أن طه حسين قد استبعد أن تكون عملية رفع المصاحف مؤامرة. الفتنة الكبرى، ٢/ ٨١.

(٢) عمرو بن العاص: (٥٠ق هـ ـ ٤٣هـ = ٥٧٤ ـ ٦٦٤م) بن وائل السهمي، القرشي، أبو عبد الله: فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم، وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم، كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية، وولاه النبي ﷺ إمرة جيش «ذات السلاسل»، وأمدّه بأبي بكر وعمر. ثم استعمله على عُمان، ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام زمن عمر، وهو الذي افتتح قنسرين، وولاه عمر فلسطين ثم مصر فافتتحها، وعزله عثمان، ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، كان عمرو مع معاوية، فولاه معاوية على مصر سنة ٣٨هـ، توفي بالقاهرة. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٧٩.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٣.

(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠١، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦٠، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٣.

(٥) المبيرة: المسرفة في إهلاك الناس.

(٦) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٤.

وممّا يؤيد هذا الكلام أن ملك الروم قد طمع في معاوية في هذه الفترة بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغاله بحرب عليّ، تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة، وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنتهِ، وترجع إلى بلادك يا لعين، لأصطلحنّ أنا وابن عمّي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقنّ عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكفّ، وبعث يطلب الهدنة[1].

وجرت عملية رفع المصاحف، فلما رأى ذلك أصحاب عليّ، وقد شارفوا على الانتصار، دبّت الفوضى في صفوفهم، واختلفوا اختلافاً شديداً، ففرقة تقول: نجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ، ورئيسهم الأشعث بن قيس الكندي، وهم غالبية أصحاب علي، وفرقة تأبى إلا القتال، ورئيسهم الأشتر النخعي، وفرقة أخرى اتخذت موقفاً وسطاً وتركت الأمر لعلي، الذي استجاب مكرهاً ـ حسب رواية أبي مخنف (راوي الأباطيل) ـ عندما جاءه مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السبائي في عصابة من القرّاء الذين صاروا بعد ذلك خوارج، فخاطبوه باسمه لا بإمرة المؤمنين، وهدّدوه أن يلحقوه بعثمان أو تسليمه إلى عدوه إن لم يقبل بعرض أهل الشام[2].

وكان هؤلاء من أشد الناس في الإجابة إلى حكم المصحف[3].

وكفّ أهل الشام عن القتال، وكان ممّن دعا إلى الموادعة والكف، وترك القتال، سادات أهل الشام، منهم عبد الله بن عمرو بن العاص[4]، وذلك عن أمر معاوية، ثم أمر علي بوقف القتال، فامتنع الأشتر النخعي، وكادت الفتنة تقع في

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ١١٩.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠١، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦١، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٤، وابن مزاحم: وقعة صفين، ص٤٨٩، وذكر ابن الطقطقي هذه الواقعة إلا أنه لم يسمِّ أولئك الرجال. الفخري في الآداب السلطانية، ص٩٦.

(٣) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٦.

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص: (٧ق هـ ـ ٦٥هـ = ٦١٦ ـ ٦٨٤م) من قريش: صحابي من النساك، من أهل مكة، كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية، وأسلم قبل أبيه، واستأذن رسول الله ﷺ في أن يكتب ما يسمع منه فأذن له، وكان يشهد الحروب والغزوات، ويضرب بسيفين، وشهد صفين مع معاوية وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة، ولما ولي يزيد امتنع عبد الله من بيعته، وانزوى ـ في إحدى الروايات ـ بجهة عسقلان، منقطعاً للعبادة، وعمي في آخر حياته. الزركلي: الأعلام، ٤/ ١١١.

جيش علي، وذلك أن أصحابه قالوا له بعد امتناع الأشتر عن وقف القتال: والله ما نحسبك أمرته إلا بالقتال! فقال: كيف أمرته بذلك، ولم أسارّه سرًّا؟! ثم قال ليزيد[1]: عد إلى الأشتر فقل له أقبِلْ فإن الفتنة قد وقعت، فأتاه فأخبره بذلك[2].

فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم، ووبّخهم توبيخاً شديداً، وسبّهم وسبُّوه، وضربوا وجه دابته بسياطهم، وضرب وجوه دوابهم بسوطه[3].

ثم أرسل الأشعث إلى معاوية يسأله عما يريد، فقال له معاوية: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجل به في كتابه، تبعثون رجلاً ترضون به، ونبعث منّا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله، لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقنا عليه. فقال له الأشعث: هذا الحق، ثم انصرف إلى عليّ فأخبره، فقال الناس: فإنّا قد رضينا وقبلنا[4].

وبدا واضحاً أن أهل العراق قد سئموا الحرب، وكرهوا استمرار القتال، فتنادوا من كل جانب يطلبون الموادعة، وقام الناس إلى عليّ فقالوا: يا عليّ! أجب القوم إلى ما دعوك إليه، فإننا قد فنينا، وتكلم رؤساء القبائل فمنهم من أيّد وقف القتال، ومنهم من ترك الأمر لعلي[5].

وجاء في بعض الروايات أن علياً كان في قرارة نفسه يميل إلى قبول هذا العرض، لمعرفته الوثيقة بأتباعه، ولما لاحظه في جيشه من تفكك، ونكول عن الحرب، ولم يكن بمقدوره أن يرفض مثل هذه الدعوة، قال: لقد رفعوها وما رأيهم العمل بما فيها، وليس يسعني مع ذلك أن أدعى إلى كتاب الله فآبى، وكيف وإنما قاتلناهم ليدينوا بحكمه[6].

---

(١) هو يزيد بن هانىء أحد أصحاب علي رضي الله عنه.
(٢) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٦.
(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠٢، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦١، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٤، وأبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٦.
(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠٢.
(٥) ابن مزاحم: وقعة صفين، ص٤٨٣ ـ ٤٨٥، وأبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٥.
(٦) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٥، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦١، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٣، ٢٧٤.

وجرت مراسلات بين علي ومعاوية، وبين علي وعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين. وكتب عمرو إلى علي: أما بعد.. فقد أنصف من جعل القرآن حكماً، فاصبر يا أبا الحسن، فإنا غير منيلينك إلاّ ما أنالك القرآن، والسلام[١].

ويبدو أنه خشي أن يتأوّلوا عليه قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ٢٣][٢].

ولعلّ أسباباً ثانوية أخرى دفعت علياً إلى قبول عرض أهل الشام، فقد ذكر الطبري أنه كان يحدّث نفسه فيما بعد، بأنه نظر إلى ولديه وهما في خضمّ المعركة، فعزّ عليه أن يهلكا، وينقطع بهلاكهما نسل محمد ﷺ من الأرض، فكان ذلك من جملة الأسباب التي جعلته يميل إلى وقف الحرب[٣].

ومهما قيل بشأن موقف علي من مطالب أهل الشام، فإن مما لا شك فيه، أن علياً وقع بين أمرين أحلاهما مرّ، وقد ذكر الدكتور نايف معروف، أن مجرّد اختياره لأحدهما كان كافياً لإثارة فريق من أتباعه عليه، فقد اجتهد واختار طريق السلام؛ لأن السواد الأعظم من عسكره كان يريد ذلك، وربما لاعتقاده أيضاً أن أيّ احتكام لكتاب الله سيكون في مصلحته[٤].

ثم تلا وقف القتال اجتماع قرّاء أهل العراق وقرّاء أهل الشام، حيث جلسوا بين العسكرين، وأخذوا يتدارسون القرآن، واتفقوا في نهاية الأمر على تحكيم حكمين في موضوع النزاع، أحدهما يمثل علياً والآخر معاوية[٥].

اختار معاوية عمرو بن العاص ممثلاً له في اللجنة التحكيمية دون صعوبة أو عراقيل، بينما وقع علي في مأزق جديد، يكاد يكون أشدّ خطراً من قبول الحكومة ذاتها، إذ كان الأجدر بأصحابه ـ على حدّ تعبير الدكتور نايف معروف ـ أن يفسحوا له مجال اختيار ممثله بعد مشاورتهم في الأمر، غير أن الرياح جرت على غير ما يشتهيه

---

(١) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٧.
(٢) المقدسي: البدء والتاريخ، ٥/٢٢٢.
(٣) الطبري: تاريخ، ٣/١٠٧.
(٤) معروف: الخوارج، ص٧٥.
(٥) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٧.

أمير المؤمنين، فإن القوم الذين قيل إنهم أجبروه على قبول عرض أهل الشام ـ وفي مقدّمتهم الأشعث بن قيس، ومسعر بن فدكي، وزيد بن الحصين الطائي وفريق من القراء ـ جاؤوا يفرضون عليه أبا موسى الأشعري ممثلاً له، فاحتجّ على هذا الاختيار، وقدّم الأشتر بدلاً عنه فرفضوه، فرشح عبد الله بن عباس، فقال الأشعث: لا والله لا يحكم فيها مضريّان حتى تقوم الساعة(١).

ولا تخلو هذه الواقعة من الاضطراب، حيث جاء في بعض الروايات أن علياً رضي الله عنه، كان يريد اختيار أبي الأسود الدؤلي(٢) فأبى الناس عليه(٣).

والراجح أن أكثر الأنظار كانت تتجه إلى أبي موسى الأشعري كونه اعتزل الفتنة ولم يكن طرفاً في القتال الذي نشب بين علي ومعاوية، كما جاء في إحدى الروايات، أو لأنه كان محسوباً على القرّاء، كما جاء في رواية أخرى(٤)، وهو احتمال بعيد، والله أعلم.

ويزعم ابن الطقطقي(٥) أن أبا موسى كان شيخاً مغفلاً، لذلك لم يستصلحه أمير المؤمنين للتحكيم(٦).

ويبدو أن علياً رضي الله عنه قد حاول إقناعهم بوجهة نظره، فوعظهم بكلّ قول، وبصّرهم بكل وجه فلم يرجعوا(٧).

---

(١) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٧، ابن مزاحم: وقعة صفين، ص٥٠٠، اليعقوبي: تاريخ، ٢/١٨٩، والمسعودي: مروج الذهب، ٢/٤٠٢.

(٢) أبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان بن كنانة، كان عاقلاً حازماً بخيلاً، وهو أول من وضع العربية، وكان شاعراً مجيداً، وشهد صفين مع علي رضوان الله عليه، وولي البصرة لابن عباس، ومات بها وقد أسنّ. ابن قتيبة: المعارف، ص٢٤٧.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٥/٩٣.

(٤) جاء في رواية أن أصحاب البرانس ـ وهم وجوه أصحاب علي ـ اجتمعوا على أن يقدّموا أبا موسى ـ وكان مبرنساً ـ وقالوا: لا نرضى بغيره، فقدّمه علي. ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ٥/٩٤.

(٥) ابن الطقطقي: (٦٦٠ ـ ٧٠٩هـ = ١٢٦٢ ـ ١٣٠٩م) محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي، أبو جعفر: مؤرخ بحاث ناقد، من أهل الموصل، خلف أباه في نقابة العلويين بالحلّة والنجف وكربلاء، وتزوج بفارسية من خراسان، وزار مراغة (سنة ٦٩٦) وعاد إلى الموصل، ولعله توفي بها، الزركلي: الأعلام، ٦/٢٨٣.

(٦) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٩٧.

(٧) المرجع نفسه، ص٩٩.

ويبدو أن علياً رضي الله عنه، قد حاول جاهداً إقناعهم بوجهة نظره، وحذرهم من المعصية، فأبوا إلاّ أبا موسى بحجة أنه كان حذرهم من الفتنة، ولما لم يجد علي وسيلة لإقناعهم، رضخ لرغبتهم، وسلّم الأمر إليهم[١]، وشكا حاله بين أمسه ويومه فقال: ألا إني كنت أمس أمير المؤمنين، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً، فأصبحت منهياً، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون[٢].

وهكذا بدا أن علياً قد فقد السيطرة على قادة جنده، فصاروا يأمرون وينهون، ثم لا يجد مفراً من الرضوخ لرغباتهم[٣].

ثم أرسلوا رسولاً إلى أبي موسى، وقد كان اعتزل الحرب، وأقام بعرض من أعراض الشام، فدخل عليه مولًى له، فقال: قد اصطلح الناس، قال: الحمد لله رب العالمين، قال: وقد جعلوك حكماً، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون[٤].

ثم انفصل الفريقان على أن يحضر الحكمان ومن معهما بعد مدة عينوها في مكان وسط بين الشام والعراق، ويرجع العسكران إلى بلادهم، إلى أن يقع الحكم، وكتبوا بينهم كتاب التحكيم الذي أكد التزام الفريقين بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وكان ذلك في الثالث عشر من شهر صفر سنة ٣٧هـ، وإليك صورة الاتفاق، وهو كما يلي:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين، أنا ننزل عند حكم الله عزّ وجل وكتابه، ولا يجمع بيننا غيره، وأن كتاب الله عزّ وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠٢، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦١، ١٦٢، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٧.
(٢) ابن مزاحم: وقعة صفين، ص٤٨٤، المسعودي: مروج الذهب، ٢/ ٤٠٠، الإمامة والسياسة، ١/ ١٣٩.
(٣) معروف: الخوارج، ص٧٦.
(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠٢، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٧، وأبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٧.

ونميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله عزّ وجل - وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، وعمرو بن العاص القرشي - عَمِلا به، وما لم يجدا في كتاب الله عزّ وجلّ فالسنة العادلة الجامعة غير المفرّقة.

وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق، أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنهما على ما في هذه الصحيفة، وأجّلا القضاء إلى رمضان، وإن أحبّا أن يؤخّرا ذلك على تراضٍ منهما[١].

بداية تحرّك الخوارج:

بعد أن فرغ الحكمان من كتابة كتاب التحكيم، وتم توقيعه من شهود الطرفين، أخذه الأشعث بن قيس، وراح يقرؤه على الناس من كلا الطرفين، فلما مرّ برايات عنزة قال فتيان منهم: لا حكم إلاّ لله. ثم حملا على جند أهل الشام فقاتلا حتى قتلا[٢]، ثم نادى الناس من كل جانب: لا حكم إلا لله، الحكم لله، لا لك يا عليّ، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله، ثمّ تجمّع المحكّمة على عليّ وقالوا: قد كانت منّا زلّة حين رضينا بالحكمين، فرجعنا وتبنا، فارجع وتب يا علي كما تبنا، وإلاّ برئنا منك، فلم يرضَ علي أن يخلّ بعهده وميثاقه، وذكّرهم بقوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ [المَائدة: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١][٣].

وجاء في رواية أنه ما مرّ بقبيلة وقرأ عليها الكتاب إلا قالوا: لا حكم إلا لله[٤]، فلما مرّ على رايات بني تميم، فقالوا مثل ذلك، وقال عروة بن أديّة: أتحكمون في دين الله الرجال، فأين قتلانا يا أشعث؟! ثم حمل بسيفه على الأشعث، فأخطأه، وأصاب السيف عجز دابته، فانصرف الأشعث إلى قومه، فمشى إليه سادات تميم، فاعتذروا إليه، فقبل وصفح[٥].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠٣، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٧، وأبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٨، ١٤٩.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص٥١٢.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ١١٣، ١١٤، وابن مزاحم: وقعة صفين، ص٥١٧.

(٤) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٥٠.

(٥) المرجع نفسه، ص١٥٠، الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠٤، المبرد: الكامل، ٣/ ١٠٩٨، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٨.

وجاء جماعة من القراء إلى عليّ، وذكّروه بالعهد الذي قطعه على نفسه، وذلك بأن لا يرجع ولا تضع الحرب أوزارها حتى يتحقق الظفر، كما حذّروه من أن قبوله مبدأ التحكيم سيؤدي إلى الفرقة والانقسام(١)، فاعترض عليهم بقوله: قد جعلنا حكم القرآن بيننا وبينهم، ولا يحلّ لنا قتالهم حتى ننظر بما يحكم القرآن(٢).

وحاول بعض أنصاره ثنيه عن عزمه، فأقبلوا عليه يعاتبونه ويراودونه على نقض الاتفاق، واستئناف القتال، وقال له سليمان بن صرد(٣): يا أمير المؤمنين؛ أما لو وجدت أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة، ثم يأتي محرز بن خنيس فيقول: يا أمير المؤمنين، أما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل؟ فوالله إني لخائف أن يورثك ذلاً، فأجابه: أبعد أن كتبناه ننقضه؟! هذا لا يجوز(٤).

ويرى الدكتور نايف معروف أن حركة الانشقاق التي وقعت في معسكر علي، كانت كافية لجعله يستجيب لمطالب خصومه، وقد عبّر عن هذا الوضع السيّىء والموقف الخطير وحالة التمزّق التي كانت سائدة في صفوف أتباعه عندما أرسل إلى الأشتر يقول: أقبل عليّ، فإن الفتنة قد وقعت(٥).

وهكذا فإن علياً أبى أن يرجع عن عهده، وأبت المحكمة إلاّ الطعن عليه، فبرئت منه، وبرىء منها.

ثم رجع علي من صفين إلى الكوفة، وجيشه في شقاق واختلاف، منهم من رضي بالتحكيم، على اعتبار أنه كان السبيل الوحيد لحسم الخلاف، وجمع كلمة المسلمين، وحقن دمائهم، ومنهم من كرهه، واحتجوا على أمير المؤمنين بقولهم:

---

(١) الإمامة والسياسة، ١/١٤٧، ١٤٨.

(٢) ابن مزاحم: وقعة صفين، ص٤٩٧.

(٣) سليمان بن صرد: (٢٨ق هـ ـ ٦٥هـ = ٥٩٥ ـ ٦٨٤م) بن الجون بن أبي الجون عبد العزّى بن منقذ، السلولي الخزاعي، أبو مطرّف: صحابي، من الزعماء القادة، شهد الجمل وصفين مع علي، وسكن الكوفة، ثم كان ممن كاتب الحسين وتخلّف عنه، وخرج بعد ذلك مطالباً بدمه، فترأس حركة «التوابين» الذين ندموا على خذلانهم الحسين، ونشبت معارك بين عبيد الله بن زياد وسليمان فقتل هذا الأخير بعين الوردة. الزركلي: الأعلام، ٣/١٢٧.

(٤) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٥٠، ١٥١.

(٥) الطبري؛ تاريخ، ٣/١٠١، ابن الأثير: تاريخ، ٣/١٦١، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/٢٧٣، ونصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص٤٩٧.

انسلخت من قميص ألبسكه الله، واسم سمّاك به الله، ثم انطلقت فحكمت في دين الله الرجال، ولا حكم إلاّ لله؟

فلما وصل علي الكوفة اعتزله جماعة ممّن رأوا التحكيم ضلالاً، وأتوا حروراء، فنزلوا بها في اثني عشر ألفاً، وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها، فبعث إليهم عبد الله بن عباس، فناظرهم، فرجع أكثرهم وبقي بقيتهم، فقاتلهم علي وأصحابه كما سيأتي بيانه وتفصيله(١).

اجتماع الحكمين:

ولمّا كان مجيء رمضان، سنة سبع وثلاثين للهجرة، بعث عليّ رضي الله عنه، أربع مئة فارس مع شريح بن هانىء، ومعهم أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربع مئة فارس من أهل الشام، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح، وهي نصف المسافة بين الكوفة والشام، وشهد معهم رؤوس الناس، كعبد الله بن عمر(٢)، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، اجتمع الحكمان وتراوضا على المصلحة للمسلمين، ثم اتفقا على أن يخلعا علياً ومعاوية ـ بحسب الروايات ـ وأن يجعلا أمر الخلافة شورى بين المسلمين ليتفقوا على واحد من الصحابة يكون موضع القبول من الجميع، وقد أشار أبو موسى بعبد الله بن عمر بن الخطاب فأبى عمرو، وطلب من أبي موسى أن يقرّ ابنه عبد الله بن عمرو، فأبى أبو موسى ذلك؛ لأن عبد الله كان مع أبيه في جند معاوية، ومع ذلك أثنى عليه خيراً.

واصطلحا أخيراً على أن يخلعا علياً ومعاوية، على أن يترك النظر في إمامة المسلمين إلى أعيان الصحابة، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم.

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/١٠٨ ـ ١١٠، ابن الأثير: تاريخ، ٣/١٦٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/٢٧٩، وأبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٥٢.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب: (١٠ق هـ ـ ٧٣هـ = ٦١٣ ـ ٦٩٢م) العدوي، أبو عبد الرحمٰن: صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئاً جهيراً، نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها، ولما قتل عثمان عرض عليه نفران يبايعوه بالخلافة فأبى، وغزا إفريقية مرتين، وكف بصره في آخر حياته، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. الزركلي: الأعلام، ٤/١٠٨. قلت: وكان عبد الله بن عمر من جملة الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة، فلم يشارك فيها.

وهذا الكلام الذي أثبته المؤرخون في تواريخهم، ينطوي على مغالطة كبيرة؛ لأن معاوية لم يكن خليفة في ذلك الحين، فكيف يتم الاتفاق على خلعهما جميعاً؟!

هذا هو ملخّص الأحداث التي جرت في موقعة صفين بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، وقد توخيت في سياق الأحداث الاختصار غير المخلّ، كما طويت الروايات التافهة، التي لا تليق بأخلاق الصحابة، وهي لا تصحّ من باب، فضربت عنها صفحاً.

وقبل أن نطوي صفحة الأحداث، لا بدّ أن نقف وقفة قصيرة عند قرار التحكيم، ولا سيما أن القرار الذي توصّل إليه الفريقان ـ بعد معارك طاحنة في هذا الصدد ـ قد أوجد مجالاً فسيحاً وأرضاً خصبة للمغرضين كي ينفثوا سمومهم، ويروّجوا أكاذيبهم، فأشاعوا أن ما جرى من قصة رفع المصاحف، كان مسرحية هازلة، اخترعها معاوية لدفع الهزيمة عنه، ويستبدّ بهؤلاء الخيال، فيخترعون مواقف و(سيناريوهات) لا يصحّ شيء منها عن الصحابة، ويرمون عمرو بن العاص ـ الحكم الأول ـ بالمكر والخديعة، في الوقت الذي يرمون فيه أبا موسى الأشعري ـ الحكم الثاني ـ بالغباء والغفلة.

وقاصمة الظهر ما فعله أكثر المؤرخين من دأبهم على اختلاف الروايات المكذوبة حول هذه القضية، وسار على نهجهم كثير من المستشرقين وحطّاب الليل من كتّاب المسلمين، بلا تدقيق أو تمحيص.

فالتحكيم لم يقع فيه مكر ولا خداع، ولم تتخلّله بلاهة ولا غفلة[1]، وكان من الممكن أن يكون ثمة محلّ للمكر والغفلة، لو أن عمراً أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولّى معاوية خلافة المسلمين، وهذا ما لم يعلنه عمرو، ولا ادّعاه معاوية، ولم يقل به أحد في الأربعة عشر قرناً الماضية، وخلافة معاوية لم تبدأ إلاّ بعد الصلح مع

---

(١) ولو كان فيها غفلة لما كانت مهمة أبي موسى الأشعري في التحكيم موضع فخار لأبنائه وأحفاده من بعده، فهذا الشاعر ذو الرمّة يمدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري بقوله:

أبوك تلافى الدين والناس بعدما ... تشاؤوا وبيت الدين منقطع الكسر
فشدّ أصار الدين أيام أذرح ... وردّ حروباً قد لحقن إلى عقر

ديوان ذي الرمّة، ص٢٧٣.

الحسن بن عليّ، وقد تمّت بمبايعة الحسن عام أربعين للهجرة، وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة على معاوية.

وقد أنكر الدكتور نايف معروف صحّة الرواية التي تحدّثت عن خدعة عمرو لأبي موسى، وذكر أنها لا تستقيم للمنطق السليم، ورأى أن ما قيل بشأن الحكمين من اتفاقهما على خلع الاثنين والرجوع إلى حكم الشورى قد يبدو مقبولاً لدى جماهير الناس من كلا المعسكرين، على أمل الخروج من فتنة طال أمدها، وشعثت المسلمين إلى فريقين متخاصمين، ولكن ما لا يستسيغه المنطق العاقل أن تحلّ قضية بهذا القدر من الخطورة بخدعة مكشوفة وأسلوب ساذج، وأن تكون على حساب أبي موسى المغفل بزعم الرواية[١]!!

ونفى القاضي أبو بكر بن العربي[٢] أن يكون أبا موسى ضعيف الرأي، ووصف تلك الرواية التي تنسبه لذلك بالركاكة، وأضاف إلى ذلك قوله: «وكان أبو موسى رجلاً تقياً فقيهاً عالماً، أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ، وقدّمه عمر وأثنى عليه بالفهم»[٣].

ولاحظ عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين[٤]، أنه لو كان أبو موسى مغفلاً لما اختاره عمر لولاية الأمصار، ولما طالب به أهل الكوفة والياً عليهم، حين اشتدّت الفتنة أيام عثمان[٥].

---

(١) نايف معروف: الخوارج، ص٨٤.

(٢) أبو بكر بن العربي: (٤٦٨ ـ ٥٤٣هـ = ١٠٧٦ ـ ١١٤٨م) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، قاض، من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، مات قرب فاس، ودفن بها. الزركلي: الأعلام، ٦/ ٢٣٠.

(٣) أبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم، ص١٧٤.

(٤) طه حسين: (١٣٠٧ ـ ١٣٩٣هـ = ١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م) بن علي بن سلامة، الدكتور في الأدب من كبار المحاضرين، ولد في قرية (الكيلو) بمفاغة من محافظة المنيا. كف بصره في طفولته، أول من نال درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية، تخرج من السوربون سنة ١٩١٨م، عاد إلى مصر محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة، فعميداً فوزيراً للمعارف. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٢٣١.

(٥) طه حسين: الفتنة الكبرى، ٢/ ١٠١، ١٠٢.

وأضاف الدكتور معروف قائلاً: «كما لا ننسى أن شهود الحكومة من كلا الطرفين كانوا من أكابر أقوامهم، فليس من السهولة بمكان أن يستسيغوا مثل هذا الخداع الفاضح، يضاف إلى ما تقدم أن ابن مزاحم والطبري وسواهما ذكروا أن ابن عباس حذّر أبا موسى قبيل إعلان قرار الحكومة، فقال له في ذلك المؤتمر: ويحك إني لأظنّه قد خدعك، إن كنتما اتفقتما على أمر فقدّمه، فيتكلم بذلك الأمر قبلك، ثم تكلم أنت بعده، فإن عمراً رجل غدّار[١]، فهل بعد كل هذا يجوز أن تنطلي حيلة عمرو بن العاص على أبي موسى[٢]؟!

ورغم صحة الاستنباط الذي توصل إليه الدكتور معروف، إلا أن هذه الرواية لا ترقى إلى درجة الصحة، وكل ما أراده الوضاعون منها، أن يثبتوا صفة الغدر في شخصية عمرو بن العاص.

وقد لاحظت الدكتورة سهير القلماوي[٣] أن الحكمين لو اتفقا على حلّ لكتباه في صحيفة التحكيم أو في صحيفة أخرى، لا أن يعلنا شعارهما بتقديم هذا أو تأخير ذاك[٤].

والواقع أن عمراً ما كان ليغفل أمر الكتابة لتوثيق خطته وإحكامها، فالمقدسي يذكر أن عمراً قال لأبي موسى: يجب ألاّ نقول شيئاً إلا كتبناه حتى لا نرجع عنه، فدعيا بكاتب، وأمراه بكتابة ما اتفقا عليه، ثم ختما على ذلك الكتاب[٥].

ولاحظ الدكتور معروف ـ استناداً إلى كتاب البدء والتاريخ ـ أنهما لم يكتبا إلاّ ما اتفقا عليه في بدء المفاوضات، وهو أن عثمان قتل مظلوماً وأن لوليه سلطاناً وطاعة للطلب بهذا الدم[٦].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/١١٣، ابن مزاحم: وقعة صفين، ص٥٤٥، أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٥٣، وابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٩٨.

(٢) نايف معروف: الخوارج، ص٨٤، ٨٥.

(٣) سهير القلماوي: مصرية، حاصلة على درجة الدكتوراه في الأدب العربي، لها مجموعة من المؤلفات، منها: ألف ليلة وليلة، النقد الأدبي، وأدب الخوارج وغيرها.

(٤) سهير القلماوي: أدب الخوارج، ص٢٧.

(٥) المقدسي: البدء والتاريخ، ٥/٢٢٧، ٢٢٨.

(٦) نايف معروف: الخوارج، ص٨٥.

ولقد فاته ـ ربما سهواً ـ أنهما اتفقا على أن يخرجا علياً ومعاوية ويستخلفا على الأمة من يرضى به المسلمون، وكتبا ذلك في الصحيفة[١].

وقد هزىء مؤرّخو الإفك المفترى بعقول قرّائهم، وأوهموهم أن هناك خليفتين أو أميرين للمؤمنين، وأن اتفاق الحكمين كان على خلعهما معاً، فخلعهما أبو موسى، وأما عمرو فمكر به، إذ قدّمه للكلام أولاً، وخلع علياً وأثبت معاوية، وهذا إفك وبهتان، وكذب وافتراء[٢].

وقد روّج العقاد[٣] لهذه الفرية[٤]، وتابعه عليها صاحب كتاب خلفاء الرسول[٥]، فقال: «وبدأ أبو موسى وخلع علياً ومعاوية، ثم تلاه عمرو فقال: إن أبا موسى خلع صاحبه كما رأيتم، وإني أخلعه كما خلعه، وأثبت معاوية فهو أمير المؤمنين والمطالب بدم عثمان فبايعوه»[٦].

وزاد على رواية أبي مخنف، لوط بن يحيى[٧] ـ راوي الإفك المفترى ـ فرية

---

(١) المقدسي: البدء والتاريخ، ٥/ ٢٢٨.

(٢) بتصرف عن التعليقات النفيسة لمحب الدين الخطيب على العواصم من القواصم، ص١٧٧، ١٧٨.

(٣) العقاد: (١٣٠٦ ـ ١٣٨٣هـ = ١٨٨٩ ـ ١٩٦٤م) عباس محمود العقاد: إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفاً مع الإبداع، أصله من دمياط، انتقل أسلافه إلى المحلة الكبرى، وكان أحدهم يعمل في عقادة الحرير فعرف بالعقاد، تعلم في مدرسة أسوان الابتدائية، وشغف بالمطالعة، وسعى للرزق فكان موظفاً بالسكة الحديدية، وبوزارة الأوقاف، ثم معلّماً في بعض المدارس الأهلية، الزركلي: الأعلام، ٣/ ٢٦٦.

(٤) العقاد: عبقرية علي، ص١٠٥، ١٠٦.

(٥) الدكتور خالد محمد خالد: مصري، خريج كلية الآداب، شعبة اللغة الإنجليزية، جامعة القاهرة، متزوج وله ثلاثة أولاد، مدير دار ثابت للنشر والتوزيع وصاحبها. كان يقود المظاهرات الطلابية العارمة، وقبض عليه وأودع في سجن القناطر، له عدة مؤلفات منها: لكي لا تحرثوا في البحر، خلفاء الرسول، رجال حول الرسول بتصرف، عن مقدمة كتابه: قصة مع الحياة.

(٦) خالد محمد خالد: خلفاء الرسول، ص٥٨١.

(٧) أبو مخنف لوط بن يحيى: صاحب تصانيف وتواريخ، روى عن: جابر الجعفي ومجالد بن سعيد وطائفة من المجهولين، قال يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال الدارقطني: أخباري ضعيف، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٧/ ٣٠٢، وقال الذهبي أيضاً: أخباري تالف لا يوثق به. ميزان الاعتدال، ٣/ ٤١٩، وذكره الحلّي في الثقات وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي: وعندي أن هذا غلط لأنه لم يلقَ أمير المؤمنين عليه السلام، وإنما أبوه يحيى من أصحابه، روى عن الحسن والحسين وجعفر بن محمد الصادق، وفي الفهرست لابن النديم: والصحيح أن أباه كان من أصحابه عليه السلام، وهو لم يلقه. وفي الرجال للشيخ: قيل إنه روى عن أبي جعفر عليه السلام ولم يصح. الحلي: كتاب الرجال، ١/ ١٥٧.

أخرى، وهي قوله: «فهو أمير المؤمنين» ولست أدري من أين جاء بها!!

وزاد الوضّاعون الأمر سوءاً، فافتروا على رسول الله ﷺ حديثاً بشأن الحكمين، فرووا عن سويد بن غفلة[1] قوله: إني لأمشي مع علي بشط الفرات، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل اختلفوا، فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين، فضلاّ وأضلاّ، وإن هذه الأمة ستختلف، فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين فيَضِلان ويُضلان من اتبعهما**»[2].

وعلى العموم فإن الروايات المكذوبة التي تتصل بخبر التحكيم قد جاءت عن طريق أبي مخنف، ونصر بن مزاحم، وفيها زيادات منكرة وجريئة، وفيها سبّ واتهام بالعنف والغدر والخيانة، وتحامل قوي على الحكمين.

كما أن الروايات التي ذكرها الطبري في تاريخه ـ وعددها أربع عشرة رواية ـ جاءت من طريق أبي مخنف[3].

ومما يدل على كذب هذه الروايات، ما رواه القاضي أبو بكر بن العربي، ومفاده: أن عمرو بن العاص قال لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: إنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

قال: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغنِ عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما[4].

فليس فيما صحّ من خبر التحكيم اتفاق الحكمين على عزل عليّ ومعاوية رضي الله عنهما؛ لأن معاوية لم يكن خليفة، ولم يطلب البيعة على الخلافة في تلك الحروب التي خاض غمارها، وإنما خرج للمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه.

---

(١) سويد بن غفلة المذحجي: أدرك النبي ﷺ، ووفد إليه فوجده قد قبض، فصحب أبا بكر ومن بعده، وشهد مع علي صفين، وتوفي بالكوفة سنة اثنتين وثمانين وقد بلغ مائة وسبعاً وعشرين سنة. ابن قتيبة: المعارف، ص٢٤٣.

(٢) قال فيه الحافظ ابن كثير: حديث منكر، ورفعُه إلى رسول الله ﷺ موضوع، إذ لو كان هذا معلوماً عند علي لم يوافق على تحكيم الحكمين، حتى لا يكون سبباً لإضلال الناس، كما ينطق به هذا الحديث، وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى وهو الكندي الحميري الأعمى، قال ابن معين: ليس بشيء. ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٨٥.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر: أثر التشيع للدكتور عبد العزيز ولي، ص٣٥٩.

(٤) أبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم، ص١٧٨، ١٧٩.

انتقاض القرّاء على عليّ وقتالهم:

قد تقدّم أن علياً رضي الله عنه، لما رجع من الشام بعد وقعة صفين، ذهب إلى الكوفة، فلما دخلها اعتزله طائفة من القرّاء، ونزلوا حروراء، وجعلوا عليهم شبث بن ربعيّ التميمي أميراً على القتال، وعبد الله بن الكوّا اليشكري على الصلاة، وتعاهدوا على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبعث إليهم علي ابن عمّه عبد الله بن عباس، وقال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك، فخرج إليهم فأقبلوا يكلمونه فلم يصبر حتى راجعهم، فناظرهم وأقام عليهم الحجّة، ثم لم يلبث علي أن لحق به، فناظرهم وأقام عليهم الحجّة فرجعوا عن آخرهم، ودخلوا معه إلى الكوفة تائبين[1].

مناظرة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما للخوارج:

قال عبد الله بن عباس أنه لما اعتزلت الخوارج، وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك، فيقول: دعوهم فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون. فلما كان ذات يوم أتيته قبل الظهر فقلت له: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم، فقال: إني أخاف عليك. فقلت: كلا، وكنت رجلاً حسن الخلق لا أؤذي أحداً. فأذن لي، فلبست حلّة من أحسن ما يكون من اليمن، وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار، فدخلت على قوم لم أرَ قط أشدّ منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود، وأيديهم كأنها ثفن الإبل، وعليهم قمص مرحّضة مشمّرين، مسهمة وجوههم من السهر، فسلمت عليهم فقالوا: مرحباً بابن عباس ما جاء بك؟! فقلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن عند صهر رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم. فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله عزّ وجل يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨]، فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنه، فقلت: هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار،

(١) الطبري: تاريخ، ٣/١٠٨، ١٠٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/١٦٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٩ ـ ٢٨١، المبرد: الكامل، ٣/١٠٧٩ و١٠٩٩ و١١٠٠ و١١٣٢، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ٥/٩٩ ـ ١٠١ و١٥٤.

وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد، وهم أعلم بتأويله. قالوا: ثلاثاً. قلت: هاتوا. قالوا: أما إحداهن فإنه حكّم الرجال في أمر الله، وقد قال الله عزّ وجل: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] [يوسف: ٤٠ و٦٧]، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عزّ وجل؟ فقلت: هذه واحدة وماذا؟ قالوا: وأما الثانية، فإنه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كانوا مؤمنين فلم يحلّ لنا قتالهم وقتلهم، ولم يحلّ لنا سبيهم. قلت: وما الثالثة؟ قالوا: فإنه محا عن نفسه أمير المؤمنين، فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين. قلت: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: كفانا هذا. قلت لهم: أما قولكم (حكم الرجال في أمر الله) أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا، فإذا نقض قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: فإن الله قد صيّر في حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، وتلا هذه الآية: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المَائدة: ٩٥] إلى آخر الآية، وفي المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النِّساء: ٣٥] إلى آخر الآية، فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم وفي حقن دمائهم أفضل أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة، فأيهما ترون أفضل؟ قالوا: بل هذه. قلت: خرجت من هذه؟! قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم (قاتل ولم يسب ولم يغنم) فتسبُون أمكم عائشة رضي الله عنها؟ فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام، ووالله لئن قلتم لنسبينّها ونستحلّ منها ما نستحلّ من غيرها لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين؛ لأن الله عزّ وجل قال: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، أخرجت من هذه؟! قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم (محا عن نفسه أمير المؤمنين) فأنا آتيكم بما ترضون أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو، فقال لعلي رضي الله عنه: «اكتب لهم كتاباً» فكتب لهم علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله، فقال المشركون: والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: **«امح يا علي، اكتب، هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله»**، فوالله لرسول الله خير من علي، وقد محا نفسه.

قال فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقتلوا[١].

---

(١) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٦، ١٠٧، المبرد: الكامل، ٣/١٠٧٩ و١٠٩٩ و١١٠٠ و١١٣٢، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/٢٣٢، ٢٣٤، والمقدسي: البدء والتاريخ، ص٢٢٤.

ولما بعث علي أبا موسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل، للاجتماع بعمرو بن العاص ومن معه، اشتدّ أمر الخوارج، وبالغوا في النكير على علي، وصرّحوا بكفره، فجاء إليه رجلان منهم، وهما زرعة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي، فقالا: لا حكم إلا للّه، فقال عليّ: لا حكم إلاّ للّه، فقال له حرقوص: تب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا، فقال علي: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها عهوداً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١]، فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه، فقال علي: ما هو بذنب ولكنه عجز عن الرأي وقد نهيتكم، فقال زرعة: يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله تعالى(١).

ثم اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبة بليغة زهّدهم في الحياة الدنيا، ورغّبهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تداعوا إلى الخروج من الكوفة، إلى بعض كور الجبال، أو المدائن، ليجتمعوا فيها لإنفاذ حكم الله بزعمهم، ثم يبعثوا إلى إخوانهم من أهل البصرة ـ ممن هم على رأيهم ـ فيقدمون عليهم، بعد أن يحكموا قبضتهم على المدائن ويطردوا أهلها. ثم خرجوا يريدون المدائن، إلا أن سعد بن مسعود الثقفي عامل علي عليها علم بما عزم عليه الخوارج، فأخذ أبواب المدائن، وخرج في الخيل، واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد، وسار في طلب الخوارج فأخبِرَ عبد الله بن وهب خبره فحذره وغيّر طريقه، وسار على بغداد، فلحقه سعد بن مسعود في خمسمائة فارس، فاقتتلوا، فلما جنّ الليل، عبر عبد الله بن وهب نهر دجلة إلى أرض جَوخى وسار إلى النهروان(٢).

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ١١٣، ١١٤، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٨٥، ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٨، وابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٩٩، غير أنه لا يذكر أسماء هؤلاء.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ١١٥، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦٩، ١٧٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٨٥، ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٨، المبرد: الكامل، ٣/ ١١٣١ ـ ١١٣٣، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ٢٣٣، ٢٣٤، أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٥٤ ـ ١٥٦، وابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٩٩.

ويبدو أن الخوارج كانوا قد بايعوا في بادىء أمرهم لمعدان الإيادي، لكنهم خلعوه لقوله:

سلام على من بايع الله شارياً وليس على الحزب المقيم سلامَ

فبرئت منه الصنفرية وقالوا: خالفت لأنك برئت من القعد.

ثم عزموا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي، فأبوا من سواه، ولم يريدوا غيره، وكان ذا رأي وفهم ولسان وشجاعة[١].

ولما انتهى الحكمان من مهمتهما، رفض عليّ قرارهما، وردّه عليهما، وندب الناس للخروج إلى أهل الشام، وكتب إلى الخوارج يعلمهم بأن الذي حكم به الحكمان مردود عليهما، وأنه قد عزم على الذهاب إلى الشام، ودعاهم إلى القتال معه، فأبوا ذلك، وخرج عليّ من الكوفة إلى النخيلة في خمسة وستين ألفاً، انضمّ إليهم ثلاثة آلاف ومئتي فارس من أهل البصرة، بعثهم عبد الله بن عباس، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فساداً، وسفكوا الدماء وقطعوا السُّبل، واستحلوا المحارم[٢]، فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله، أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم بهذا الصنيع، فخافوا غائلتهم، وأشاروا على أمير المؤمنين أن يبدأ بهؤلاء، ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام بعد ذلك، والناس آمنون من شرّهم، فاجتمع الرأي على هذا.

فسار إليهم أمير المؤمنين بجيشه، وبعث بين يديه قيس بن سعد بن عبادة[٣]، وبعث إلى الخوارج أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم، فقالوا: كلنا قتل إخوانكم، ونحن مستحلُّون دماءهم.

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/١٠٧٧ و١٠٧٨ و١٠٩٧، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/١٤١، ١٤٢.

(٢) لقيهم عبد الله بن خباب بن الأرت، وفي عنقه مصحف، ومعه امرأته وهي حامل، فقالوا: إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا بقتلك، قال: ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه، فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها في فيه فصاحوا به فلفظها تورعاً، وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل، فقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فقال عبد الله بن خباب: ما علي منكم بأس إني لمسلم، ثمّ طلبوا إليه أن يحدثهم عن أبيه فحدّثهم، فسألوه عن أبي بكر وعمر، فأثنى عليهم خيراً، ثم سألوه عن علي قبل التحكيم وبعده فأثنى عليه خيراً، ففسّقوه وكفروه، ثمّ قرّبوه إلى شاطىء النهر فذبحوه، ثم أقبلوا على امرأته فبقروا بطنها.

(٣) قيس بن سعد بن عبادة: (٠٠٠ ـ ٦٠هـ = ٠٠٠ ـ ٦٨٠م) بن دليم الأنصاري، الخزرجي المدني: والٍ صحابي، من دهاة العرب، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين، سكن تفليس فمات فيها. الزركلي: الأعلام، ٥/٢٠٦.

فتقدّم إليهم قيس بن سعد فوعظهم، إلا أنهم لم ينتفعوا بشيء من كلامه، ثم جاء أبو أيوب الأنصاري[١]، وفعل مثل ذلك، فما ازدادوا إلا إصراراً على باطلهم، ولم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم، أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم، وتهيؤوا للقاء الرب عزّ وجل، الرواح الرواح إلى الجنة!! وتقدّموا واصطفوا للقتال، ووقف علي بجيشه أمامهم، وأمر أبا أيوب الأنصاري أن ينصب راية الأمان للخوارج، وأن ينادي: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا.

فانصرف فروة بن نوفل[٢] بخمسمائة حتى نزل البندنيجين والدسكرة[٣]، وانصرف جماعة إلى الكوفة، وخرج إلى علي نحو مائة مسالمين، فلم يبقَ منهم مع عبد الله بن وهب الراسبي إلا ألف وثمانمائة، فزحفوا إلى عليّ، والتحم الجيشان، ولم يلبث عليّ أن ألحق بهم الهزيمة، واستأصل شأفتهم، ولم ينج منهم إلاّ بضعة نفر، وقتل رؤوسهم، أمثال حرقوص بن زهير، وزيد بن حصين الطائي، وعبد الله بن وهب الراسبي.

وكان ذلك في شعبان سنة ثمان وثلاثين للهجرة[٤].

---

(١) أبو أيوب الأنصاري: (٠٠٠ ـ ٥٢هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٢م) خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، من بني النجار: صحابي، شهد العقبة وسائر المشاهد، وكان شجاعاً صابراً، تقياً محباً للغزو والجهاد، عاش إلى أيام بني أمية، وكان يسكن المدينة، فرحل إلى الشام، ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية، صحبه أبو أيوب غازياً، فحضر الوقائع، ومرض فأوصى أن يوغل به في أرض العدو، فلما توفي دفن في أصل حصن القسطنطينية، الزركلي: الأعلام، ٢/ ٢٩٥.

(٢) فروة بن نوفل بن شريك: (٠٠٠ ـ ٤١هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦٠م) الأشجعي: ثائر، من زعماء المُحَكِّمة في صدر الإسلام، وسمّاه المبرّد «فروة بن شريك»، وقال العسقلاني «فروة بن مالك»، وقيل: «فروة بن نوفل». الزركلي: الأعلام، ٥/ ١٤٣.

(٣) البندنيجين: لَفْظُه لفظ التثنية، وهي بلدة مشهورة في طرف النهروان، من ناحية الجبل، من أعمال بغداد، الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٩٩.

الدسكرة: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح كافه: قرية كبيرة ذات منبر بنواحي نهر الملك من غربي بغداد. المرجع نفسه، ٢/ ٤٥٥.

(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٢١، ١٢٢، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٧٣ ـ ١٧٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩، المقدسي: البدء والتاريخ، ص٢٢٤، وأبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٥٧ ـ ١٦٠.

ثم طلب أمير المؤمنين إلى أصحابه أن يلتمسوا ذي الثدية[١]، لما كان سمعه من النبيّ ﷺ، فقال بعضهم: ما نجده، حتى قال بعضهم: ما هو فيهم، وعلي يقول: والله إنه لفيهم، والله ما كذبت ولا كذبت، ثم إنه جاءه رجل فبشّره فقال: يا أمير المؤمنين قد وجدناه.

وقيل: بل خرج عليّ في طلبه قبل أن يبشّره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفي والريّان بن صبرة، فوجدوه في حفرة على شاطىء النهر في خمسين قتيلاً، فلما استخرجه نظر إلى عضده فإذا لحم كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود، فإذا مُدَت امتدّت حتى تحاذي يده الطولى ثم تترك فتعود إلى منكبيه، فلما رآه قال: الله أكبر ما كذبت ولا كذبت، لولا أن تتكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه ﷺ لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي نحن عليه[٢].

وهذه هي الفرقة التي خبّر عنها رسول الله ﷺ بقوله: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق**»[٣].

---

(١) اختلف العلماء في ضبط هذه الكلمة اختلافاً كثيراً، فجمهرة المحدثين يرونها «ذو الثدية» بضم الثاء المثلثة، على أنه تصغير ثدي، ومنهم من يرويها «ذو اليُدَيَّة» بضم الياء الأولى، وفتح وتشديد الياء الثانية، على أنه تصغير يد، وقد حكى ابن منظور القولين بعبارة يؤخذ منها ترجيح الثاني، قال: «وأما حديث علي عليه السلام في الخوارج، في ذي الثدية المقتول بالنهروان فإن أبا عبيد حكى عن الفراء أنه قال: إنما قيل ذو الثُدَيَّة بالهاء، هي تصغير ثدي.

قال الجوهري: ذو الثُدَيَّة لقب رجل اسمه ثُرْمُلَة، فمن قال في الثدي إنه مذكر يقول: إنما أدخلوا الهاء في التصغير لأن معناه اليد، وذلك أن يده كانت قصيرة مقدار الثدي، يدل على ذلك أنهم يقولون فيه ذو اليدية وذو الثدية جميعاً، وإنما أدخل فيه الهاء، وقيل ذو الثدية وإن كان الثدي مذكراً، لأنها كأنها بقية ثدي قد ذهب أكثره، فقلّلها كما يقل لُحيمة وشُحيمة، فأنثها على هذا التأويل، وقيل: كأنه أراد قطعة من ثدي، وقيل: هو تصغير الثندوة بحذف النون؛ لأنها من تركيب الثدي وانقلاب الياء فيها واواً لضمة ما قبلها، ولم يضر ارتكاب الوزن الشاذ لظهور الاشتقاق.

وقال الفرّاء عن بعضهم: إنما هو ذو اليدية، قال: ولا أرى الأصل كان إلاّ هذا، ولكن الأحاديث تتابعت بالثاء. ابن منظور: لسان العرب، ١٤/١٠٩، مادة ثدي.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/١٢٣، ابن الأثير: تاريخ، ٣/١٧٤، ١٧٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٩٠، والمبرد: الكامل، ٣/١١٤٣، ١١٤٤.

(٣) أخرجه مسلم في الزكاة وأبو داود في السنة، وأحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

المبحث الثاني

أمر الخوارج بعد النهروان

بعد أن فتك علي بمن بقي من الخوارج، ندم الذين انحازوا إلى راية أبي أيوب الأنصاري، ومن ذهب منهم إلى الكوفة، وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم، فقام منهم قائم يقال له المستورد[١] من بني سعد بن زيد مناة فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على محمد، ثم قال: إن رسول الله ﷺ أتانا بالعدل تخفقُ راياته معلناً مقالته، مُبلغاً عن ربه، ناصحاً لأمته حتى قبضه الله مخيَّراً مختاراً، ثم قام الصدّيق فصدّق عن نبيه وقاتل من ارتدّ عن دين ربّه، وذكر أن الله عزّ وجل قرن الصلاة بالزكاة فرأى أن تعطيل إحداهما طعن على الأخرى، لا بل على جميع منازل الدين، ثم قبضه الله موفوراً. ثم قام الفاروق ففرّق بين الحق والباطل مسوّياً بين الناس في إعطائه[٢] لا مؤثراً لأقاربه ولا مُحَكِّماً في دين ربه. وها أنتم تعلمون ما حدث، والله يقول: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ٩٥]، فكلّ أجاب وبايع، فوجه إليهم علي ابن عمه عبد الله بن عباس داعياً، فأبوا فسار إليهم، فقال له عفيف بن قيس: يا أمير المؤمنين لا تخرج في هذه الساعة فإنها ساعة نحسٍ لعدوّك عليك! فقال له علي: توكلت على الله وحده وعصيت رأي كلّ متكهّن، أنت تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان؟! ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ [هود: ٥٦]، ثم سار إليهم فطحنهم جميعاً لم يفلت منهم إلا خمسة منهم المستورد وابن جوين الطائي، وفروة بن نوفل بن شريك الأشجعي[٣].

---

(١) المستورد بن علفة التميمي: (٠٠٠ ـ ٤٣هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦٣م) من تيم الرباب: ثائر، من كبار الشجعان الخطباء الدهاة، من الإباضية، خرج على عليّ في النخيلة في جماعة من أهل الكوفة، ثم عاد إلى الخروج سنة ٤٢هـ، فسيّر إليه المغيرة معقل بن قيس الرياحي، فكانت له معه وقائع هائلة انتهت بمقتل المستورد ومعقل معاً. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢١٥.

(٢) هذه مغالطة كبيرة من المستورد، والحق أن أبا بكر رضي الله عنه كان يسوي بين الناس في العطاء، إلا أن عمر اتبع طريقة أخرى، فقدم قرابة رسول الله ﷺ ثم الأقرب فالأقرب.

(٣) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٦١.

ولما فرغ أمير المؤمنين من هؤلاء أمر أصحابه بالتوجه إلى الشام لقتال معاوية ومن معه، فلم ينشطوا لذلك، فتركهم أياماً، ثم راحوا يتسلّلون من معسكرهم، فدخلوا الكوفة إلا رجالاً من وجوه الناس قليلاً، وترك العسكر خالياً، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر على رأيه في المسير.

وقد سجّل الثقفي[(١)] في كتابه الغارات خبر انصراف شيعة علي رضي الله عنه في الكوفة، وشكوا إليه البرد والجراحات، فقال لهم: إن عدوكم يألم كما تألمون، ويجدون البرد كما تجدون، فأعيوه وأبوا، فلما رأى كراهيتهم رجع إلى الكوفة، وأقام بها أياماً، وتفرّق عنه كثير من أصحابه، وتابع الثقفي قائلاً: لما كره الناس المسير إلى الشام أقبل بهم علي رضي الله عنه حتى نزل النخيلة، أمر الناس أن يلزموا معسكرهم، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلُّوا زيارة أبنائهم ونسائهم، حتى يسيروا إلى عدوّهم.

وأضاف أن الناس أقاموا بالنخيلة مع عليّ رضي الله عنه أياماً يتسلّلون ويدخلون المصر، فنزل وما معه من الناس إلا رجال من وجوههم قليل، وترك المعسكر خالياً، فلا من دخل الكوفة خرج إليه، ولا من أقام معه صبر، فلما رأى ذلك دخل الكوفة[(٢)].

«وإذا كانت هذه حال الجيش، فلا تستغرب ما آل إليه حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن سلطته سارت إلى الوراء كل يوم في نقصان، وهو كل ساعة يحرّضهم بما آتاه الله من فصاحة اللسان، وبلاغة القول، وهم لا يزدادون إلاّ فتوراً، وقليل منهم الذي أخلص له القول والعمل، وكثرت عليه الخوارج بحجّتهم التي اتخذوها وهي: أنه حكّم الرجال في دين الله، ولا حكم إلا لله»[(٣)].

---

(١) الثقفي: (٠٠٠ ـ ٢٧٣هـ = ٠٠٠ ـ ٨٩٦م) إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال: عالم كان يرى رأي الزيدية، ثم انتقل إلى القول بالإمامية، من أهل الكوفة، انتقل إلى أصفهان فمات فيها. الزركلي: الأعلام، ١/ ٦٠.

(٢) الثقفي: الغارات، ص١٨ ـ ٢٠، وروى نحوه ابن الأثير في تاريخه، ٣/ ١٧٦، وابن كثير في البداية والنهاية، ٧/ ٣٠٧، ٣٠٨، وأبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال، ص١٦٠.

(٣) محمد الخضري: إتمام الوفاء، ص١٩٤.

ولما رأى علي رضي الله عنه تثاقل أصحابه أهل الكوفة عن المسير معه إلى قتال أهل الشام، وانتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار، وقتلهم مسلحة عليّ بها والغارة عليها، خطب خطبة[١] بليغة جاء فيها:

أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجُنَّتَهُ الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ، وشملة البلاء، ودُيِّث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيمَ الخسف ومُنِع النصف، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم، اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا واجترأ عليهم عدوهم، هذا أخو بني عامر قد ورد الأنبار، وقتل ابن حسّان البكري، وأزال مسالحكم عن مواضعها، وقتل منكم رجالاً صالحين، وقد بلغني أنهم كانوا يدخلون بيت المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينزع حجلها من رجلها وقلائدها من عنقها، وقد انصرفوا موفورين، ما كُلِمَ رجلٌ منهم كلماً، فلو أن أحداً مات من هذا أسفاً ما كان عندي ملوماً، بل كان جديراً، يا عجباً من أمر يميت القلوب، ويجتلب الهم ويسعر الأحزان من اجتماع القوم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقكم، فبعداً لكم وسحقاً، قد صرتم غرضاً، تُرْمَون ولا تَرْمُون، ويُغار عليكم ولا تغيرون، ويُعصى الله فترضون، إذا قلت لكم سيروا في الشتاء قلتم كيف نغزو في هذا القرّ والصرّ؟ وإن قلت لكم سيروا في الصيف قلتم حتى ينصرم عنا حمارة القيظ، وكل هذا فرار من الموت، فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرُّون، فأنتم والله من السيف أفرّ. والذي نفسي بيده، ما من ذلك تهربون، ولكن من السيف تحيدون، يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا أحلام الأطفال وعقول ربّات الحجال، أما والله لوددت أن الله أخرجني من بين أظهركم وقبضني إلى رحمته من بينكم، ووددت أن لم أركم ولم أعرفكم، فقد والله ملأتم صدري غيظاً، وجرعتموني الأمرين أنفاساً، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: إن ابن

---

(١) جاء في رواية أن علياً رضي الله عنه لما رأى تثاقل أصحابه عن المسير معه إلى قتال أهل الشام، كتب كتاباً ودفعه إلى رجل، وأمره أن يقرأه على الناس يوم الجمعة إذا فرغوا من الصلاة، وكانت هذه الخطبة نسخته. المبرّد: الكامل، ١/٣٠، ٣١. والأرجح أنها كانت خطبة كما في نهج البلاغة، ١/٤٩ ـ ٥١.

أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، هل كان فيهم رجل أشد لها مراساً وأطول مقاساة مني؟ ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا اليوم قد جنفت الستين، لا، ولكن لا رأي لمن لا يطاع»...

فقام إليه الناس من كل ناحية فقالوا: سر بنا، فوالله لا يتخلّف عنك إلاّ ظنين.

فأمر الحارث الهمداني[١] بالنداء في الناس أن يصبحوا غداً في الرحبة، ولا يأتينا إلا صادق النية.

فلما أصبح صلّى الغداة، وأقبل إلى الرحبة، فلم يرَ فيها إلا نحواً من ثلاثمائة رجل،.. فمكث بعد ذلك يومين، باد حزنه، شديد كآبته[٢]، ثم قتل رضي الله عنه بعد أيام كما سيأتي تفصيله.

خروج الخرّيت بن راشد الناجي[٣] سنة (٣٨هـ):

كان فيمن خرج على عليّ رضي الله عنه بعد النهروان، الخرِّيت بن راشد الناجي، في ثلاثمائة من بني ناجية، أقبل عليه مجاهراً بخروجه ومخالفته بكلّ وقاحة، فناظره عليّ رضي الله عنه محاولاً إعادته إلى جادّة الصواب، إلا أنه ظلّ مصرًّا

(١) الحارث الهمداني: يغلب على ظني أنه الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الخارفي، أبو زهير الكوفي، حيث ورد في ترجمته أنه كان من أصحاب عليّ رضي الله عنه.
أجمعوا على كذبه؛ قال أبو معاوية الضرير، عن محمد بن شيبة الضبي، عن أبي إسحاق: زعم الحارث الأعور وكان كذاباً.
وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: قال أبو بكر بن عياش: لم يكن الحارث بأرضاهم، كان غيره أرضى منه، وكانوا يقولون: إنه صاحب كتب كذّاب. وقال يوسف بن موسى، عن جرير: كان الحارث الأعور زيفاً. وقيل ليحيى بن معين: الحارث صاحب علي؟ فقال: ضعيف. وقال أبو زرعة: لا يحتج بحديثه. وقال أبو حاتم: ليس بقوي، ولا ممن يحتج بحديثه. وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال في موضع آخر: ليس به بأس. المزي: تهذيب الكمال، ٥/٢٤٩.

(٢) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٦١، ١٦٢، الثقفي: الغارات، ص٣١٧ و٣٣٥ و٤٣٧ الشريف الرضي: نهج البلاغة، ١/٤٩ ـ ٥١، الطبري: الاحتجاج، ١/١٧٥، والمفيد: الإرشاد، ص١٤٦.

(٣) الخرِّيت بن راشد الناجي: (٠٠٠ ـ ٣٩هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦٠م) صحابي: ثائر، من الزعماء الشجعان المقدمين، من بني ناجية، كان من أشياع علي رضي الله عنه، ثم خرج عليه بعد التحكيم بمن معه إلى بلاد فارس، فسيّر علي معقل بن قيس وجهز معه جيشاً لقتاله بعد أن كثرت جموعه، ودارت معارك انتهت بقتل الخرّيت. الزركلي: الأعلام، ٢/٣٠٣.

مكابراً، وخرج من عنده منصرفاً إلى أهله، فخرج زياد بن خصفة في أثره بعد أن استأذن أمير المؤمنين للحاق به وبأصحابه، خشية أن يفسد الناس عليه، فسار زياد حتى أتى دير أبي موسى، فنزله يوماً ينتظر أمر عليّ، ثم علم بقتل الخرّيت لرجل من الدهاقين كان قد أسلم، فأرسل قرظة بن كعب[1] إلى عليّ يخبره بذلك، فكتب إلى زياد يأمره أن يتبع آثارهم، ويطلب منهم قتلة ذلك الدهقان، فسار زياد حتى لحقهم بالمذار، وناظر الخرّيت إلا أنه لم يصل إلى نتيجة، ثم طلب إلى الخرّيت أن يدفع إليه قتلة الدهقان فلم يجبه إلى ذلك، فقاتلهم زياد إلى الليل، وفرّ الخرّيت ومن معه ليلاً، فرجع زياد إلى البصرة لمداواة الجرحى، وأرسل إلى عليّ بالخبر، فأرسل إلى الخوارج معقل بن قيس الرياحي[2] في ألفين، وكتب إلى ابن عباس بالبصرة أن يمدّه بألفين من أهلها، فسار معقل ولحقه مدد أهل البصرة، فوافوا الخوارج قرب جبل من جبال رامهرمز فقاتلوهم، واستأصلوا جموعهم، ولم ينج منهم إلا الخرّيت مع بعض أصحابه، فلحق بأسياف البحر، وبها جماعة كثيرة من قومه، فما يزال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف علي، ويخبرهم أن الهدى في حربه حتى اتبعه ناس كثير، وأقام معقل بأرض الأهواز وكتب إلى عليّ بالفتح، فكتب إليه يأمره بملاحقة الخوارج، فسار إليهم معقل فأخذ على فارس وانتهى إلى أسياف البحر، ولما سمع الخرّيت بخبره حرّض أصحابه على القتال، والإمعان في مخالفة عليّ، فلما انتهى معقل إليه نصب راية الأمان، وقال: من أتاها من الناس فهو آمن إلا الخرّيت وأصحابه الذين حاربونا أوّل مرّة، فتفرّق عن الخرّيت جلّ من كان معه من غير قومه، وعبّى معقل أصحابه وزحف نحو الخرّيت ومعه قومه مسلمهم ونصرانيهم ومانع الزكاة منهم، فقتلهم معقل قتلاً ذريعاً، وقتل الخرّيت، وسبى معقل من بني ناجية خمسمائة أهل

---

(١) قرظة بن كعب: بن ثعلبة بن عمرو بن كعب بن الإطنابة الأنصاري الخزرجي، أبو عمر المدني، حليف بني عبد الأشهل، له صحبة، شهد مع النبي ﷺ أحداً وما بعدها، ثم فتح الله على يديه الريّ في زمن عمر بن الخطاب سنة ثلاث وعشرين، وهو أحد العشرة الذين وجههم عمر إلى الكوفة من الأنصار، وكان فاضلاً، وولاّه علي بن أبي طالب الكوفة، وتوفي بها في ولاية علي، وقيل في ولاية المغيرة بن شعبة. المزي: تهذيب الكمال، ٢٣/ ٥٦٣، ٥٦٤.

(٢) معقل بن قيس: (٠٠٠ ـ ٤٣هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦٣م) أبو عبد قيس الرياحي، من بني يربوع: قائد من الشجعان، الأجواد، أدرك عصر النبوة، كان من أمراء الصفوف يوم الجمل، وولي شرطة علي بن أبي طالب، وكان مع المغيرة بن شعبة في الكوفة، أرسله لقتال الخوارج، فتبارز مع المستورد بن علفة فقتلا معاً. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٧١.

بيت، فقدم بهم على عليّ، فتلقاه رجل يقال له مصقلة بن هبيرة أبو المغلّس[(١)] - وكان عاملاً لعلي على بعض الأقاليم - فتضرّروا إليه، وشكوا ما هم فيه من السبي، فاشتراهم مصقلة من معقل بخمسمائة ألف درهم وأعتقهم، فطالبه بالثمن فهرب منه إلى ابن عباس بالبصرة، فكتب معقل إلى ابن عباس، فزعم مصقلة أنه جاء إليه ليدفع ثمنهم، ثم هرب منه إلى عليّ، فكتب ابن عباس ومعقل إلى عليّ فطالبه عليّ، فدفع من الثمن مائتي ألف، ثم انشمر هارباً فلحق بمعاوية بالشام، فأمضى علي عتقهم، وأمر بدار مصقلة في الكوفة فهدمت[(٢)].

استيلاء عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر سنة (٣٨هـ):

يبدو أن أمير المؤمنين قد علّق أكثر أنشطته العسكرية بعد النهروان، فلا نكاد نجد في المصادر أية إشارة إلى ذلك، وقد خذله شيعته، وهو يدعوهم المرّة تلو الأخرى إلى النفير، فلا يجد آذاناً صاغية، وزاد الأمر سوءاً، مقتل محمد بن أبي بكر - عامله على مصر - وخروج مصر من يده.

وكان من خبرها، أن علياً لما بويع بالخلافة، أرسل إليها قيس بن سعد بن عبادة، فبايعه أهلها، إلا جماعة منهم اعتزلوا بخربتا عليهم يزيد بن الحارث الدِّلجي، أعظموا قتل عثمان، ودخل معهم مسلمة بن مخلد[(٣)]، فكفّ عنهم قيس لعلمه أنهم لا يشكلون خطراً على دولة الخلافة، فلما علم بذلك أمير المؤمنين كتب إليه يأمره بقتالهم، فكتب إليه قيس ينصحه بالكفّ عنهم، فعزله أمير المؤمنين عن مصر، وولاّها

---

(١) مصقلة بن هبيرة: هو من بني شيبان، وكان مع علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ثم هرب إلى معاوية فهدم علي داره، ثم بعث مصقلة رجلاً نصرانياً ليحمل عياله من الكوفة، فأخذه علي فقطع يده، وولاه معاوية طبرستان فمات بها، فيقال في المثل: حتى يرجع مصقلة من طبرستان. ابن قتيبة: المعارف، ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/١٤٦، ١٤٧، ابن الأثير: تاريخ، ٣/١٨٣ - ١٨٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/٣٠٩ و٣١٧.

(٣) مسلمة بن مخلد: بن الصامت بن نيار بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة، أبو معن، وقيل غير ذلك، أدرك النبي ﷺ وروى عنه، ووفد على معاوية، وشهد معه صفين، وكان فيها أميراً على أهل فلسطين، وقيل إنه لم يشهد صفين، ولم يفد على معاوية إلا بعد أن أخذ مصر، وولي إمرة مصر لمعاوية ولايته يزيد. تحوّل إلى مصر فنزلها، ثم صار إلى المدينة، فمات بها في خلافة معاوية. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٥٨/ ٥٤ بتصرف.

محمد بن أبي بكر الصديق، وبعد شهر من مقدمه أرسل إلى المعتزلين بخربتا يخيّرهم بين الطاعة أو الخروج من مصر، فطلبوا إليه أن يمهلهم حتى ينظروا في أمرهم، فأبى عليهم، فامتنعوا وأخذوا حذرهم، وكانت حينذاك وقعة صفين، فتمت وهم حذرون من محمد، فلما حصل التحكيم طمعوا فيه ونابذوه، فأرسل إليهم سرية لقتالهم، فقتلوا رئيسها، فأرسلَ أخرى فقتلوا رئيسها، ثم خرج معاوية بن حُديج السكوني[١] مطالباً بدم عثمان، فلما علم أمير المؤمنين بذلك، عزل محمد بن أبي بكر وبعث الأشتر النخعي عاملاً على مصر، فقتل في الطريق مسموماً، ولم يصل إليها.

فلما كانت سنة ثمان وثلاثين أرسل معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف إلى مصر، فسار حتى نزل أدانيها، فجاءه من خالف على محمد بن أبي بكر، وطالب بدم عثمان، وكتب إلى محمد: أما بعد... فتنحّ عني بدمك يا بن أبي بكر، فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر، إن الناس في هذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلمون، فاخرج منها إني لك من الناصحين.

فكتب محمد إلى علي بالخبر، واستمدّه فوعده بالمدد، وقام علي في الناس خطيباً، وأخبرهم خبر مصر، وقصْدَ عمرو إيّاها، وندبهم إلى النفير لمساعدة إخوانهم وحثّهم على ذلك، ثم ضرب عسكره في الجرعة بين الكوفة والحيرة، فنزلها بكرة وأقام حتى انتصف النهار فلم يأته أحد، فرجع، فلما كان العشيّ استدعى أشراف الناس وهو كئيب فقال: الحمد لله على ما قضى من أمره، وقدّر من فعله، وابتلاني بكم أيتها القرية التي لا تطيع إذا أمرت، ولا تجيب إذا دعوت، لا أبا لغيركم ما تنتظرون بمصركم والجهاد على حقكم؟ فوالله لئن جاء الموت وليأتينّي ليفرّقنّ بيني وبينكم، وأنا لصحبتكم قالٍ، وبكم غير ضنين...

وأضاف قائلاً: أليس عجباً أن يدعو معاوية الجفاة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة في السنة المرّة والمرّتين والثلاث، إلى أي وجه شاء، وأنا أدعوكم وأنتم أولوا النهى وبقية الناس على العطاء والمعونة، فتتفرّقون عني وتقصونني، وتختلفون عليّ؟!

---

(١) معاوية بن خديج السكوني: (٠٠٠ ـ ٥٢هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٢م) بن حنيفة بن قنبر، أبو نعيم الكندي: الأمير الصحابي، قائد الكتائب (كما نعته الذهبي)؛ والي مصر، كان ممن شهد حرب صفين في جيش معاوية، وولاه معاوية إمرة جيش جهزه إلى مصر، وكان الوالي عليها محمد بن أبي بكر الصديق من قبل علي، فقتل محمداً، وأخذ بيعة أهل مصر لمعاوية، ولي فتوح المغرب، توفي في مصر. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٦٠، ٢٦١.

ثمّ لم يلبث عمرو أن تغلّب على محمد بن أبي بكر، فدانت له مصر، وقتل محمد بن أبي بكر[١].

وبعد أن تمّ لمعاوية أمر مصر، سيّر إلى البصرة عبد الله بن الحضرمي، وكان عليها إذ ذاك زياد بن أبي سفيان خليفة لابن عباس، فاجتمع إلى ابن الحضرمي جمع كثير من بني تميم كانوا يطلبون بدم عثمان، فلما علم بذلك أمير المؤمنين أرسل أعين بن ضبيعة[٢] المجاشعي التميمي ليفرّق تميم عن ابن الحضرمي، فقتل غيلة، فلما بلغ ذلك علياً أرسل جارية بن قدامة السعدي[٣]، فسار إلى البصرة، وقرأ على أهلها كتاب أمير المؤمنين، يهددهم ويتوعّدهم فيه بحرب أشد من وقعة الجمل، فأجابه أكثر أهلها، فسار إلى ابن الحضرمي وقاتله ومن معه، فانهزم وتحصّن بقصر سنبيل، وأحرق جارية القصر بمن فيه، فمات ابن الحضرمي وسبعون رجلاً معه.

ثم صار معاوية يوجّه السرايا إلى بلاد أمير المؤمنين ليدخلها في طاعته، وسيّر يزيد بن أبي شجرة[٤] إلى مكة ليحجّ بالناس، ويبايع أهلها على طاعته، وكان واليها

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٢٦ ـ ١٣٥، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٧٩، ١٨٠، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٣١٣ ـ ٣١٥.

(٢) أعين بن ضبيعة بن ناجية بن غفال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي الحنظلي الدارمي، ابن أخي صعصعة بن ناجية جد الفرزدق، وهو والد النوار زوج الفرزدق، وكان شهد الجمل مع علي، وهو الذي عقر الجمل الذي كان لعائشة رضي الله عنها، فيقال إنها دعت عليه بأن يقتل غيلة فكان كذلك، بعثه علي إلى البصرة لما غلب عليها عبد الله بن الحضرمي فقتل أعين غيلة سنة ثمان وثلاثين. ابن حجر: الإصابة، ١/ ٥٥.

(٣) جارية بن قدامة السعدي: مختلف في صحبته، قيل: إنه عم الأحنف بن قيس، وقال أبو أحمد العسكري: تميمي شريف، لحق النبي ﷺ، وروى عنه، ثم صحب أمير المؤمنين علياً، وكان يقال له: محرّق؛ لأنه أحرق ابن الحضرمي بالبصرة، وكان ابن الحضرمي وجّه به معاوية إلى البصرة، ينعى قتل عثمان، واستنفر أهل البصرة على قتال علي، فوجّه علي جارية بن قدامة إليه، فتحصن منه ابن الحضرمي بدار يعرف بدار سينيل، فأضرم جارية الدار عليه، فاحترقت بمن فيها، وكان جارية شجاعاً مقداماً فاتكاً، قدم جارية على معاوية، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: شيخ ثقة، وقال أحمد بن عبد الله العجلي: ثبت، صالح، وقال النسائي: ثقة. المزي: تهذيب الكمال، ٤/ ٤٨٠ ـ ٤٨٥.

(٤) يزيد بن أبي شجرة: وجدته في الأعلام باسم: يزيد بن شجرة الرهاوي: (٠٠٠ ـ ٥٨هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٨م)، أمير، حازم، شجاع، من أصحاب معاوية، سيّره معاوية إلى مكة في ثلاثة آلاف فارس، فدخلها، فخطب بها، فأراد أن يقيم الحج، فنازعه قثم بن عباس، وكان من جهة علي، فاصطلحا على أن يقيم الموسم حاجب الكعبة، ثم عاد إلى الشام، فكان يغزو الثغور، ويشهد الفتوح إلى أن قتل في إحدى غزواته. الزركلي: الأعلام، ٨/ ١٤٨.

من قبل علي قثم بن العباس، وليس عنده قوّة يقاتل بها، فلم يقدم على القتال، فأما ابن شجرة فأمّن الناس إلاّ من قاتل، وأرسل إلى أبي سعيد الخدري يخبره أن يأمر قثم ألاّ يصلّي بالناس، وأن يختار الناس من يصلّي بهم، فاختاروا شيبة بن عثمان، فصلّى بهم، وتمَّ الحجّ بسلام، ولم يحصل إلحاد في الحرم، حذراً من وعيده تعالى في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحَجّ: ٢٥].

وصارت السرايا بعد ذلك تتردد بين الجهتين، وكل يريد جمع الكلمة، فلم يتيسّر لأحدهما، ولكن أهل الحجاز واليمن دخلوا في طاعة معاوية، حينما سيّر إليهما بسر بن أرطأة العامري، فلم يعد مستمسكاً ببيعة أمير المؤمنين إلى العراق وما والاها من بلاد فارس، وكلها نار تضطرم بالخلاف والشقاق، فريق شيعة علي، وآخرون خوارج لا يريدون علياً ولا معاوية، وفريق منافق يظهر طاعة علي ويخفي عداءه، فملّهم أمير المؤمنين وسئم إمارته عليهم حتى خاطبهم بذلك في كثير من خطبه[١].

ثم جرت في سنة أربعين مكاتبات بين علي ومعاوية على وضع الحرب بينهما، وأن يكون ملك العراق لعلي ولمعاوية الشام، ولا يدخل أحدهما على صاحبه بجيش ولا غارة ولا غزوة، وكان معاوية قد كتب إلى عليّ بالصلح، فأقرّ عليّ بذلك، وأمسك كلّ واحد منهما عن قتال الآخر، وبعث الجيوش إلى بلاده، واستقرّ الأمر على ذلك[٢].

مقتل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه:

توالت الفتن والخطوب على أمير المؤمنين، وتنغّصت عليه الأمور، واضطرب عليه جيشه، وخالفه أهل العراق، ونكلوا عن القيام معه، في الوقت الذي استفحل فيه أمر أهل الشام، وصالوا يميناً وشمالاً، واجتمعوا على أميرهم معاوية رضي الله عنه،

---

(١) محمد الخضري: إتمام الوفاء، ص١٩٩.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/١٣٦ و١٤٩ ـ ١٥٢، ابن الأثير: تاريخ، ٣/١٩٣، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/٣٢٣.

فلما رأى عليّ ذلك، وأن جنده قد خذلوه وتخلُّوا عن نصرته، وكثرت الفتن، وظهرت المحن، كره الحياة، وتمنى الموت، فكان يكثر أن يقول: ما يحبس أشقاها؟ ما له لا يقتل؟! ثم يقول: والله لتخضبنّ هذه ـ ويشير إلى لحيته ـ من هذه، ويشير إلى هامته[1].

ويروي المبرّد أن علياً كان يخطب ذات يوم، وابن مَلْجَم[2] بجانب المنبر، فسمعه البعض وهو يقول: والله لأريحنّهم منك، فأخذه بعض المسلمين ممّن سمعوه وجاؤوا به إلى علي، وأخبروه بما سمعوا، فقال: ما قتلني بعد! فخلُّوا عنه، وكان علي يتمثّل بقول عمرو بن معديكرب المرادي[3] إذا رأى ابن ملجم:

أريـــد حـــبـــاءه ويـــريـــد قـــتـــلـــي عَـــذِيـــرَكَ مـــن خـــلـــيـــلـــك مـــن مـــراد

---

(١) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٠٤، انظر: علي بن أبي طالب، لعبد الستار الشيخ، ص٢٩٥، بتصرف، وقد أخبر رسول الله ﷺ علياً بذلك، قال: «**ألا أخبرك بأشقى الناس رجلين؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه** ـ يعني قرنه ـ **حتى يبل هذه** ـ يعني لحيته ـ» أخرجه أحمد عن عمار بن ياسر كما في البداية والنهاية، ٦/٢١٨، وكان علي رضي الله عنه راسخ اليقين بمصيره المحتوم؛ فقد أصابه ذات يوم مرض شارف منه على الهلاك، حتى خاف عليه أصحابه، وجاءه أحد الأنصار فقال له: ما يقيمك بهذا المنزل؟ ولو مت لم يلك إلا أعراب جهينة؟! احتمل حتى تأتي المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك، فقال علي: إني لست ميتاً من وجعي هذا، إن رسول الله ﷺ عهد إليّ أن لا أموت حتى أؤمّر، ثم تختضب هذه من هذه ـ يعني لحيته من دم هذه ـ يعني هامته، انظر المنتخب، ٥/٥٩، ومجمع الزوائد، ٩/١٣٧، والمستدرك، ٣/١١٣، والبداية والنهاية، ٦/٢١٨، والكامل للمبرد، ٣/١١٦٦.

(٢) عبد الرحمٰن بن ملجم: (٠٠٠ ـ ٤٠هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦٠م) المرادي التدؤلي الحميري: فاتك ثائر، من أشداء الفرسان، أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر، قرأ على معاذ بن جبل فكان من القراء، شهد فتح مصر وسكنها، شهد صفين مع علي، ثم خرج عليه، وتعهد بقتله، فكمن له عند صلاة الفجر فضربه فأصابه في مقدّم رأسه، ثم مات علي رضي الله عنه من أثر الجرح، فأحضر ابن ملجم بين يدي الحسن، فأمر بقتله. الزركلي: الأعلام، ٣/٣٣٩.

(٣) عمرو بن معديكرب: (٠٠٠ ـ ٢١هـ = ٠٠٠ ـ ٦٤٢م) بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة، وفد على المدينة سنة ٩هـ في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا، ولما توفي النبي ﷺ ارتد عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه، وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية، وكان عصي النفس، أبيّها، فيه قسوة في الجاهلية، وأخبار شجاعته كثيرة، توفي على مقربة من الريّ، وقيل: قتل عطشاً يوم القادسية. الزركلي: الأعلام ٥/٨٦.

فقيل لعلي: كأنك عرفته وعرفت ما يريد بك أفلا تقتله؟ فيقول: كيف أقتل قاتلي[١]؟!

وكان عليّ رضي الله عنه، لما دخل رمضان سنة أربعين للهجرة، يتعشّى ليلة عند الحسن[٢]، وليلة عند الحسين[٣]، وليلة عند أبي جعفر، لا يزيد على ثلاث لقم، يقول: أحبّ أن يأتيني أمر الله وأنا خميص، وإنما هي ليلة أو ليلتان، فلم تمضِ ليلة حتى قتل.

وكان سبب قتله أن عبد الرحمٰن بن مَلْجَم المرادي، والبُرَكُ بن عبد الله

---

(١) المبرد: الكامل، ٣ ـ ١١١٧، ١١١٨، وابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٠٤، ١٠٥.
وأضاف ابن الطقطقي قائلاً: وهذا يدلّ على أن رسول الله ﷺ أعلمه بذلك في جملة ما أعلمه به.

(٢) الحسن بن علي: (٣ ـ ٥٠هـ = ٦٢٤ ـ ٦٧٠م) بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثاني الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، ولد في المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وهو أكبر أولادها وأولهم، كان عاقلاً حليماً محباً للخير، فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبديهة، حج عشرين حجة ماشياً، وقال أبو نعيم: دخل أصبهان غازياً مجتازاً إلى غزاة جرجان ومعه عبد الله بن الزبير، وبايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠هـ، خلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية سنة ٤١هـ، وسمي هذا العام «عام الجماعة» لاجتماع كلمة المسلمين فيه، وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفي مسموماً في قول بعضهم. الزركلي: الأعلام، ٢/١٩٩، ٢٠٠.

(٣) الحسين بن علي: (٤ ـ ٦١هـ = ٦٢٥ ـ ٦٨٠م) بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله: السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء، ولد في المدينة ونشأ في بيت النبوة، لما مات معاوية وخلفه ابنه يزيد تخلّف عن مبايعته، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه، فأقام فيها أشهراً، ودعاه إلى الكوفة أشياعه وأشياع أبيه وأخيه من قبله فيها على أن يبايعوه بالخلافة، فأجابهم، وخرج من مكة في مواليه ونسائه وذراريه ونحو الثمانين من رجاله، وعلم يزيد بسفره، فوجه إليه جيشاً اعترضه في كربلاء (بالعراق ـ قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف، انتهى بقتل الحسين وأكثر أهل بيته، قتله سنان بن أنس النخعي، وقيل: الشمّر بن ذي الجوشن، وكان مقتله رضي الله عنه يوم الجمعة عاشر المحرّم، واختلف في موضع دفنه اختلافاً كثيراً. المرجع نفسه، ٢/٢٤٣، بتصرف.

التميمي[١]، وعمرو بن بكر التميمي السعدي[٢]، وهم من الخوارج، اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس، وعابوا عمل ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهروان فترحّموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة، وأرحنا منهم البلاد؟ فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً ـ وكان من أهل مصر ـ وقال البُرَك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص.

فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجّه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وأخذوا سيوفهم فسمُّوها، واتعدوا لسبع عشرة ليلة تخلو من رمضان، وقصد كلّ رجل منهم الجهة التي يريد، فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بالكوفة وكتمهم أمره، فبينما هو جالس في قوم بني الرّباب، يتذاكرون قتلاهم يوم النهروان، إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها قطام بنت الشّجنَة[٣]، قد قتل علي يوم النهروان أباها وأخاها، وكانت فائقة الجمال، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله، ونسي مهمته التي جاء من أجلها، وخطبها إلى نفسها، فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم، وخادماً وقينة، وقتل علي رضي الله عنه، فأجابها قائلاً: والله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل عليّ فلكِ ما سألتِ.

ثم شرعت تحرّضه على ذلك، وندبت له رجلاً من قومها يقال له وَرْدان، فكلمته في الانضمام إلى ابن مَلْجَم فأجابها، واستمال ابن ملجم رجلاً آخر اسمه شبيب بن بجرة الحروري[٤]، وأخبره بنيته في قتل عليّ، فأجابه هو الآخر.

---

(١) البرك بن عبد الله التميمي: من بني صُريم بن مقاعس، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢١٨. وعند البلاذري: «البرك بن عبد الله الخارجي الذي ضرب معاوية بن أبي سفيان، ففلق أليته، فأخذ فقطعت يداه ورجلاه، فلما قدم البصرة ولد له، فقال زياد بن أبي سفيان: يولد لهذا الكلب ولا يولد لأمير المؤمنين من ضربته؟ فقتله وصلبه. أنساب الأشراف، القسم السابع، ١/ ١٥٥، ١٥٦.

(٢) في البدء والتاريخ للمقدسي (٥/ ٢٣١) أن الذي تعهد بقتل عمرو بن العاص هو داود مولى لبني العنبر، وفي الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ص١٦٢): أن الذي تعهد بقتله عبد الله بن مالك الصيداوي، والذي تعهد بقتل معاوية هو النزال بن عامر.

(٣) في الأخبار الطوال (ص١٦٢): أن اسم المرأة التي خطبها الرباب، وقطام أمّها، وكانت ترى رأي الخوارج.

(٤) شبيب بن بجرة: (٠٠٠ ـ بعد ٤٠هـ = ٠٠٠ ـ بعد ٦٦٠م) الأشجعي: خارجي من أهل الكوفة، قام شبيب بضرب أمير المؤمنين أولاً، وتلاه ابن ملجم، فكانت ضربة هذا في وسط رأسه، وأكثر المؤرخين على أن شبيباً هرب في غمار الناس بعد ضربه أمير المؤمنين، واختفى أثره. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٥٦.

فاتّعد ثلاثتهم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وقال ابن ملجم: هذه الليلة التي واعدت فيها صاحبيَّ أن يقتل كلّ منا صاحبه.

وجاء ابن ملجم وصاحباه، وكمنوا بأسلحتهم مقابل السدّة التي يخرج منها عليّ إلى الصلاة، فلما خرج وهو يوقظ الناس من النوم للصلاة، ضربه شبيب بالسيف، فوقع بعِضادة الباب[1]، وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف، وقال: الحكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك.

فصاح علي رضي الله عنه: لا يفوتنّكم الرجل، فشدّ الناس عليه فأخذوه، وتأخر عليّ وقدّم جعدة بن هبيرة[2] يصلي بالناس صلاة الفجر.

ثم أمر علي بإحضار ابن ملجم، فأدخل عليه، فقال: أي عدوّ الله، ألم أحسن إليك؟ قال: بلى، قال: فما حملك على هذا؟! قال: شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه، فقال عليّ: لا أراك إلا مقتولاً به ولا أراك إلا من شرّ خلق الله، ثم قال: النفس بالنفس، إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي، يا بني عبد المطلب، لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين تقولون: قد قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ إلا قاتلي، انظر يا حسن، إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور**».

ودخل عليه جندب بن عبد الله[3]، فقال: إن فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن؟

---

(١) عضادة الباب: جانب العتبة من الباب.

(٢) جعدة بن هُبَيْرة: بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي، المخزومي، والد يحيى بن جعدة، له صحبة، وأمّه أم هانىء بنت أبي طالب، أخت علي بن أبي طالب، ولاّه خاله عليّ على خراسان، قالوا: كان فقيهاً. المزي: تهذيب الكمال، ٤/٥٦٣.

(٣) جندب بن عبد الله: ويقال ابن كعب بن عبد الله بن الحارث عامر بن مالك بن عامر بن دهمان ابن ثعلبة بن ظبيان بن غامد، واسمه عمرو بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر الأزد. له صحبة، حدّث عن النبي ﷺ، كان ممّن قدم دمشق في المسيّرين من أهل الكوفة في خلافة عثمان، وعن أبي عثمان النهدي أن ساحراً كان يلعب عند الوليد بن عقبة، فكان يأخذ سيفه فيذبح به نفسه ولا يضرّه، فقام جندب إلى السيف فأخذه فضرب به عنقه، وورد في الأثر: «جندب يضرب ضربة يفرق بها بين الحق والباطل» فهذه هي الضربة، حضر مع علي قتال الخوارج بالنهروان. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ١١/٣٠٨ ـ ٣١٢، بتصرف.

قال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر، ثم دعا الحسن والحسين، فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوِيَ عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضائع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصيماً، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذكما في الله لومة لائم.

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية[1]، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم.

قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك، العظيم حقهما عليك فاتَّبع أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما.

ثم قال: أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبّه، وقال للحسن: أوصيك أي بني بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلّها، وحسن الوضوء لا صلاة إلاّ بطهور، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش.

ولما طلبوا إليه أن يستخلف عليهم، أبى قائلاً: لا، ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ[2].

ثم كتب وصيته ولم ينطق إلاّ بلا إله إلاّ الله حتى فاضت روحه رضي الله عنه.

ولما قبض علي رضي الله عنه، استدعى الحسن بابن ملجم فقال له ابن ملجم: إني أعرض عليك خصلة، قال: وما هي؟ قال: إني كنت عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن خلّيتني ذهبت إلى معاوية على أني إن لم

---

(١) محمد بن الحنفية: (٢١ ـ ٨١هـ = ٦٤٢ ـ ٧٠٠م) محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو القاسم: أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، ينسب إليها تمييزاً عن أخويه الحسن والحسين، كان واسع العلم، ورعاً، أسود اللون، مولده ووفاته في المدينة. الزركلي: الأعلام، ٦/ ٢٧٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ١/ ١٣٠، وابن أبي شيبة في المصنف، ٥٦/١٤، و١١٨/١٥، والبزار (٨٧١)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٣٧/٩، وأبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال، ص١٦٣ باختصار، وابن الطقطقي في الفخري في الآداب السلطانية، ص١٠٥.

أقتله أو قتلته وبقيت فللّه عليّ أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك، فقال له الحسن: كلا والله حتى تعاين النار، ثمّ قدّمه فقتله، ثم أخذه الناس فأحرقوه بالنار، وقد قيل إن عبد الله بن جعفر(١) قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه وهو مع ذلك يقرأ سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العَلق: ١] إلى آخرها، ثم جاؤوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال: إني لأخشى أن تمرّ ساعة لا أذكر الله فيها، ثم قطعوا لسانه، ثم قتلوه، وفي تقديري أن هذه الرواية لا تصحّ؛ لأنها تخالف ما صحّ من وصية عليّ لأبنائه عند احتضاره، إن هو قتل، أن يضربوه ضربة بضربة ولا يمثلوا به.

وأما البرك بن عبد الله، فإنه في تلك الليلة التي ضرِب فيها علي قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلي الغداة شدّ عليه بالسيف فوقع السيف في إليته، فأمر به معاوية فقتل، وأما عمرو بن بكر، فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن أبي حبيبة(٢) وكان صاحب شرطته ـ فخرج ليصلي، فشدّ عليه وهو يحسب أنه عمرو، فضربه فقتله، فأخذه الناس إلى عمرو، فسلّموا عليه بالإمارة فقال: مَن هذا؟ قالوا: عمرو، قال: فمَن قتلت؟ قالوا: خارجة، قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، وقيل إن الذي قالها الخارجي، فذهبت مثلاً، ثمّ قدّمه عمرو فقتله(٣).

---

(١) عبد الله بن جعفر: (١ ـ ٨٠هـ = ٦٢٢ ـ ٧٠٠م) بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: صحابي، ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، كان كريماً يسمى بحر الجود، مات بالمدينة. الزركلي: الأعلام، ١/ ٢٧.

(٢) خارجة بن حذافة: (٠٠٠ ـ ٤٠هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦٠م) بن غانم، من بني كعب ابن لؤي: صحابي من الشجعان، كان يعدّ بألف فارس، أمدّ به عمر بن الخطاب عمرو بن العاص، فشهد معه فتح مصر وولي شرطته، واتفق أن عمراً اشتكى بطنه ليلة الائتمار بقتله، وقتل علي ونجا معاوية، فاستخلف خارجة على الصلاة بالناس، فقتله عمرو بن بكر الذي انتدب لقتل عمرو بن العاص. الزركلي: الأعلام، ٢/ ٢٩٣.

(٣) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٦٣، ١٦٤. وابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٠٧.

الطبري: تاريخ، ٣/ ١٥٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٩٥، ١٩٦، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٣٣٠ ـ ٣٣١، المبرد: الكامل، ٣/ ١١١٥ ـ ١١٢٢، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٥/ ١٠٧، ١٠٨، ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٠٤ ـ ١٠٧، المقدسي: البدء والتاريخ ببعضه، ٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢، وابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٩، وليس فيه الحديث عن محاولة اغتيال معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وقد اختلف في موضع قبر علي رضي الله عنه اختلافاً شديداً، إلا أن الحافظ ابن كثير قد تتبّع مختلف الروايات التي تتصل بهذه المسألة، وقال ما نصّه: «والمقصود أن علياً رضي الله عنه لما مات صلّى عليه ابنه الحسن فكبّر عليه تسع تكبيرات، ودفن بدار الإمارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته، هذا هو المشهور، ومن قال أنه حمل على راحلته فذهبت فلا يُدرى أين ذهب فقد أخطأ وتكلّف ما لا علم له به، ولا يسيغه عقل ولا شرع، وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له، ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة، حكاه الخطيب البغدادي(١)، عن أبي نعيم الحافظ(٢)، عن أبي بكر الطلحي(٣)، عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ(٤)، عن مطر(٥) أنه قال: لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة.

قال الواقدي(٦): حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة(٧)، عن إسحاق بن

---

(١) الخطيب البغدادي: (٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ = ١٠٠٢ ـ ١٠٧٢م) أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين، المقدمين، مولده في (غُزيّة) منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشأه ووفاته ببغداد. الزركلي: الأعلام، ١/ ١٧٢.

(٢) أبو نعيم: (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ = ٩٤٨ ـ ١٠٣٨م) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني: حافظ مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد ومات في أصبهان. الزركلي: الأعلام، ١/ ١٥٧.

(٣) أبو بكر الطلحي: لم أجد له ترجمة.

(٤) محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ: الشيخ الحافظ الصادق، محدّث الكوفة، أبو جعفر: محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، الملقب بِمُطَيِّن. عاش خمساً وتسعين سنة، قال الخليلي: ثقة حافظ. توفي في ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٤/ ٤١، ٤٢.

(٥) مطر الورّاق: الإمام الزاهد الصادق، أبو رجاء بن طهمان الخراساني، نزيل البصرة، كان من العلماء العاملين، وكان يكتب المصاحف، ويتقن ذلك. قال يحيى بن معين: صالح، وقال أحمد بن حنبل: هو في عطاء ضعيف، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال مالك بن دينار: رحم الله مطر الوراق، إني لأرجو له الجنة. يقال: توفي مطر الوراق سنة تسع وعشرين ومائة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٤٥٢، ٤٥٣.

(٦) الواقدي: (١٣٠ ـ ٢٠٧هـ = ٧٤٧ ـ ٨٢٣م) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ولد في المدينة وتوفي ببغداد، الزركلي: الأعلام، ٦/ ٣١١.

(٧) أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة: لم أجد له ترجمة.

عبد الله بن أبي فروة[١]، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر[٢] كم كان سنّ عليّ يوم قتل؟ قال: ثلاثاً وستين سنة، قلت: أين دفن؟ قال: دفن بالكوفة ليلاً وقد غبي عن دفنه، وفي رواية عن جعفر الصادق[٣] أنه كان عمره ثمانية وخمسين سنة، وقد قيل إن علياً دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة. قاله الواقدي. والمشهور بدار الإمارة».

وأضاف ابن كثير قائلاً: «وقد حكى الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الفضل بن دكين[٤]، أن الحسن والحسين حوّلاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع عند قبر فاطمة[٥]، وقيل إنهم لما حملوه على البعير ضلّ منم فأخذته طيّىء يظنونه مالاً، فلما

---

(١) إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: بن عبد الرحمٰن بن الأسود بن سوادة بن عمرو بن رياس، أبو سليمان المديني: مولى آل عثمان بن عفان، أدرك معاوية، وكان إسحاق بالشام في صحبة صالح بن علي، وقدم دمشق فروى عن أهلها. ولكنه كان متهماً بالحديث بإجماع أهل العلم، قال الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان: لا يكتب حديثه. وقال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال مرّة: ليس بثقة، وقال أحمد في موضع آخر: لا تحلّ الكتابة عنه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث، توفي سنة أربع وأربعين ومائة. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٨/ ٢٤٣ ـ ٢٥٥.

(٢) أبو جعفر محمد بن علي الباقر: (٥٧ ـ ١١٤هـ = ٦٧٦ ـ ٧٣٢م) محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر: خامس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، كان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال، ولد بالمدينة، وتوفي بالحميمة، ودفن بالمدينة. الزركلي: الأعلام، ٦/ ٢٧٠، ٢٧١.

(٣) جعفر بن محمد الصادق: (٨٠ ـ ١٤٨هـ = ٦٩٩ ـ ٧٦٥م) بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله: سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، له منزلة رفيعة من العلم، مولده ووفاته بالمدينة، المرجع نفسه، ٢/ ١٢٦.

(٤) أبو نعيم الفضل بن دُكين: (١٣٠ ـ ٢١٩هـ = ٧٤٨ ـ ٨٣٤م) بن حمّاد التيمي بالولاء، الملائي، أبو نعيم: محدّث حافظ من أهل الكوفة، من شيوخ البخاري ومسلم، كان إمامياً، وإليه نسبة الطائفة «الدكينية»، وفي أيامه امتحن المأمون الناس في مسألة القول بخلق القرآن، ودعاه والي الكوفة، فسأله، فقال: أدركت الكوفة وبها أكثر من سبعمائة شيخ، الأعمش فمن دونه، يقولون القرآن كلام الله، وعنقي أهون من زرّي هذا، المرجع نفسه، ٥/ ١٤٨.

(٥) فاطمة الزهراء: (١٨ق هـ ـ ١١هـ = ٦٠٥ ـ ٦٣٢م) فاطمة بنت رسول الله ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب، الهاشمية القرشية، وأمها خديجة بنت خويلد، من نابهات قريش، وإحدى الفصيحات العاقلات، تزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الثامنة عشرة من عمرها، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر. المرجع نفسه، ٥/ ١٣٢.

رأوا أن الذي في الصندوق ميت ولم يعرفوه دفنوا الصندوق بما فيه، فلا يعلم أحد قبره، حكاه الخطيب أيضاً».

وأضاف ابن كثير: «وروى الحافظ ابن عساكر[١] عن الحسن قال: دفنت علياً في حجرة من دور آل جعدة.

وعن عبد الملك بن عمير[٢]، قال: لما حفر خالد بن عبد الله[٣] أساس دار ابنه يزيد[٤]، استخرجوا شيخاً مدفوناً أبيض الرأس واللحية، كأنما دفن بالأمس، فهمّ بإحراقه ثم صرفه الله عن ذلك، فاستدعى بقباطي فلفه فيها، وطيّبه، وتركه مكانه. قالوا: وذلك المكان بحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد في بيت إسكاف، وما يكاد يقرّ في ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه.

وعن جعفر بن محمد الصادق قال: صلّيَ على عليّ ليلاً، ودفن بالكوفة، وعُمّي موضع قبره، ولكنه عند قصر الإمارة.

وقال ابن الكلبي[٥]: «شهد دفنه في الليل الحسن والحسين وابن الحنفية،

---

(١) ابن عساكر: (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ = ١١٠٢ ـ ١١٧٦م) علي بن الحسين بن هبة الله، أبو القاسم: ثقة الدين، ابن عساكر الدمشقي: المؤرخ الحافظ، الرحالة، كان محدث الديار الشامية، ورفيق السمعاني (صاحب الأنساب) في رحلاته. مولده ووفاته في دمشق، المرجع نفسه، ٤/ ٢٧٣.

(٢) عبد الملك بن عمير: ابن سويد بن حارثة القرشي، ويقال اللخمي أبو عمرو، ويقال: أبو عمر الكوفي الحافظ، ويعرف بالقبطي، قال النسائي وغيره: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، ليس بحافظ، تغير حفظه قبل موته. وقال يحيى بن معين: مخلّط، ضعفه أحمد بن حنبل. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠.

(٣) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري: (٦٦ ـ ١٢٦هـ = ٦٨٦ ـ ٧٤٣م) من بجيلة، أبو الهيثم: أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم، يماني الأصل، من أهل دمشق، قتله يوسف بن عمر الثقفي. الزركلي: الأعلام، ٢/ ٢٩٧.

(٤) يزيد بن خالد: (٠٠٠ ـ ١٢٧هـ = ٠٠٠ ـ ٧٤٤م) بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، البجلي: أمير، كان مع أبيه في العراق، وقتل أبوه فانتقل إلى غوطة دمشق فأقام إلى أن ولي الخلافة مروان بن محمد، وانتفض أهل الغوطة ونادوا به أميراً عليهم، ثم حاصروا دمشق، فقاتلهم مروان بن محمد، فقتل يزيد. المرجع نفسه، ٨/ ١٨٢.

(٥) ابن الكلبي: (٠٠٠ ـ ٢٠٤هـ = ٠٠٠ ـ ٨١٩م) هشام بن محمد أبي النضر بن السائب بن بشر الكلبي، أبو المنذر: مؤرخ، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كأبيه، كثير التصانيف، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. المرجع نفسه، ٨/ ٨٧، ٨٨.

وعبد الله بن جعفر من أهل بيتهم، فدفنوه في ظاهر الكوفة، وعمُّوا قبره خيفة عليه من الخوارج وغيرهم»[١].

وهكذا نلاحظ أن مختلف الروايات قد أجمعت على إخفاء قبر علي رضي الله عنه، خشية أن يقدم الخوارج على نبشه والتمثيل به انتقاماً لإخوانهم الذين قتلهم في النهروان، هذا ما تشعر به مختلف الروايات، ولكي تطمئن نفوسنا إلى هذه النتيجة كان لزاماً علينا أن نخضعها لمباضع الجراحة النقدية، عن طريق مناقشة أسانيدها.

المبحث الثالث

أمر الخوارج زمن الحسن رضي الله عنه

خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما:

لما استشهد عليّ رضي الله عنه، بايع أهل الكوفة ابنه الحسن، وأول من بايعه قيس بن عُبادة، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنّة نبيه، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده، وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان، تحت إمرته أربعون ألف مقاتل، قد بايعوا علياً على الموت، فلما مات عليّ، ألحّ قيس على الحسن في النفير لقتال أهل الشام، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يسمع بمثله، ثم سيّر الحسن قيس بن سعد في اثني عشر ألف مقاتل طليعة له، وركب معاوية في جنوده للقاء قيس بن سعد، وقدّم أمامه عبد الله بن عامر بن كريز[٢]، فأخذ على عين التمر، ونزل الأنبار يريد المدائن، وبلغ ذلك الحسن بن علي وهو بالكوفة، فاستعدّ للقتال، وسار نحو المدائن لمحاربة عبد الله بن عامر بن كريز[٣]، إلا أن أصحاب الحسن رضي الله عنه

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٢) عبد الله بن عامر بن كريز: (٤ ـ ٥٩هـ = ٦٥٢ ـ ٦٧٩م) بن ربيعة الأموي، أبو عبد الرحمٰن: أمير فاتح، ولد بمكة، وولي البصرة في أيام عثمان، شهد وقعة الجمل مع عائشة، ولاه معاوية البصرة ثلاث سنين، ثم عزله عنها، فأقام بالمدينة، ومات بمكة. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٩٤.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٦٥، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٠٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ١٥، أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٦٥، والمقدسي: البدء والتاريخ، ٥/ ٢٣٥.

لم يكن يوثق بهم، حيث كانوا ممزّقين، مختلفي الأهواء[١]، فلما انتهى إلى ساباط، وقد رأى فيهم فشلاً وتواكلاً عن الحرب، فنزل ساباط، وأقبل عبد الله بن عامر على رأس وفد إلى الحسن رضي الله عنه، فأتاه وهو نازل في مضاربه، وخلا به بعض الوقت، ثم خرج وبقية أعضاء الوفد وهم يقولون ويُسمِعون الناس: إن الله قد حقن بابن رسول الله ﷺ الدماء، وسكن به الفتنة، وأجاب إلى الصلح، فاضطرب العسكر، ولم يشكّ الناس في صدقهم[٢].

ثم قام الحسن فيهم خطيباً، فقال: يا أيها الناس، إني قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة، وإني ناظر لكم كنظري لنفسي، وأرى رأياً فلا تردُّوا عليّ رأيي، إن الذي تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة، وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب، وفشل عن القتال، ولست أرى أن أحملكم على ما تكرهون[٣].

فلما سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد أن يصنع؟! قالوا: نظن أنه يريد أن يصالح معاوية ويسلم إليه الأمر[٤].

وقال بعضهم ممّن يرى رأي الخوارج: كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله[٥].

ثم شدُّوا على فسطاطه، فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ورداءً كان على عاتقه، فبقي متقلّداً سيفه بغير رداء، فدعا بفرسه وركبها، وقد أحدق به الغوغاء، ونادى: أين ربيعة وهمدان؟ فبادروا إليه ودفعوا عنه القوم.

ثم ارتحل يريد المدائن، فكمن له الجراح بن سنان[٦] من بني أسد في مظلم ساباط، فلمّا حاذاه الحسن طعنه بمغول[٧] في فخذه، فشقّه حتى بلغ العظم[٨]، وقال: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك.

---

(١) ابن الصباغ: الفصول المهمة، ص١٤٧.

(٢) اليعقوبي: ٢/ ٢١٥، الإربلي: كشف الغمة، ٢/ ١٦٢، وابن الصباغ: الفصول المهمة، ص١٤٧.

(٣) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٦٥، الإربلي: كشف الغمة، ٢/ ١٦٢، وابن الصباغ: الفصول المهمة، ص١٤٧.

(٤) الإربلي: كشف الغمة، ٢/ ١٦٢، وابن الصباغ: الفصول المهمة، ص١٤٧.

(٥) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٦٥.

(٦) في الأخبار الطوال: الجراح بن قبيصة من بني أسَد.

(٧) المِغول: كمنبر، سوط في جوفه سيف دقيق يشدّه على وسطه ليغتال به الناس.

(٨) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٦٥.

فقبض الحسن على لحيته ودق عنقه[١].

وحمل الحسن على سرير من تلك الضربة إلى المدائن فنزل بها على سعد بن مسعود الثقفي ـ وكان عاملاً عليها من جهة أبيه علي بن أبي طالب، واشتغل الحسن بمعالجة جرحه.

وكان المختار ابن أبي عبيد عند عمّه سعد بن مسعود فراوده على اعتقال الحسن وتسليمه إلى معاوية، فرفض ذلك وقرّعه[٢].

وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة سراً، واستحثوه على سرعة المسير نحوهم، وضمنوا له تسلم الحسن عليه السلام عند دنوهم منه والفتك به، وبلغ الحسن ذلك، وتحقق فساد نيات أكثر أصحابه وخذلانهم له، وما أظهروه من سبه وتكفيره، واستحلال دمه، فكتب إلى معاوية في الصلح[٣] ويسأله الأمان[٤]، وكان قد أقبل بأهل الشام حتى نزل (مَسْكِن)[٥]، فأرسل إليه عبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمٰن بن سمرة[٦]، فقدما على الحسن، فأعطياه ما أراد، فصالح معاوية «للمصلحة الحاضرة التي كان الحسن ـ عليه السلام ـ أعلم بها، وسلم الخلافة إليه، وتوجه نحو المدينة، وبويع معاوية ـ رضي الله عنه ـ بالخلافة العامة، ودُعي

---

(١) الإربلي: كشف الغمة، ٢/ ١٦٢، وابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٦٥، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٠٤، وابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ١٥.

(٣) الإربلي: كشف الغمة، ٢/ ١٦٣، ابن الصباغ: الفصول المهمة، ص١٤٨، المفيد: الإرشاد، ص١٩٠، وأبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٦٥، ١٦٦.

(٤) جاء في الصحيح عن الحسن البصري أنه قال: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس؟! من لي بنسائهم؟! من لي بضيعتهم؟! فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمٰن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز، فقال معاوية: اذهبا إلى هذا الرجل، فأعرضا عليه وقولا له، واطلبا إليه (أي الصلح). رواه البخاري، رقمه (٢٧٠٤).

(٥) مسكن: موضع قريب من أوانا على نهر دُجيل عند دير الجاثليق. معجم البلدان، ٥/ ١٢٧.

(٦) عبد الرحمٰن بن سمرة: (٠٠٠ ـ ٥٠هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٠م) بن حبيب بن عبد شمس القرشي، أبو سعيد: صحابي من القادة الولاة، أسلم يوم فتح مكة، سكن البصرة، وفتح سجستان وكابل وغيرهما، وغزا خراسان، ثم عاد إلى البصرة فتوفي فيها. الزركلي: ٣/ ٣٠٧.

بأمير المؤمنين»[١]، وسمّي ذلك العام (٤١هـ) بعام الجماعة لاتحاد كلمة المسلمين على معاوية بعد الذي جرى من تلك الحروب الدامية[٢].

وحين صالح معاوية، قام رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: إن أكيس الكيس التقى، وإن أعجز العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية حق لامرىء وكان أحق بحقه منّي، أو حق لي فتركته لمعاوية إرادة استصلاح المسلمين وحقن دمائهم، وتلا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝١١١﴾ [الأنبياء: ١١١]، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم[٣]، فكبّر الناس فرحاً واختلطوا[٤].

ونقل الكشي[٥] عن أبي عبد الله جعفر الصادق، أنه قال: إن معاوية كتب إلى الحسن بن علي صلوات الله عليهما أن أقدِم أنت والحسين وأصحاب عليّ، فخرج معهم قيس بن سعد بن عُبادة الأنصاري، وقدموا الشام، فأذن لهم معاوية، وأعدّ لهم الخطباء، فقال: يا حسن! قم فبايع، فقام فبايع، ثم قال للحسين عليه السلام؛ قم فبايع، فقام فبايع، ثم قال: يا قيس! قم فبايع، فالتفت إلى الحسين عليه السلام[٦]، ينظر ما يأمره، فقال: يا قيس! إنه إمامي يعني الحسين عليه السلام.

---

(١) ابن الطقطقي: الفخري، ص١٠٩.

(٢) تحققت فيه رضي الله عنه نبوءة رسول الله ﷺ، حينما قال مشيراً إليه: «**إن ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**». أخرجه البخاري في الصلح وفضائل أصحاب النبي والفتن، وأبو داود في السنة، والترمذي في المناقب، والنسائي في الجمعة، رقمه في صحيح البخاري: (٧١٠٩).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٣/ ١٧٥، وأبو نعيم بن حماد في الفتن عن سفيان، كما في المنتخب، ٥/ ٤٥٠. وذكره الطبري في تاريخه، ٣/ ١٦٧، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب، ١/ ٥٢.

(٤) الطبري: ٣/ ١٦٧، وابن العماد: شذرات الذهب، ١/ ٥٢، والمقدسي: البدء والتاريخ، ٥/ ٢٣٧.

(٥) الكشي: أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز. قالوا فيه: كبير علماء التراجم المتقدمين عند الشيعة، ثقة، عين، بصير بالأخبار والرجال، كثير العلم، حسن الاعتقاد، مستقيم المذهب، وقالوا في كتابه الرجال: أهم الكتب في الرجال أربعة كتب عليها المعول، وهي الأصول الأربعة في هذا الباب، وأهمها وأقدمها، هو: معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين، المعروف برجال الكشي، انظر مقدمة كتاب الرجال، وهو من مواليد القرن الرابع الهجري، ومات فيه، نسبته إلى (كش) من بلاد ما وراء النهر، كان معاصراً للعياشي، أخذ عنه وتخرّج عليه في داره بسمرقند. الزركلي: ٦/ ٣١١.

(٦) لما يعلم قيس من شدّة الحسين وإنكاره على أخيه في مسألة الصلح.

وفي رواية: فقام إليه الحسن فقال له: بايع يا قيس، فبايع[١]. فجاء رجل من أصحاب الحسن رضي الله عنه، يقال له سفيان بن أبي ليلى وهو على راحلة له، فدخل على الحسن وهو مختب في فناء داره، فقال له: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين! فقال له الحسن: انزل، ولا تعجل، فنزل فعقل راحلته في الدار، وأقبل يمشي حتى انتهى إليه، فقال له الحسن: ما قلت؟! قال: قلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين! قال: وما علمك بذلك؟ قال: عمدت إلى أمر الأمة فخلعته من عنقك وقلّدته هذا[٢] الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله[٣].

ثم قام الحسن رضي الله عنه في أهل العراق، معتذراً للوّامه وعذّاله، فقال: ذهلت نفسي عنكم لثلاث: قتلكم أبي، وسلبكم ثقلي، وطعنكم في بطني، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا وأطيعوا[٤].

ولم يفته التأكيد على خذلان أتباعه له، وخطورة الموقف، ووجه المصلحة في هذا الصلح، فقال ما نصه: «أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي، وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي، ووالله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأومن به في أهلي، خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً، والله لئن أسالمه وأنا عزيز خير لي من أن يقتلني وأنا أسير[٥]، الأمر الذي أسخط شيعة الحسن.

فقد ذكر أبو حنيفة الدينوري[٦] أن حجر بن عدي[٧] جاء الحسن ولامه على ما

---

(١) الكشي: رجال الكشي، ص١٠٢. (٢) في الأصل: هذه، وهو ظاهر الخطأ.

(٣) الكشي: رجال الكشي، ص١٠٣، وأبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٦٨.

(٤) النوبختي: فرق الشيعة، ص٢٤، الإربلي: كشف الغمة، ٢/١٦٣، المسعودي: مروج الذهب، ٣/٩، المفيد: الإرشاد، ص١٩٠، اليعقوبي: تاريخ، ٢/٢١٥، والطبري مختصراً، ٣/١٦٥.

(٥) الطبرسي: الاحتجاج، ٢/٢٩٠.

(٦) أبو حنيفة الدينوري: (٠٠٠ ـ ٢٨٢هـ = ٠٠٠ ـ ٨٩٥م) أحمد بن داود بن وَنَند (بفتح الواو والنون والدال) الدِّينوري، أبو حنيفة: مهندس، مؤرخ، من نوابغ الدهر. الزركلي: الأعلام، ١/١٢٣.

(٧) حجر بن عديّ: (٠٠٠ ـ ٥١هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧١م) بن جبلة الكندي، صحابي شجاع، من المقدّمين، وفد على رسول الله ﷺ، وشهد القادسيّة، ثم كان من أصحاب علي وشهد معه وقعتي الجمل وصفين، وسكن الكوفة إلى أن قدم زياد بن أبي سفيان والياً عليها، فدعاه زياد فجاءه، فحذره زياد من الخروج على بني أمية، فما لبث أن عرفت عنه الدعوة إلى مناوأتهم والاشتغال في السرّ بالقيام عليهم، فجيء به إلى دمشق، فأمر معاوية بقتله، فقتل في مرج عذراء (من قرى دمشق) مع أصحاب له. الزركلي: الأعلام، ٢/١٦٩.

فعل، ثم جاء إلى أخيه الحسين يحثّه على الحرب فأبى، وقال: إنا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا[١].

كما ذكر المقدسي في البدء والتاريخ، أن الحسن كان يرغب في تسليم الأمر إلى معاوية، وأن يجعله في عنقه، فقال له الحسين: أنشدك الله أن تكون أول من عاب أباه ورغب عن رأيه، فقال الحسن: لتتابعني على ما أقول أو لأشدنّك في الحديد حتى أفرغ منه، فقال له الحسين: فشأنك به، وإني لكاره، فقام الحسن خطيباً، فذكر رأيه وإيثاره السلامة، فقال الناس: هو خالع نفسه لمعاوية فشق عليهم ذلك، فثاروا به وقطعوا عليه كلامه، وخرّقوا عليه سرادقه، وطعنه رجل في فخذه طعنة أشوته، وانصرفوا عنه إلى الكوفة[٢].

ثم خرج إلى الكوفة، فأقام فيها أياماً، وانصرف إلى المدينة، وهو يتجرّع كأس الألم ممّا اعتراه من غدر أتباعه؛ وقد غدروا بأبيه من قبله، ولعلّه من الأهمية بمكان أن تُذكّر بما لقيه علي رضي الله عنه من عنت أنصاره، وهم الذين ادّعوا حبّه وموالاته، وكانوا أبعد ما يكونون عن حبّه وموالاته وطاعته، حتى تكرّر قوله: ولكن لا رأي لمن لا يطاع، وحتى ملّهم وكره العيش معهم ورغب في مفارقتهم، وكان يقول: اللهم إني مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني»[٣].

وذاق أبناؤه الأمرّين من بعده، وأصابهم من أتباعهم ما أصابه وأكثر، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

تولّي معاوية رضي الله عنه الخلافة سنة (٤١هـ):

بدأت خلافة معاوية فعلاً في سنة إحدى وأربعين، عندما تنازل له الحسن عن

(١) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٦٨.
(٢) المقدسي: البدء والتاريخ، ٥/ ٢٣٥، ٢٣٦.
(٣) الشريف الرضي: نهج البلاغة ١/ ٤٨، المفيد: الإرشاد، ص١٤٦، الثقفي: الغارات، ص٣١٧، ٣٣٥ و٤٣٧، والطبرسي: الاحتجاج، ١/ ١٧٥.

الخلافة كما تقدّم، فدخل الكوفة، وخطب بها، واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق[١].

وقد كانت خلافته رضي الله عنه رحمة للمسلمين، استطاع معاوية خلالها، بذكائه وفطنته وحنكته ودهائه وسعة حلمه وعدله، أن يضع حداً للفوضى والفتن الداخلية التي استمرت ردحاً من الزمن، ومزقت شمل الأمة. كما نجح في ردع الروم الذين استغلوا تلك الفتن، وطمعوا في استعادة المراكز التي خسروها أمام الزحف الإسلامي سابقاً.

أما وقد اجتمعت كلمة المسلمين بهذه البيعة، وأعيد فتح باب الجهاد مجدّداً على مصراعيه، فقد قطع الروم آخر أمل باستعادة تلك المراكز التي فقدوها.

حرص معاوية على ضمّ الخصوم واستمالتهم:

سار معاوية بالناس سيرة حسنة، وقرّب إليه خصومه، وحرص على جمع كلمة المسلمين، فأعطى الحسن بن علي رضي الله عنهما ما اشترطه عليه خلال الصلح، وأمّن عبد الله بن عباس ووصله، وكذلك فعل بالنسبة إلى قيس بن سعد رضي الله عنهما، وكان قد خرج على رأس أربعين ألفاً من الجند أرسلهم عليّ رضي الله عنه لقتال أهل أذْرَبيجان[٢]، فلما قتل عليّ، وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية، اجتمعت كلمة هذا الجيش على قيس، وتعاهدوا على قتال معاوية حتى يشترط لهم، فبعث إليه معاوية يذكّره الله تعالى، فأبى أن يلين له حتى أرسل له معاوية بسجلّ قد ختم عليه في أسفله؛ وقال: اكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك، فلما

(١) الطبري: تاريخ، ١٦٨/٣. ولا شيء يصح مما ذكره محمد الخضري بك، من أن بيعة معاوية تمت باختيار من أهل الشام بعد حكم الحكمين، وبطريق الغلبة والقهر من أهل العراق، إلاّ أنها انتهت في آخر الأمر بالرضا والتسليم له بعد تنازل الحسن عن الخلافة، والصحيح أن معاوية لم يبايع بالخلافة بعد حكم الحكمين، لا من أهل الشام ولا من غيرهم، وإنما كان ينادى طوال تلك الفترة بالأمير، وهذا من شبهات السبئية. محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٩٧.

(٢) أذْرَبِيْجَان: صقع جليل، ومملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال، وفيه قلاع كثيرة، وخيرات واسعة، من مدنها: خويّ، وسلماس، وأرمية، وأردبيل. معجم البلدان، ١٢٨/١.

بعث معاوية بذلك السجلّ، اشترط فيه قيس له ولمن معه الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك شيئاً إلا أعطاه من مال، ودخل قيس ومن معه في طاعته[١].

ونجح معاوية في استمالة أحد أعظم الدهاة في زمانه، وهو زياد بن أبيه، الذي كان والياً على بلاد فارس من قبل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وبعد استشهاد عليّ، بقي زياد في (فارس)، فأرسل إليه معاوية، ولم يزل به حتى أرضاه واستقدمه فقدم عليه، فأحسن معاوية استقباله، وضمّه إليه، ثم استأذن زياد في الخروج إلى الكوفة بعد أن أصبح المغيرة بن شعبة والياً عليها، فأذن له، وبقي زياد في الكوفة، فكان المغيرة يكرمه ويعظمه[٢]، ولم تمضِ فترة حتى استلحق معاوية نسب زياد ابن سميّة بأبيه، فأصبح اسمه (زياد بن أبي سفيان)، وقال معاوية في ذلك: «أما والله لقد علمت العربُ أني كنت أعزّها في الجاهلية، وأن الإسلام لم يزدني إلا عزاً، وإني لم أتكثّر بزياد من قلّة، ولم أتعزّز به من ذلّة، ولكن عرفت حقاً له فوضعته موضعه»[٣].

وهكذا نجح معاوية في إزالة أكثر العقبات وأقساها من طريقه، وتوحيد كلمة المسلمين، فدخل المسلمون في طاعته، وانخرطوا في صفوف المقاتلين، فعادت الفتوحات إلى أيامها الأولى، وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في طليعة المجاهدين.

كما ولي بعض الصحابة الأعمال لمعاوية، وإذا كان قد بقي بعض أصحاب الآراء الخاصة إلا أن عددهم كان قليلاً، فقد بقي عدد من الخوارج يخفون آراءهم في الأحوال العادية، ويظهرونها وقت الشغب والخروج على الدولة، ولم يكن أثرهم كبيراً

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٦٨، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٠٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ١٩، والمقدسي: البدء والتاريخ، ٥/ ٢٣٧.

(٢) الطبري: تاريخ، ١٧٥، ١٧٦، وابن الأثير: تاريخ، ٢١٠، ٢١١.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٩٥.

أيام معاوية، وبقي عدد من المشاغبين وأهل الفوضى والأهواء، ومركزهم الرئيس كان في الكوفة، ثم في البصرة، وهؤلاء يظهر شغبهم وقت اللّين، ويختفون وقت الشدّة، لذا فقد اشتهر ولاة هاتين المنطقتين بالشدة التي اضطروا إلى اللجوء إليها اضطراراً حتى غدوا أنموذجاً في القسوة، وهذا السلوك هو الذي جعل الكثيرين يحملون عليهم، وذلك أن أهل العراق قد تقاعسوا عن سيدنا علي حتى قتل، وتقاعسوا عن الحسن حتى تنازل، ثم سلموا مسلم بن عقيل(١)، وتخلّوا عن الحسين وقاتلوه بعد أن أغروه بالخروج على يزيد(٢)، وثاروا مع زيد بن علي(٣) بن الحسين ثم تخلّوا عنه، وهكذا.

ومهما يمكن أن يقال عن خلافة معاوية، فإنها تظلّ أنموذجاً رائعاً لوحدة الكلمة، وانتشار الفتوحات، وسيادة الشرع، وسعادة الناس(٤).

---

(١) مسلم بن عقيل: (٠٠٠ ـ ٦٠هـ = ٠٠٠ ـ ٦٨٠م) بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، تابعي، من ذوي الرأي والعلم والشجاعة، كان مقيماً بمكة، وانتدبه الحسين (السبط) بن علي ليتعرف له حال أهل الكوفة حين وردت عليه كتبهم يدعونه ويبايعون له فرحل مسلم إلى الكوفة فأخذ بيعة ١٨٠٠٠ من أهلها، وكتب إلى الحسين بذلك، فشعر به عبيد الله بن زياد (أمير الكوفة) فطلبه، ثم قتله بعد أن تفرّق عنه أهل الكوفة. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٢٢، بتصرف.

(٢) يزيد بن معاوية: (٢٥ ـ ٦٤هـ = ٦٤٥ ـ ٦٨٣م) بن أبي سفيان الأموي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام، وُلد بالماطرون، ونشأ بدمشق، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٦٠هـ) وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن علي، فانصرف الأول إلى مكة، والثاني إلى الكوفة، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد «الحسين بن علي» سنة (٦١هـ)، وخلع أهل المدينة طاعته (سنة ٦٣هـ) فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المرّي فأخضعها، وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى وبخارى وخوارزم، ويقال أن يزيد أول من خدم الكعبة وكساها الديباج الخسرواني، توفي بحوارين (من أرض حمص). المرجع نفسه، ٨/ ١٨٩.

(٣) زيد بن عليّ: (٧٩ ـ ١٢٢هـ = ٦٩٨ ـ ٧٤٠م) بن الحسين بن علي بن أبي طالب: الإمام، أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي، ويقال له: «زيد الشهيد»، كانت إقامته بالكوفة، وقرأ على واصل بن عطاء (رأس المعتزلة) واقتبس منه علم الاعتزال، وأشخص إلى الشام، فضيق عليه هشام بن عبد الملك، وحبسه خمسة أشهر، وعاد إلى العراق ثم إلى الكوفة سنة ١٢٠هـ فبايعه أربعون ألفاً على الدعوة إلى الكتاب والسنة وجهاد الظالمين، وكان العامل على العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي، فكتب إلى الحكم بن الصلت وهو في الكوفة أن يقاتل زيد ففعل، ونشبت معارك انتهت بمقتل زيد. المرجع نفسه، ٣/ ٥٩، انتهى. قلت: وقد تخلّى عنه أكثر أتباعه قبل أن يسلموه ليوسف بن عمر الثقفي.

(٤) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ٤/ ٨٥، ٨٦، بتصرف.

المبحث الرابع
أمر الخوارج زمن معاوية رضي الله عنه

كان معاوية رضي الله عنه قد أسلم يوم الفتح[١]، وقيل غير ذلك[٢]، وكان من جُملة كُتّاب رسول الله ﷺ[٣].

استعمله عمر وعثمان زهاء عشرين سنة، فاكتسب خلال تمرّسه بولاية الشام خبرة واسعة وفهماً واعياً لما يحيط به، كما حاز على حبّ الرعية وولائها.

ووصف بأنه كان رجلاً حكيماً وسياسياً بارعاً من الطراز الأول، وهو القائل: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدُّوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها[٤].

وقد استطاع معاوية بما أوتي من دهاء وحكمة، أن يبسط سلطانه على جميع البلاد الإسلامية، ونجح في استمالة خصومه وضمهم إلى الصف الإسلامي، كما نجح في إخضاع إقليم العراق المضطرب، باللين والعطاء تارة، وبالعنف والشدة تارة أخرى، ولكن خضوع أهل العراق لم يكن يعني أنهم كانوا موالين لمعاوية، وأنهم خضعوا عن قناعة ورضى، ذلك أن الكثيرين منهم، ركنوا إلى الدعة والسكينة مكرهين، فقد وجدوا أن خلافة معاوية قد أصبحت أمراً واقعاً، فهو خليفة المسلمين بالإجماع، وبخاصة أن الحسن والحسين بايعا له[٥].

أكثر ما كان يقلق معاوية رضي الله عنه ويهمّه أمر الخوارج، الذين كانوا بادىء الأمر من أنصار عليّ رضي الله عنه، وكان ابتداء ظهورهم في جيش عليّ بعد التحكيم

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٨٥٥، وابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٠٩.

(٢) أسلم بعد الحديبية على ما حكاه الواقدي وابن كثير في البداية ١١٧/٨، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ٥٩/ ٥٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٢١ و١١٧ و١١٩، كما ذكره مسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٥٠١).

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ٢٥، واليعقوبي: تاريخ، ٢/ ٢٣٨.

(٥) أبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم، ص١٩٩.

الذي جرى في معركة صفين بين عليّ ومعاوية، وغلوا في الدين غلواً لا مزيد عليه، وأساؤوا تأويل القرآن الكريم، وكفّروا علياً ومعاوية ومن معهما، وكلّ من خالفهم، ثم خرجوا في اثني عشر ألف مقاتل إلى حروراء، على نحو ما تقدّم معنا، وجعلوا عليهم شبث بن ربعي التميمي، وعلى صلاتهم عبد الله بن الكوّاء اليشكري، فناظرهم عليّ، فاقتنعوا مؤقتاً ودخلوا الكوفة، إلا أنهم بدأوا يسببون الكثير من المتاعب لأمير المؤمنين علي، وكثيراً ما كانوا يقاطعونه وهو على المنبر، ويردّدون في وجهه شعارهم المشهور: لا حكم إلا لله، وهي كلمة حق أريد بها باطل، كما قال عليّ نفسه، ثم خرجوا على عليّ من جديد، واجتمعوا على عبد الله بن وهب الراسبي في أربعة آلاف، وساروا إلى المدائن، فقتلوا عامل عليّ عليها، عبد الله بن خباب، وشقوا عصا الطاعة، وعاثوا في الأرض الفساد، ونصبوا لعليّ راية الخلاف، رغم محاولته الحثيثة لردّهم إلى جادة الصواب، وإعادتهم إلى الصف الإسلامي، ممّا اضطره إلى قتالهم واستئصال شأفتهم، فسار إليهم في النهروان، وقتل جمعهم، وأباد خضراءهم، ولم ينج منهم إلا القليل، وقتل حرقوص بن زهير، وعبد الله بن وهب الراسبي وغيرهما من القادة.

ثمّ قرر الخوارج أن يثأروا لقتلاهم، فأجمعوا أمرهم على قتل علي ومعاوية، وعمرو بن العاص، فقتل علي رضي الله عنه، وأصيب معاوية بجراح، ونجا عمرو بن العاص على نحو ما تقدّم معنا في الفصل الأوّل.

انتقاض الخوارج على معاوية وقتالهم:

من الواضح أن الخوارج الذين أظهروا معارضة شديدة لاتفاق التحكيم، كانوا ساخطين على معاهدة الصلح التي جرت بين الحسن ومعاوية؛ لأنهم وجدوا فيها خطراً يتهددهم، ويضع حداً لطموحاتهم وأطماعهم، وقد عبّر عبد الله بن وهب الراسبي، الخليفة الأول للخوارج عن ذلك بقوله:

نقاتلكم كي تلزموا الحق وحده ... ونضربكم حتى يكون لنا الحكم[1]

لذلك لم ينتظروا كثيراً في إعلان الثورة على معاوية. فخرجوا عليه منذ الأيام الأولى لبيعته، وكان أول الخارجين عليه فروة بن نوفل الأشجعي، وذلك سنة إحدى

(١) نايف معروف: ديوان الخوارج، ص٨٧.

وأربعين، وكانوا قد اعتزلوا أيام علي رضي الله عنه بشهرزور، فلما سلّم الحسن الأمر إلى معاوية قالوا: قد جاء الآن ما لا شك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه. وأقبل معاوية من الكوفة حتى نزل النخيلة، وأقبل الخوارج عازمين على القتال، حتى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية قوّة من فرسان الشام، لم يلبث الخوارج أن ألحقوا بهم الهزيمة، فاتصل معاوية بأهل الكوفة مهدّداً ومتوعّداً برفع الأمان عنهم إن لم يكفوا هؤلاء الخوارج، فخرج أهل الكوفة إليهم وقاتلوهم، وحاول الخوارج إقناع أهل الكوفة بالكف عن قتالهم، فأبوا، فقال الخوارج: رحم الله إخواننا من أهل النهر، هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة، ثم أخذت أشجع صاحبهم فروة فحادثوه ووعظوه، فلم يرجع، فأخذوه قهراً، وأدخلوه الكوفة، فاستعمل الخوارج عليهم عبد الله بن أبي الحوساء[١]، رجلاً من طيّىء، فقاتلهم أهل الكوفة وقتلوهم، وقتل ابن أبي الحوساء[٢].

خروج حوثرة بن وداع سنة (٤١هـ):

لما قتل ابن أبي الحوساء، اجتمع الخوارج فولُّوا أمرهم حوثرة بن وداع بن مسعود الأسدي، فقام فيهم، وعاب فروة بن نوفل لشكه في قتال عليّ، ودعا الخوارج وسار من براز الروز ـ وكان بها ـ حتى قدم النخيلة في مائة وخمسين، وانضمّ إليه فلّ ابن أبي الحوساء وهم قليل، فدعا معاوية أبا حوثرة فقال له: اخرج إلى ابنك فلعلّه يرقّ إذا رآك، فخرج إليه وكلمه وناشده وقال: ألا أجيئك بابنك فلعلك إذا رأيته كرهت فراقه! فقال: أنا لطعنة من يد كافر برمح أتقلّب فيها ساعة أشوق مني إلى ابني.

---

(١) عبد الله بن أبي الحوساء الطائي: أحد بني ثُعَل، جعله فروة بن نوفل الأشجعي خليفته والقائم بأمر أصحابه إن حدث به حدث، وكان ممن اعتزل يوم النهر في ثلاثمائة، وقدم الكوفة، فبايعه الخوارج من أصحاب فروة بعد دخول فروة الكوفة وحبس قومه إياه عندهم، قتله رجل من بني تغلب يقال له: عبيد بن جرير. وكان ابن أبي الحوساء حين ولي أمر الخوارج قد خوِّف من السلطان أن يصلبه إذا قتله فقال:

ما إن أبالي إذا أرواحنا قبضت ... ماذا فعلتم بأوصال وأبشار
تجري المجرّة والنّسران عن قدر ... والشمس والقمر الساري بمقدار
وقد علمت وخير القول أنفعه ... إن السعيد الذي ينجو من النار

البلاذري: أنساب الأشراف، القسم الرابع، ١/ ١٦٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٦٥، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٠٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٢٢.

فرجع أبوه فأخبر معاوية بقوله، فسيّر معاوية إليهم عبد الله بن عوف الأحمر في ألفين، وخرج أبو حوثرة فيمن خرج فدعا ابنه إلى البراز، وبارز حوثرة عبد الله بن عوف، فطعنه ابن عوف فقتله، وقتل أصحابه إلا خمسين رجلاً دخلوا الكوفة، وذلك في جمادى الآخرة من هذه السنة، ورأى ابن عوف بوجه حوثرة أثر السجود ـ وكان صاحب عبادة ـ فندم على قتله[١].

خروج فروة بن نوفل وآخرين سنة (٤١، ٤٢هـ):

عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص عن الكوفة، واستعمل مكانه المغيرة بن شعبة، ومنذ الأيام الأولى لولايته، خرج عليه طوائف من الخوارج، مستغلّين السياسة التي اتبعها في إدارة البلاد، والتي اتّسمت باللين والتسامح، حيث أحب العافية، وأحسن في الناس السيرة، وكان يؤتى فيقال له: إن فلاناً يرى رأي الشيعة، وفلاناً يرى رأي الخوارج، فيقول: قضى الله أن لا يزالوا مختلفين، وسيحكم الله بين عباده، فأمنه الناس[٢].

إلا أن الخوارج استغلوا هذه السياسة، فخرجوا عليه منذ الأيام الأولى لولايته، فكان أول الخارجين عليه فروة بن نوفل الأشجعي، فوجه إليه المغيرة شبث بن ربعيّ، ويقال: معقل بن قيس، فلقيه بشهرزور فقتله، وقيل: قتل ببعض السواد، ثم خرج عليه شبيب بن بجرة ـ وكان مع ابن ملجم حين قتل علياً، فبعث إليه المغيرة خيلاً عليها خالد بن عرفطة[٣]، وقيل: معقل بن قيس فاقتتلوا فقتل شبيب وأصحابه.

ثم خرج معين بن عبد الله[٤] ـ وهو رجل من محارب، فأرسل إليه وعنده جماعة فأخذ وحبس، ثم استتابه فلم يتب، فأمر به فقتل مع أصحابه.

---

(١) ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٠٥، ٢٠٦، والمبرد: الكامل، ٣/ ١١٦٤، ١١٦٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٧٤، وابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢١٠.

(٣) خالد بن عرفطة: ذكره المزي في تهذيب الكمال، وقال: ذكره ابن حبان في كتاب الثقات. المزي: تهذيب الكمال، ٨/ ١٣٠.

(٤) معين بن عبد الله: (٠٠٠ ـ ٤١هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦١م) المحاربي: أحد الشجعان الأشداء، من زعماء قومه، أراد الخروج على معاوية فعلم المغيرة بأمره فقبض عليه، وبعث إلى معاوية يخبره بأمره، فكتب إليه: إن شهد أني خليفة فخلّ سبيله. فأحضره المغيرة، وسأله عن ذلك فقال: أشهد أن الله عزّ وجل حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، فأمر به فقتل. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٧٤.

ثم خرج بعده أبو مريم[١] مولى بني الحارث بن كعب ومعه امرأتان وهما: قطام وكحيلة، وكان أول من أخرج معه النساء، فعاب ذلك عليه أبو بلال بن أدية على إخراجه النساء، فقال: قد قاتل النساء مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين بالشام، ثم ردّهما، فوجه إليه المغيرة جابراً البجليّ، فقاتله فقتل أبو مريم وأصحابه ببادوريا.

وخرج عليه أبو ليلى ـ وكان رجلاً أسود طويلاً ـ فأخذ بعِضادتي باب المسجد بالكوفة، وفيه عدة من الأشراف، وحكّم بصوت عالٍ، فلم يعرض له أحد، فخرج وتبعه ثلاثون رجلاً من الموالي، فبعث إليه المغيرة معقل بن قيس الرياحي فقتله بسواد الكوفة سنة اثنتين وأربعين[٢].

ثم لم يلبث الخوارج أن خرجوا بقيادة حيّان بن ظبيان السّلمي، وكان حيّان من القلة القليلة التي نجت في معركة النهروان، وقد عفا عنهم عليّ، فخرج بأهله وعشيرته وأنصاره إلى الريّ من بلاد فارس، وأقام فيها، إلى أن بلغه مقتل علي رضي الله عنه، دعا حيّان أصحابه ـ وكانوا بضعة عشر رجلاً ـ فأخبرهم بما فعل عدو الله ابن مَلْجَم، فدعوا له بخير، وجعلوا يحمدون الله على قتل علي رضي الله عنه، ولا رضي عنهم ولا رحمهم، ثم دعا حيّان أصحابه للذهاب إلى الكوفة، وإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثأر ممن قتل إخوانهم، فأجابوه إلى ذلك.

ثم أقبلوا حتى نزلوا الكوفة، فلم يزالوا بها حتى قدم معاوية رضي الله عنه، وقد رأى أنه لن يستقيم أمر هذا القطر المضطرب، إلا بتولية رجال أكفاء، ذوي خبرة وحكمة ودهاء، يأخذون على أيدي المعتدين، فاستعمل المغيرة بن شعبة ـ كما سبق وذكرنا ـ فأحب العافية، وأحسن السيرة، ولم يحاسب أهل الأهواء على أهوائهم، فأمنه الناس. وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضاً ـ مستفيدين من الحرية التي أطلقها المغيرة ـ فيتذاكرون مكان إخوانهم بالنهروان، ويرون أن في الإقامة الغبن والتقصير، وأن في جهاد أهل القبلة الفضل والأجر، فاجتمعوا عند حيّان بن ظبيان، وأجمعوا أمرهم على حرب معاوية، فانتخبوا المستورد بن عُلَّفَة التّيمي قائداً عليهم، وأخذوا في الاستعداد للحرب، وحدّدوا موعداً لها في غرّة شعبان سنة ثلاث وأربعين.

---

(١) في تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٢١): أبو علي مولى بني الحارث بن كعب.

(٢) ابن الأثير: تاريخ، ٣/٢٠٦، ٢٠٧، وابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٢٢.

وعلم المغيرة بأمرهم، فكلّف قائد شرطته (قُبيصة بن الدامون)، فألقى عليهم القبض، وأجرى معهم التحقيق، فزعموا أنهم يجلسون إلى حيّان لمدارسة القرآن، إلا أن المغيرة لم يجد بداً من سجنهم، بعد أن أقام عليهم الحجّة، بشهادة بعضهم، فمكثوا في السجن قريباً من سنة.

ولما علم المستورد بن علفة باعتقال حيّان وأصحابه، أسرع في الذهاب إلى الحيرة مع أتباعه، وذلك سنة ثلاث وأربعين.

وعلم المغيرة بتحركاتهم، فجمع الناس، وخطبهم مذكراً إياهم بسيرته الحسنة فيهم، وبما عزم عليه بعضهم من الخروج عليه، مؤكداً عزمه على استئصال شأفة الخارجين، إن سوّلت لهم نفوسهم بالخروج، ثمّ جمع المغيرة رؤساء الناس، وأمرهم بكفّ سفهائهم، وهدّدهم وتوعّدهم، فأجمع أهل الكوفة أمرهم على نفي كل من كان بينهم من الخوارج، وتسليمهم للمغيرة، وعلم المستورد بن علفة بالأمر، وكان قد نزل في منزل أحد رجال بني عبد قيس، فارتحل عنه، في الوقت الذي طلب فيه من أصحابه مغادرة الكوفة، فخرجوا متفرّقين إلى الصّراة فباتوا بها ليلة، وعلم المغيرة بخروجهم، فأرسل جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، أسند قيادته إلى معقل بن قيس، وأمره أن يدعو الخوارج إلى التوبة، وإلى الدخول في الجماعة، فإن فعلوا فليقبل منهم، وإلا فليناجزهم.

ومضى معقل بن قيس في مطاردة الخوارج، حتى أدركهم في المذار، ودارت هناك معركة ضارية، انتهت بإبادة الخوارج إبادة شبه كاملة، وقتل المستورد بن علفة، كما قتل معقل بن قيس[١].

وعلى العموم فقد نجح المغيرة في القضاء على الخوارج في الكوفة وما حولها، إلا أن السياسة التي اتبعها معهم ـ والتي اتسمت باللين في كثير منها ـ كانت موضع جدل، فعلى الرغم من نجاحه في القضاء على ثوراتهم الواحدة تلو الأخرى، بدهاء وحكمة، فإنه لم يكن عنيفاً في أخذه لهم، حتى يبدو وكأنه كان يطمع بعودتهم عن غيّهم ليعفو عنهم جميعاً، فقد جاءه عبد الله بن عقبة الغنوي الخارجي، الذي كان رسول المستورد بن علفة إلى سماك بن عبيد الأزدي، فعفا عنه[٢].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/١٧٣ ـ ١٩٣، ابن الأثير: تاريخ، ٣/٢١٢ ـ ٢١٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٢٤، ٢٥، والمبرد: الكامل، ٣/١١٦٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/١٩١.

ووصل الأمر بفلهوزن أن يقول في ذلك: «ولو جاء الخوارج كلهم إلى المغيرة لكان قد عفا عنهم»[(١)].

ويرى الدكتور نايف معروف أن المغيرة كان متأثراً بسياسة أميره معاوية، فللحكم موضع وللسيف آخر، فقد استطاع أن يشغل الكوفيين عن معارضة الأمويين معارضة فعّالة، كما تمكن من إخماد ثورات الخوارج دون كبير عناء، وبأقلّ التكاليف، وعمل بمنتهى الدهاء حين جعل خصوم بني أمية من الشيعة يحاربون خصوم الفريقين من الخوارج.. ويمكن القول أن دم الشيخوخة جعل المغيرة أقل عنفاً وأكثر ميلاً إلى اللين والتسامح، فهذا ما صرّح به لمعاوية حين أراده أمير المؤمنين أكثر حزماً وأصلب عوداً، فقد كتب إليه يقول: «أما بعد، فقد كبرت سني، ورقّ عظمي، واقترب أجلي»[(٢)].

ولاية زياد بن أبي سفيان العراق ومقارعة الخوارج:

يبدو أن السياسة التي اتبعها المغيرة بن شعبة، والتي اتسمت باللّين، قد أخفقت في وضع حدّ للخوارج، الذين رأوا في سياسته تلك ضعفاً، فتوالى خروجهم كما رأينا، وعاثوا في أرض العراق الفساد، فخافهم أهلها، ممّا اضطرّ معاوية إلى اختيار رجل أشدّ حزماً، وأكثر دهاءً من المغيرة، ألا وهو زياد بن أبي سفيان، أحد دهاة العرب، وكان معاوية قد استلحقه بأبيه، فقدم زياد البصرة في آخر ربيع الآخر، سنة خمسة وأربعين، والفسق ظاهر فاش فيها، وكان عليها عبد الله بن عامر، والياً من قبل معاوية، وكان حليماً كريماً ليناً، لا يأخذ على أيدي السفهاء، ففسدت البصرة بسبب ذلك، ويقال أنه كان لا يقطع لِصًّا، ويريد أن يتألف الناس، فذهب عبد الله بن أبي أوفى المعروف بابن الكوّاء، فشكاه إلى معاوية، فعزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة سنة أربعة وأربعين، وبعث إليها الحارث بن عبد الله الأزدي[(٣)]، ثم عزله بعد

---

(١) نايف معروف: الخوارج، ص١٢١، نقلاً عن الشيعة والخوارج لفلهوزن، ص٥٩.

(٢) ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ١/٩٧، لمزيد من التفصيل انظر: الخوارج للدكتور نايف معروف، ص١٢١.

(٣) الحارث بن عبد الله: (٠٠٠ ـ نحو ٥٠هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٠م) بن وهب الأزدي النمري الدوسي: صحابي، من العقلاء ذوي الرأي، شهد اليرموك مع خالد بن الوليد، وصفين مع معاوية، استعمله معاوية على البصرة سنة ٤٥هـ، لم تطل مدة إمارته، وتوفي زمن معاوية. الزركلي: الأعلام، ٢/١٥٦.
وهذا غير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع.

أربعة أشهر، وولّى زياداً على البصرة، واستعمله على خُراسان[١] وسِجِسْتَان[٢]، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان[٣].

ولما دخل زياد إلى البصرة، خطب أهلها خطبته البتراء[٤]، التي لم تخل من التهديد والوعيد، والترغيب والترهيب، فضلاً عن ضروب الفصاحة والبلاغة، وجوامع الكلم؛ وممّا جاء فيها:

الحمد لله على أفضاله وإحسانه، ونسأله مزيداً من نعمه، اللهم كما زدتنا نعماً فألهمنا شكراً على نعمك علينا.

أما بعد... فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والفجر الموقد لأهله النار، الباقيَ عليهم سعيرها، ما يأتي سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى منها الكبير، كأن لم تسمعوا بآي الله، ولم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السّرمد الذي لا يزول، أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا، وسدّت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تبعثوا به، من ترككم هذه المواخير المنصوبة، والضعيفة المسلوبة، في النهار المبصر، والعدد غير قليل، ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل[٥] وغارة النهار؟!...

وأضاف قائلاً بعد أن ذكّرهم بتقصيرهم في الضرب على أيدي المفسدين:

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلاّ بما صلح به أوّله: لين في غير ضعف، وشدّة في غير جبرية وعنف، وإني أقسم بالله، لآخذنّ الوليّ بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسّقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه

---

(١) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند. معجم البلدان، ٢/ ٣٥٠.

(٢) سجستان: هي ناحية كبيرة وولاية واسعة، وهي جنوبي هراة. معجم البلدان، ٣/ ١٩٠.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٩٤ ـ ١٩٧، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢١٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ١/ ٢٧.

(٤) قيل إنها سميت بالبتراء؛ لأنه لم يحمد الله فيها، وقيل إنها سميت بذلك، لما فيها من روائع الكلم، وبديع الحكم، وبيان سياسته في حكم البلاد، وهذا هو الراجح، لأنه حمد الله كما جاء في روايات أخرى، والله أعلم.

(٥) دلج الليل: الدَّلجُ والدُّلجة: سير اللّيل كلّه. ابن منظور: لسان العرب، ٢/ ٢٧٣.

فيقول: أنج سعد فقد هلك سُعيد، أو تستقيم لي قناتكم... من يُبيّت منكم فأنا ضامن لما ذهب له، إياي ودلج الليل، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة، ويرجع إليكم، وإياي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه، وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة:

فمن غرّق قوماً غرّقناه، ومن حرّق على قوم حرّقناه، ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه، ومن نبش قبراً دفنته فيه حياً، فكفوا أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم لساني ويدي وأذاي. لا يظهر من أحد منكم خلافُ ما عليه عامّتكم إلا ضربت عنقه، وقد كانت بيني وبين أقوام إحن، فجعلت ذلك دُبُرَ أذني، وتحت قدمي، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً، ومن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السلّ من بغضي لم أكشف له قناعاً، ولم أهتك له ستراً، حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، فربّ مبتئس بقدومنا سَيُسَرُّ، ومسرور بقدومنا سيبتئس.

وقال في آخر كلامه: وأيم الله! إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كلّ امرىء منكم أن يكون من صرعاي[١].

خروج سهم والخطيم[٢] سنة (٤٦هـ):

ورغم السياسة التي اتبعها زياد في العراق، تلك التي كانت تتسم بالحزم والشدة، والتي نجحت ـ إلى حدّ ما ـ في إضعاف الخوارج، إلا أن اثنين من رؤسائهم

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/١٩٧، ١٩٨، ابن الأثير: تاريخ، ٣/٢٢٢، ٢٢٣، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤/١٩٩ ـ ٢٠١.
لا جرم فقد كان زياد حازم الرأي، ذا هيبة، داهية، وكان مفوّهاً فصيحاً بليغاً، قال الشعبي: ما سمعت متكلماً قط تكلم فأحسن، إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زياداً، فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً. الطبري: تاريخ، ٣/١٩٨، وابن كثير: البداية والنهاية، ٨/٢٩.

(٢) سهم بن غالب: (٠٠٠ ـ ٥٤هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٤م) الهجيمي: من زعماء الثائرين على معاوية، خرج سنة ٤١هـ بالبصرة، وقاتل حتى فني أكثر أصحابه، فاستخفى ثم ظهر، فطلبه زياد بن أبيه فتوارى، وما زال كذلك حتى قبض عليه عبيد الله بن زياد فصلبه في البصرة، وقيل: صلبه زياد. الزركلي: الأعلام، ٣/١٤٤.
الخطيم الباهلي: واسمه يزيد بن مالك: (٠٠٠ ـ ٤٦هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦٦م) من زعماء الخوارج وقادتهم في أيام معاوية، قتله زياد بن أبيه. الزركلي: الأعلام، ٨/١٨٧.

ثارا على الوالي الجديد، وذلك سنة ست وأربعين، فخرج أحدهما وهو سهم بن غالب الهجيمي، وثار في الأهواز[١]، وكان قد وثب على البصرة عمران بن أبان بعد أن تصالح الحسن مع معاوية، فأرسل معاوية بسر بن أرطأة[٢] فنجح في إخماد حركة التمرّد، وأعاد الأمور إلى نصابها، إلا أنه لم يحسن السيرة في الرعية، حيث تشدّد في ملاحقة شيعة علي في البصرة، فعزله معاوية وأرسل مكانه عبد الله بن عامر في أواخر سنة إحدى وأربعين، وضمّ إليه خراسان وسجستان، ولكنه كان ليناً، مما أطمع فيه الخوارج، فخرج سهم بن غالب الهجيمي في سبعين رجلاً، وفيهم الخطيم الباهلي، واسمه يزيد بن مالك، فنزلوا بين الجسرين والبصرة، وعاثوا في البلاد الفساد، وقتلوا بعض المسلمين، فخرج إليهم ابن عامر بنفسه، وقاتلهم، فقتل منهم عدة، وانحاز بقيتهم إلى أجمة، وفيهم سهم والخطيم، فعرض عليهم ابن عامر الأمان، فقبلوه، فأمنهم، فرجعوا، فلما أتى زيادٌ البصرة سنة خمس وأربعين، هرب سهم والخطيم، فخرجا إلى الأهواز، فاجتمع إلى سهم جماعة فأقبل بهم إلى البصرة، وأثار الفتنة، ثم رجع فاختفى، وطلب الأمان، فلم يؤمنه زياد، وطلبه حتى ظفر به، فقتله وصلبه على باب داره.

وأما الخطيم، فنفاه زياد إلى البحرين، ثم أذن له فقدم، وقال لمسلم بن عمرو[٣]: إضمنه، فأبى، وقال: إن بات عن بيته أعلمتك، ثم جاء مسلم فقال: لم يبت الخطيم الليلة في بيته، فأمر به فقتل[٤].

(١) الأهواز: سبع كُوَر بين البصرة وفارس. الحموي: معجم البلدان، ١/ ٢٨٢.

(٢) بسر بن أرطأة: (٠٠٠ ـ ٨٦هـ = ٠٠٠ ـ ٧٠٥م) أو ابن أبي أرطأة العامري القرشي، أبو عبد الرحمٰن: قائد فتاك من الجبارين، ولد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيراً، كان من رجال معاوية، وشهد فتح مصر، ثم ولاه علي البصرة، قام بغزو الروم سنة ٥٠هـ فبلغ القسطنطينية، مات في دمشق وقيل: في المدينة عن نحو تسعين عاماً. الزركلي: الأعلام، ٢/ ٥١.

(٣) مسلم بن عمرو: بن حصين بن أسيد الباهلي، والد قتيبة بن مسلم، أمير خراسان، كان عظيم القدر عند يزيد بن معاوية، ووجهه يزيد إلى عبيد الله بن زياد بتوليته إيّاه الكوفة عند توجه الحسين إليها. له ذكر في كتاب البلاذري، قتل مع مصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٥٨/ ١١٤.

(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٧١ و٢٠٣، وابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٢٥، ٢٢٦.

خروج زحّاف وقُرَيب سنة (٥٠هـ):

وفي سنة خمسين خرج في البصرة اثنان من زعماء الخوارج، وهما زحاف الطائي، وقريب الإيادي في سبعين رجلاً، وذلك في شهر رمضان فأغاروا على قبيلة (بني ضبيعة) وقتلوا شيخاً من شيوخها، كما قتلوا عدداً كبيراً من شرطة البصرة، وقتلوا خلقاً كثيراً، وعندما عجز عامل زياد على البصرة عن وضع حدّ لهم، استنجد بزياد، فجاء على عجل وهو غاضب، فتهدّد أهل البصرة وتوعّدهم، ويبدو أنهم أخذوا تهديده على محمل الجدّ، فخرجوا إلى الخوارج، فقاتلوهم حتى أبادوهم، وكانت القبائل إذا أحسّت بخارجيّة فيهم شدّتهم وثاقاً وأتت بهم زياداً، فكان هذا أحد ما يذكر من صحّة تدبيره[(١)].

وتوالى خروج الحرورية بعد ذلك، وكان والي البصرة من قبل زياد ـ وهو سمرة بن جندب[(٢)] ـ فأخذ في مطاردتهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً.

وكان ممن خرج على زياد في أواخر عهده، زياد بن خراش العجلي[(٣)]، حيث خرج في ثلاثمائة فارس، فأتى أرض مسكن من السواد، فسيّر إليه زياد خيلاً عليها سعد بن حذيفة فقتلوهم[(٤)].

وتشدّد زياد في ملاحقة الخوارج، وامتدّت ملاحقته لهم إلى نسائهم، قتلاً وملاحقة، فلم تكن تأخذه فيهن رحمة ولا هوادة، وخاصة أنهن كنّ يشاركن الرجال في الحملات العسكرية؛ وحينما أتي بامرأة منهم تدعى البلجاء، قطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق[(٥)].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٢٠٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٢٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٢٩. المبرد: الكامل، ٣/ ١١٦٩ ـ ١١٧١، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ١٨٥.

(٢) سمرة بن جندب: (٠٠٠ ـ ٦٠هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٩م) بن هلال الفزاري: صحابي، من الشجعان القادة، نشأ في المدينة، ونزل البصرة، استعمله معاوية على الكوفة عاماً أو نحوه ثم عزله، كان شديداً على الحرورية، مات بالكوفة. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٩٣.

(٣) زياد بن خراش العجلي: (٠٠٠ ـ ٥٢هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٢م): شجاع ثائر، خرج على معاوية في ثلاث مائة فارس، فأتى أرض مسكن، من سواد العراق، فسيّر إليه زياد بن أبيه جيشاً فقاتله، ونشبت معارك انتهت بمقتل زياد بن خراش. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٥٤.

(٤) ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٤٤.

(٥) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٧٣، ١١٧٤.

وخرج الخوارج ذات مرة ومعهم امرأة، فلما ظفر بها زياد قتلها وعرّاها، فلم تخرج النساء بعد، وكنّ إذا دعين إلى ذلك قلن: لولا التعرية لسارعنا[١].

ولم تطل مدة زياد حيث وافته المنية في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين، فتنفّس الخوارج الصعداء، وقد تخلّصوا من عدو لدود طالما أذاقهم الأمرّين، وربما يرى البعض في سياسة زياد في إدارة إقليم العراق تشدّداً وترهيباً، هذا صحيح إلى حدّ ما، لكنه في الوقت نفسه كان يتبع معهم سياسة الترغيب والاستمالة، ولم يكن يقتلهم لمجرد القتل، وفي تقديري أنه كان يحبّ في قرارة نفسه أن يعودوا إلى جادة الصواب، ويتخلوا عن غيّهم وطغيانهم وتطرفهم، وجرائمهم، وليس أدل على ذلك ممّا ذكره المبرّد حول سياسته مع الخوارج، فقال ما نصه: «فأما زياد فكان يقتل المعْلِن ويستصلح المسِر، ولا يجرّد السيف حتى تزول التهمة»[٢].

ويروي المبرد ـ في هذا الصدد ـ أن زياد بن أبي سفيان وجّه يوماً بُحَيْنَةَ بن كُبَيْشٍ[٣] الأعرجي إلى رجل من بني سعد يرى رأي الخوارج، فجاءه بُحَيْنَةُ فأخذه فقال: إني أريد أن أحدث وضوءاً للصلاة، فدعني أدخل إلى منزلي، قال: ومن لي بخروجك؟ قال: الله عزّ وجل، فتركه فدخل فأحدث وضوءاً ثم خرج فأتى به بحينةُ زياداً، فلما مثل بين يديه ذكر اللّهَ زيادٌ ثم صلّى على نبيه، ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير، ثم قال: قعدتَ عني فأنكرتُ ذلك، فذكر الرجل ربّه فحمده ووحّده، ثم ذكر النبي ﷺ ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير، ولم يذكر عثمان، ثم أقبل على زياد فقال: إنك قد قلت قولاً فصدِّقه بفعلك. وكان من قولك من قعدَ عنا لم نهجهُ، فقعَدْتُ. فأمر له بصلة وكسوة وحُملان[٤]، فخرج الرجل من عند زياد، وتلقّاه الناس يسألونه فقال: ما كلكم أستطيع أن أخبره، ولكني دخلت على رجل لا يملك ضراً ولا نفعاً لنفسه ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً فرزق الله منه ما ترون.

وكان زياد يبعث إلى الجماعة منهم فيقول: ما أحسبُ الذي يمنعكم من إتياني إلا الرجلة[٥]، فيقولون: أجل، فيحملهم ويقول: أغشوني الآن واسْمروا عندي، فبلغ

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٧١، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ١٨٥.

(٢) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٨٧.

(٣) بحينة بن كبيش: لم أجد له ترجمة.

(٤) حُملان: بضم أوله، جمع حمل بالتحريك، وهو الجدع من أولاد الضأن.

(٥) الرجلة: أي السير على الأرجل لتعذر حمولة الدابة.

ذلك عمر بن عبد العزيز فقال: قاتل الله زياداً، جمع لهم كما تجمع الذرّةُ، وحاطهم كما تحوط الأم البرّة، وأصلح العراق بأهل العراق، وترك أهل الشام في شأمهم، وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف.

قال المبرّد: وبلغ زياداً عن رجل يكنّى أبا الخير من أهل البأس والنجدة، أنه يرى رأي الخوارج، فدعاه فولاّه جندي سابور وما يليها، ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر، وجعل عُمالته في كل سنة مائة ألف، فكان أبو الخير يقول: ما رأيت شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة، فلم يزل والياً حتى أنكر منه زيادٌ شيئاً فتنمّر لزياد فحبسه، فلم يخرج من حبسه حتى مات[1].

وبالنتيجة فإن المطلع على الطريقة التي حكم بها زياد العراق، يراها بمثابة حكم عرفي، فإن أخذ الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح في جسمه بالسقيم، أمر ليس جارياً على القانون الشرعي الذي يقصّر المسؤولية على المجرم، وإنما ذلك شيء يلجأ إليه الإداريون لتخفيف آلام الجرائم، وإرهاب الناس، حتى يأمن الناس شرهم، وفائدة ذلك في الغالب وقتية، ومن ذلك وضعه العقوبات التي شرعها للجرائم المحدثة كما قال: من نقب عن بيت نقبت عن قلبه، ومن نبش قبراً دفنته فيه حياً، ومن ذلك عقوبته للمدلج بالقتل، هذه قوانين عرفية شديدة رآها لائقة لأهل العراق، وقد أفادت في إصلاح حالهم، لأن الأمان ساد وقلّ خروج الخوارج في زمنه، ولكنه ضحّى في سبيل الوصول إلى ذلك شيئاً كثيراً، والتاريخ إنما يعطي الإنسان صفة السياسة والحكمة إذا تمكن من إصلاح الفاسد بقليل من العنف.

لا نقول ذلك لهضم حق زياد؛ لأنه يعتبر أقلّ ولاة العراق إسرافاً في الدماء، ولقد بذل من وعده ما يقوم بوعيده، وقد جاء في مطاوي خطبته أنه لن يحتجب عن طلب حاجة وإن أتاه طارقاً بليل، ولا يحبس عطاءً ولا رزقاً عن إبانه، ولا يجمر لهم بعثاً، وهذه الأشياء الثلاثة متى وفرها الوالي وصدقها لا تجد سبباً للثورات ولا للفتن، ولذلك يقول بعض المؤرخين أن زياداً لم يحتج لتنفيذ ما أوعد به من العقوبات إلا

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٨٧ ـ ١١٨٩.

قليلاً؛ لأن علمهم بصدقه في الإيعاد أخافهم وأرهبهم وصيّرهم يقفون عند الحد المشروع لهم(١).

وكان زياد أول من شدّ أمر السلطان، وأكّد الملك لمعاوية، وجرّد سيفه، وأخذ بالظنّة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس خوفاً شديداً حتى أمن بعضهم بعضاً، حتى كان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة، فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه، ولا يغلق أحد بابه، وأدرَّ العطاء، وبنى مدينة الرزق، وجعل الشرط أربعة آلاف(٢).

ثم ما زال يقيم أمر السلطان، ويجرّد السيف حتى خافه الناس خوفاً عظيماً، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي الظاهرة، واستعان بجماعة من الصحابة، وولّى عمران بن حصين(٣) القضاء بالبصرة، وولّى الحكم بن عمرو الغفاري(٤) نيابة خراسان، وولّى سمرة بن جندب، وعبد الرحمٰن بن سمرة، وأنس بن مالك(٥).

وتجدر الإشارة، ونحن نتحدث عن ولاية زياد بن أبي سفيان، أن إقليم العراق كان يعاني دائماً من الاضطرابات، منذ أيام سيدنا عثمان رضي الله عنه، وقد دأب أهله على الطعن في ولاتهم، ممّا كان يستدعي العمل على تغييرهم بشكل دائم، وذلك

---

(١) محمد الخضري: محاضرات. ص٣٠٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/١٩٨، وابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٢٤.

(٣) عمران بن حصين: (٠٠٠ ـ ٥٢هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٢م) أبو نجيد الخُزاعي: من علماء الصحابة، أسلم عام خيبر (سنة ٧هـ)، بعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم، وولاه زياد قضاءها، وتوفي بها. الزركلي: ٥/ ٧٠.

(٤) الحكم بن عمرو بن مجدّع الغفاري: (٠٠٠ ـ ٥٠هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٠م): صحابي، له رواية، صحب النبي ﷺ إلى أن مات، وانتقل إلى البصرة في أيام معاوية، فوجهه زياد إلى خراسان، قد كان صالحاً فاضلاً مقداماً، فغزا وغنم، وأقام بمرو، ومات بها. الزركلي: ٢/ ٢٦٧.

(٥) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٩٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٢٤، وابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٢٩. أنس بن مالك: (١٠ق هـ ـ ٩٣هـ = ٦١٢ ـ ٧١٢م) بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، وأبو حمزة: صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً، مولده بالمدينة، وأسلم صغيراً، وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. الزركلي: الأعلام، ٢/ ٢٤.

خلاف الأقاليم الأخرى، إلا أن العراق شهد بعض الاستقرار إبّان ولاية المغيرة بن شعبة، وزياد بن أبي سفيان، رغم ما في سياسة الرجلين من تباين، وهكذا فقد استطاع زياد ـ بدهائه حيناً وبشدته حيناً آخر ـ في سني ولايته أن ينشر الأمن والاستقرار في طول البلاد وعرضها، ووصل به الأمر أن يتباهى بإنجازاته حين كتب إلى معاوية يقول: يا أمير المؤمنين، دوّخت لك العراق، وجبيتُ لك برها وبحرها، وغثها وسمينها، وحملت إليك لبّها وقشورها[١].

كما تمكن من إخماد تحركات الخوارج في مهدها، حتى وجد لديه من الفراغ ما دعاه إلى طلب المزيد من الأعمال، فكتب إلى معاوية يقول: إني قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة، فاشغلها بالحجاز، فكتب له عهده على الحجاز[٢].

ولكن المنية عاجلته فمات في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين، كما سبق وذكرنا.

وبالجملة فإن عهد زياد بالعراق، على ما فيه من قسوة، كان عهد رفاهة وأمن، وهذا مما يسطره التاريخ لعرب العراق آسفاً، وذلك أنهم قوم لا يصلحهم إلا الشدة، وإذا وليهم وال فيه لين ورحمة، قلبوا له ظهر المجن، وهاجوا وماجوا وفسدوا[٣].

ومما يدعو للدهشة أن طبيعة هذا الإقليم المضطرب، لم تتغير قدر أنملة، حيث إننا رأينا في عصرنا الحاضر من الشواهد ما يثبت أن هذا القطر، لا يصلحه إلا الشدة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبعد وفاة زياد أقرّ معاوية سمرة بن جندب على البصرة، ثم عزله بعد بضعة أشهر، وولّى مكانه عبد الله بن عمرو بن غيلان[٤]، ثم عاد فعزله بعد

---

(١) الجهشياري: كتاب الوزراء، ص٢٧.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/٢٣٨، ابن الأثير: تاريخ، ٣/٢٤٤، والمقدسي: البدء والتاريخ، ٦/٢.

(٣) محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص٣٠٣.

(٤) عبد الله بن عمرو بن غيلان: بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قِسِيّ وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن الثقفي: أصله من دمشق، وولاه معاوية البصرة، ثم عزله عنها، وولاها عبيد الله بن زياد. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣١/٢٩٨ ـ ٣٠٠.

فترة قصيرة، ووجد أن خير خلف يخلف زياداً ابنه عبيد الله[(١)]، فاستعمله سنة خمسين.

حاول عبيد الله استمالة الخوارج، فأطلق سراح المسجونين منهم في سجن أبيه[(٢)]، إلا أنهم خرجوا عليه برجل منهم اسمه جدار؛ فظفر بهم ابن زياد وعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً، ويخلّي سبيل القاتلين، ففعلوا فأطلقهم، وكان ممّن أطلق سراحهم طواف[(٣)]، فتعرضوا للوم شديد من قبل أصحابهم، بسبب ما فعلوه من قتلهم لأصحابهم، فاعتذروا بأنهم أكرهوا على ذلك، وندم طواف وأصحابه، والتمسوا التوبة، فكانوا يبكون ندماً، ولم يجد طواف له من توبة إلا بالخروج وقتل ابن زياد، فدعا طواف أصحابه فبايعوه في سنة ثمان وخمسين، وكانوا سبعين رجلاً، وأخبر رجلٌ من أصحابهم ابن زياد بأمر خروجهم، فبلغ ذلك طوافاً فعجّل بالخروج، فأرسل ابن زياد رجال الشرطة وراءهم، فهزمهم طواف حتى دخلوا البصرة، ثم تكاثر أهل البصرة على طواف وأصحابه فقتلوهم، وذلك يوم عيد الفطر.

ثمّ اشتدّ عبيد الله بن زياد على الخوارج، فقتل منهم جماعة كثيرة، منهم عروة بن أديّة، أخو أبي بلال مرداس ابن أديّة، وكان ابن زياد قد ألحّ في طلب

---

(١) عبيد الله بن زياد: (٢٨ ـ ٦٧هـ = ٦٤٨ ـ ٦٨٦م) بن أبيه: والٍ، فاتح، من الشجعان، جبار، خطيب، ولد بالبصرة، وكان مع والده لما مات بالعراق، فقصد الشام فولاه عمه معاوية خراسان (سنة ٥٣هـ) فتوجه إليها، كان له فتوحات مشهورة في بلاد فارس والترك، أقام بخراسان سنتين، ثم نقله معاوية إلى البصرة أميراً عليها (سنة ٥٥هـ)، فقاتل الخوارج واشتد عليهم، كانت الفاجعة بمقتل الحسين رضي الله عنه في أيامه وعلى يده، ولما مات يزيد (سنة ٦٥هـ) بايع أهل البصرة لعبيد الله بن زياد، ثم لم يلبثوا أن وثبوا عليه، فتنقل مختبئاً إلى أن استطاع الإفلات إلى الشام، وأقام مدة قليلة ثم عاد إلى العراق، فلحق به إبراهيم بن الأشتر في جيش يطلب ثأر الحسين، فاقتتلا، وتفرق أصحاب عبيد الله، فقتله ابن الأشتر، وذلك في «خازر» من أرض الموصل. الزركلي: الأعلام، ٤/ ١٩٣.

(٢) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٨٧.

(٣) طوّاف بن غلاّف: (٠٠٠ ـ ٥٨هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٨م) من زعماء الخارجين في البصرة، كان شجاعاً تقياً، ورعاً، خرج على عبيد الله في سبعين رجلاً من بني عبد القيس، فوجه إليه عبيد الله من يقاتله، فظفر طوّاف ودخل البصرة، فقاتله أهلها مع الجند، فقتل أكثر من معه، ثم قتل هو وصلب. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٢٢٣.

الخوارج، فملأ منهم السجن، وأخذ الناس بسببهم، وسجن أبا بلال مرداس، قبل أن يقتل أخاه عروة، ثم قتل ابن زياد أكثر الخوارج الذين كانوا في سجنه، فلما أحضر مرداس قام السجّان ـ وكان ظئراً لعبيد الله بن زياد ـ فشفع فيه، فوهبه له، وخلّى سبيله.

ثم لم يلبث مرداس أن خرج في أربعين رجلاً إلى الأهواز، فكان إذا اجتاز به مال لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه، ثم يردّ الباقي، فلما سمع ابن زياد بأمرهم، بعث إليهم جيشاً بقيادة أسلم بن زرعة الكلابي سنة ستّين، فشدّ عليهم الخوارج شدّة رجل واحد، فهزموهم.

ثم اشتدّ أمر أبي بلال مرداس، وكثرت جموعه، فأرسل إليه ابن زياد ثلاثة آلاف مقاتل، بقيادة عباد بن الأخضر(١)، وذلك سنة إحدى وستين، فالتقى به في معركة طاحنة انتهت بقتل أبي بلال مرداس ومن معه، ولم يفلت منهم إلا الشريد، وكان ذلك في خلافة يزيد بن معاوية(٢).

وبعد مقتل مرداس اتخذ الخوارج عمران بن حِطّان(٣) إماماً، وكان عمران بن حِطّان هذا ناسكاً شاعراً شديداً في مذهب الصفرية(٤).

---

(١) عباد بن الأخضر: (٠٠٠ ـ ٦١هـ = ٠٠٠ ـ ٦٨٠م) عباد بن علقمة بن عباد بن مازن التميمي: قائد اشتهر في العصر الأموي، ائتمر به بعض الشراة، فقتلوه غيلة بالبصرة. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٢٥٧.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٢٠٨ و٢٠٩ و٢٤٤ و٢٥٤، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٥٥ و٣٠٣، والمبرد: الكامل، ٣/ ١١٧٨ ـ ١١٨٠.

(٣) عمران بن حِطان: أحد بني عمرو بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وقد كان رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم. رثى أبا بلال مرداس بن أدية، وهي جدّته، وأبوه حُدَير، وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وقد بلغ من خبثه حين رثى عبد الرحمٰن بن ملجم لعنه الله، فقال:

يا ضربة من شقي ما أراد بها   إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه   أوفى البرية عند الله ميزانا

المبرد: الكامل، ٣/ ١٠٨٢، ١٠٨٣ و١٠٨٥، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٣، والمقدسي: البدء والتاريخ، ٥/ ٢٣٤.

(٤) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٣.

المبحث الخامس
أمر الخوارج زمن ابن الزبير ومروان(١) وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم

يحسن بنا قبل أن نتحدّث عن نشاط الخوارج زمن عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم، أن نسلّط بعض الضوء على الظروف التاريخية التي كانت سائدة في تلك المرحلة، فبعد بيعة يزيد بن معاوية بالخلافة سنة إحدى وستين، امتنع الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير عن بيعته، فعكف الناس على الحسين ـ وكان بمكة ـ يفدون إليه ويقدمون عليه، ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، وأما ابن الزبير، فإنه لزم جانب الكعبة، فهو قائم عندها يصلّي عامة النهار، ويطوف، ويأتي الحسين فيمن يأتيه.

ثم استشهد الحسين وأهل بيته في كربلاء في العاشر من شهر محرّم سنة إحدى وستين، فشرع ابن الزبير ـ بعد أن بلغه خبر مقتله ـ يخطب الناس، ويعظّم قتل الحسين وأصحابه، ويعيب على أهل الكوفة وأهل العراق ما صنعوه من خذلانهم الحسين، ويترحم على الحسين ويلعن من قتله، ويؤلّب الناس على بني أمية، ويحثّهم على مخالفة يزيد وخلعه، فبايعه خلق كثير، فلما بلغ ذلك يزيد بن معاوية، شقّ ذلك عليه، فعزل عمرو بن سعيد(٢) عن إمارة الحجاز، وولّى مكانه الوليد بن عتبة(٣) الذي

---

(١) مروان بن الحكم: (٢ ـ ٦٥هـ = ٦٢٣ ـ ٦٨٥م) بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك: خليفة أموي، هو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب «بنو مروان»، ولد بمكة ونشأ بالطائف، وسكن المدينة، تولى الخلافة بعد وفاة معاوية بن يزيد، توفي في دمشق بالطاعون، وقيل إن زوجته أم خالد غطته بوسادة وهو نائم فقتلته. الزركلي: الأعلام، ٧/٢٠٧.

(٢) عمرو بن سعيد بن العاص: (٣ ـ ٧٠هـ = ٦٢٤ ـ ٦٩٠م) بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي: يعرف بالأشدق، أمير من الخطباء، البلغاء، كان والي المدينة ومكة لمعاوية وابنه يزيد، وقدم الشام، فأحبه أهلها، فلما طلب مروان بن الحكم الخلافة، عاضده عمرو، فجعل له ولاية العهد بعد ابنه عبد الملك، فلما ولي عبد الملك أراد خلعه من ولاية العهد. فنفر عمرو واتفق خروج عبد الملك في بعض حروبه، فاستولى عمرو على دمشق وبايعه أهلها بالخلافة، وعاد عبد الملك إلى دمشق، فحاصره وتلطف له إلى أن فتح أبوابها، ودخلها عبد الملك، ولم يزل يتربص بعمرو حتى تمكن منه فقتله. الزركلي: الأعلام، ٥/٧٨.

(٣) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: (٠٠٠ ـ ٦٤هـ = ٠٠٠ ـ ٦٨٤م) بن حرب الأموي: أمير، من رجالات بني أمية، فصاحة وحلماً وكرماً، ولي المدينة سنة ٥٧هـ أيام معاوية، عزله يزيد سنة ٦٠هـ، واستقدمه إليه فكان من رجال مشورته بدمشق، ثم عزله بخديعة من عبد الله بن الزبير، فعاد إلى المدينة، وتوفي بالطاعون. الزركلي: الأعلام، ٨/١٢١.

أخفق في القضاء على ابن الزبير، وكان قد أعدّ للأمور عدّتها، وأخذ بالحيطة والحذر[١].

وثار باليمامة رجل يدعى نجدة بن عامر الحنفي، حين قتل الحسين، وخالف يزيد بن معاوية، ولم يحالف ابن الزبير، الأمر الذي دفع يزيد إلى عزل الوليد بن عتبة عن الحجاز وتولية عثمان بن محمد بن أبي سفيان[٢] مكانه فحاول إصلاح ما يمكن إصلاحه، فبعث إلى يزيد بوفد من أشراف المدينة، فأكرمهم وأحسن جوائزهم، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة، لكنهم لم يلبثوا أن خلعوه، وأظهروا شتمه، فتابعهم الناس على خلعه، وبايعوا عبد الله بن مطيع[٣]، وعبد الله بن حنظلة الغسيل[٤] على الموت، فلما وصل الخبر بذلك إلى يزيد، أرسل إليهم النعمان بن بشير ينهاهم عما صنعوا، ويحذرهم الفتنة، ويحضّهم على السمع والطاعة، والرجوع إلى الجماعة، فأبوا إلا المخالفة، فانصرف النعمان عائداً إلى الشام، ثم أرسل يزيد جنداً إلى المدينة، فكانت وقعة الحرّة سنة ثلاث وستين.

ثمّ سار أهل الشام بعد أن فرغوا من وقعة الحرّة في المدينة إلى مكة، وعليهم حصين بن نمير[٥]، قاصداً قتال عبد الله بن الزبير، فخرج إليهم ابن الزبير بمن اجتمع

(١) الطبري: تاريخ، ٣/٢٧٣، ٢٧٤، وابن الأثير: تاريخ، ٣/٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) عثمان بن محمد بن أبي سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي: ولي إمرة المدينة زمن يزيد بن معاوية، وكان بدمشق عند وفاة معاوية، ولما هاجت الفتنة في المدينة أخرجه أهلها ومن كان فيها من بني أمية، فكانت وقعة الحرة. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٤٠/٢٣، ٢٤.

(٣) عبد الله بن مطيع بن الأسود: من بني عويج بن عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان عبد الله على قريش يوم الحرّة ففرّ ثم سار مع ابن الزبير بمكة، فلم يزل يقاتل حتى قتل ابن الزبير، وخرج هو فمات من جراحه بمكة، فصلّى عليه الحجاج بن يوسف، وقال: اللهم هذا عدو الله ابن مطيع كان موالياً لأعدائك معادياً لأوليائك فاملأ عليه قبره ناراً. ابن قتيبة: المعارف، ص٢٢٢.

(٤) عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر المعروف بالراهب: من أهل المدينة، أدرك النبي ﷺ، وروى عنه، وفد على يزيد بن معاوية، ثم رجع من عنده، وخرج مع من خرج في فتنة الحرّة، فقتل، وأبوه حنظلة بن أبي عامر، غسيل الملائكة. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٧/٤١٧.

(٥) حصين بن نمير: (٠٠٠ ـ ٦٧هـ = ٠٠٠ ـ ٦٨٦م) أبو عبد الرحمٰن الكندي ثم السكوني: قائد، من القساة الأشداء، المقدمين في العصر الأموي، من أهل حمص، كان في آخر أمره على ميمنة عبيد الله بن زياد في حربه مع إبراهيم بن الأشتر، فقتل مع ابن زياد على مقربة من الموصل. الزركلي: الأعلام، ٢/٢٦٢.

معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، لم يلبث أن انتهى بعد أن نمت أخبار إلى المتحاربين بوفاة يزيد سنة أربع وستين، ثم تمّت البيعة لعبد الله بن الزبير في الحجاز.

وبعد وفاة يزيد، بويع ابنه معاوية بن يزيد[١] بالخلافة، إلا أنّ مدّته لم تطل، فتوفي بعد أيام من خلافته، ممّا أثار موجة عارمة من الفوضى والاضطراب، فانتقض عبيد الله بن زياد في العراق، وطلب الأمر لنفسه، وكان يرى أنه أولى به، وهو الرجل القويّ.

ثم مرج أمر بني أمية بعد وفاة معاوية بن يزيد، ولولا أن بويع لمروان بن الحكم في الشام، بعد فترة وجيزة لزالت دولتهم في هذه الفترة.

وقد أتاحت أجواء الفتنة التي انطلقت لجبة في هذه الفترة، للخوارج فرصة طيبة، للانطلاق من جديد، وكان قد التف جماعة منهم على عبد الله بن الزبير، يؤازرونه ضدّ خصومه، منهم نافع بن الأزرق، وعبد الله بن إباض[٢]، وجماعة من رؤوسهم، فلمّا استقرّ أمره في الخلافة، أقبل بعضهم على بعض يتلاومون، بسبب تأييدهم لابن الزبير، من قبل أن يعرفوا رأيه في عثمان بن عفّان ـ وكانوا يتنقّصون عثمان ـ فاجتمعوا إليه فسألوه عنه، فأجابهم فيه بما يسوؤهم، وذكر لهم ما كان يتصف به من الإيمان والتصديق، والعدل، والإحسان، والسيرة الحسنة، والرجوع إلى الحقّ إذا تبيّن له، فعند ذلك نفروا منه وفارقوه[٣]، ثم خرج بعضهم إلى اليمامة، فوثبوا بها مع أبي طالوت، ثم أجمعوا أمرهم بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفي وتركوا أبا طالوت، أما نافع بن الأزرق وأصحابه فإنهم قدموا البصرة، فتجرّد أهلها

(١) معاوية بن يزيد: (٤١ ـ ٦٤هـ = ٦٦١ ـ ٦٨٤م) بن معاوية بن أبي سفيان، من خلفاء بني أمية في الشام، بويع بدمشق بعد وفاة أبيه سنة (٦٤هـ) فمكث أربعين يوماً، أو ثلاثة أشهر، وشعر بالضعف وقرب الأجل، فجمع الناس، وخطبهم، وأخبرهم أنه غير راغب بالخلافة، وعزل نفسه، وأمر أن يصلي الضحاك بن قيس بالناس حتى يقوم لهم خليفة، ودخل منزله، ومات بعد قليل وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، توفي بدمشق. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٦٣.

(٢) عبد الله بن إباض: (٠٠٠ ـ ٨٦هـ = ٠٠٠ ـ ٧٠٥م) المقاعسي المرّي التميمي: رأس الإباضية، وإليه نسبتهم، كان معاصراً لمعاوية، وعاش إلى أواخر أيام عبد الملك بن مروان. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٦٢.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٦١ و٣٩٧، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٢٣٩، المبرد: الكامل، ٣/ ١٢٠٤ و١٢٠٥ ـ ١٢٠٩، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ٢٣٥.

لهم، فخرجوا إلى الأهواز، وتخلّف عنه بعض أصحابه، ونظر نافع فرأى أن ولاية من تخلّف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحلّ له، وأن من تخلّف عنه لا نجاة له، فقال لأصحابه ذلك، ودعاهم إلى البراءة منهم، وأنهم لا يحلّ لهم مناكحتهم، ولا أكل ذبائحهم، ولا يجوز قبول شهادتهم وأخذ العلم عنهم، ولا يحلّ ميراثهم، ورأى قتل الأطفال، وأن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب، لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل، فأجابه إلى ذلك بعضهم، وفارقه بعضهم.

وممّن فارقه نجدة بن عامر، وسار إلى اليمامة فأطاعه الخوارج الذين بها وتركوا أبا طالوت، فكتب نافع إلى ابن إباض، وابن الصفّار[1] يدعوهما ومن معهما إلى ذلك، فقرأ ابن الصفار الكتاب، ولم يقرأه على أصحابه خشية أن يتفرّقوا ويختلفوا، فأخذه ابن أباض فقرأه فقال: قاتله الله أي رأي رأى؟ صدق نافع لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً، وكانت سيرته كسيرته في المشركين، ولكنه قد كذب فيما يقول: إن القوم برآء من الشرك، ولكنهم كفار بالنعم والأحكام، ولا يحلّ لنا إلاّ دماؤهم، وما سوى ذلك، فهو حرام علينا، فقال له ابن الصفار: برىء الله منك فقد قصّرت، وبرىء الله من ابن الأزرق فقد غلا، فقال الآخر: برىء الله منك ومنه. فتفرّق القوم، واشتدت شوكة ابن الأزرق، وكثرت جموعه، وأقام بالأهواز يجبي الخراج ويتقوّى به[2].

وهكذا كان الخوارج في اختلاف دائم، يختلفون على أبسط المسائل فيفترقون، لتشهد فرقة أو أكثر ميلادها بسبب الاختلاف بالرأي، وكانوا يتعصّبون لآرائهم المنحرفة، ويحملون الناس عليها، ويكفّرون كلّ من يخالفهم، وبالجملة فقد كانوا كثيري الاختلاف، وربما كان هذا هو السرّ في كثير من انهزاماتهم، مع قوّة شكيمتهم في القتال.

وكان المهلّب بن أبي صفرة الذي تجرّد لقتالهم من قبل الأمويين ـ كما سيأتي تفصيله ـ يتخذ الخلاف بينهم ذريعة لتفريقهم واستئصال شأفتهم، وإذا لم يجدهم مختلفين دفع إليهم من يثير الخلاف بينهم.

---

(١) ابن الصفّار: (٠٠٠ ـ نحو ٦٠هـ = ٠٠٠ ـ ٦٨٠م) عبد الله بن الصفّار الصريمي التميمي: رئيس الصفرية من الخوارج، نسبوا إليه ـ فيما يقال ـ على غير قياس، وفي صحة رئاسته لهم خلاف طويل. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٩٣.

(٢) الطبري: تاريخ ٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩، وابن الأثير: تاريخ ٣/ ٣٣٦، ٣٣٧.

ثم اشتدت شوكة نافع بن الأزرق بالبصرة، فبعث إليه عبد الله بن الحارث[١] أمير البصرة، مسلم بن عيسى بن كريز بن ربيعة[٢]، فخرج إليه فدفعه عن أرض البصرة، حتى بلغ دولاب من أرض الأهواز، فاقتتلوا هناك قتالاً شديداً، قتل فيه مسلم، ونافع بن الأزرق، ونحو خمسة من الأمراء من كلا الطرفين. ولما قتل ابن الأزرق، أمّرت الخوارج عليهم عبد الله بن الماحوز[٣]، فسار بهم إلى المدائن، فقتلوا أهلها، ثم غلبوا على الأهواز، وكانت الدولة في هذه الفترة للخوارج، حتى خافهم أهل البصرة[٤]، فبعث ابن الزبير، فعزل عبد الله بن الحارث، وولّى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة[٥] المعروف بالقُباع.

وأرسل ابن الزبير المهلّب بن أبي صفرة الأزدي على عمل خراسان، فلما وصل إلى البصرة، احتالوا عليه ليباشر في قتال الخوارج، حيث زوّروا كتاباً على ابن الزبير يأمره بذلك، وكتبوا إلى ابن الزبير وأخبروه بما كان منهم، فأقرهم عليه، فسار إليهم المهلّب - وكان شجاعاً بطلاً صنديداً - فالتقى بالخوارج في ناحية من نواحي خوزستان، فحمل الخوارج على جيش المهلّب حملة منكرة، انهزم على أثرها أصحاب المهلّب، لا يلوي والد على ولد، ولا يلتفت أحد إلى أحد، ووصل إلى البصرة فلاّلهم، وأما ابن المهلّب فإنه سبق المنهزمين، وأعاد تنظيم قوّاته، ثم حملوا

---

(١) عبد الله بن الحارث: (٩ - ٨٤هـ = ٦٣ - ٧٠٣م) بن نوفل الهاشمي القرشي: والٍ، من أشراف قريش، من أهل المدينة، أمه هند أخت معاوية، كانت ترقصه وتسميه ببّة، وكان ورعاً ظاهر الصلاح، ولاه ابن الزبير على البصرة، ولما قامت فتنة ابن الأشعث، خرج إلى عُمان هارباً من الحجاج، فتوفي فيها. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٧٧.

(٢) مسلم بن عيسى بن كريز بن ربيعة: من ولد حبيب بن عبد شمس، وكان قائد عسكر الجماعة يوم دولاب، قتلته الخوارج، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٧٥.
ويقع في بعض المصادر كما يلي: مسلم بن عبيس بن كريز. انظر الأغاني ٦/ ١٤٣.

(٣) في البداية والنهاية (٨؛ ٢٦١): عبيد الله بن ماجور.

(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ٤٢٥، ٤٢٦، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٣٤٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٦١، ٢٦٢، المبرد: الكامل، ٣/ ١٢٢٢، وأبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٦/ ١٤٣.

(٥) الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: (٠٠٠ - نحو ٨٠هـ = ٠٠٠ - نحو ٧٠٠م) بن المغيرة المخزومي: والٍ من التابعين، من أهل مكة، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر، كان أهل البصرة يلقبونه بالقباع، وهو الواسع الرأس القصير. الزركلي: الأعلام، ٢/ ١٥٦. والقباع: كغراب هو هنا مكيال ضخم معروف عند أهل البصرة، أو لأنهم أتوه بمكيال لهم حين وليهم، فقال: إن مكيالكم لقباع، أي ضخم فلقب به.

على الخوارج، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقتل عبيد الله بن الماحوز في جماعة كثيرة من الأزارقة، واحتاز من أموالهم شيئاً كثيراً، وانهزم فلّهم إلى كرمان وأرض أصبهان، وأقام المهلب بالأهواز حتى قدم مصعب بن الزبير[١] إلى البصرة، وعزل عنها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وكان ذلك سنة خمس وستين[٢].

وفي السنة نفسها، خرج نجدة بن عامر الحنفي، وكان قد فارق نافع بن الأزرق، لإحداثه في مذهبه، وسار إلى اليمامة، واعترض عيراً لابن الزبير، فأخذها وساقها حتى أتى بها أبا طالوت بالحضارم، فقسمها بين أصحابه، فقالوا: نجدة خير لنا من أبي طالوت، فخلعوا أبا طالوت، وبايعوا نجدة، وبايعه أبو طالوت، وذلك سنة ست وستين، ثم إن أصحاب نجدة اختلفوا عليه لأسباب نقموها منه، وانحازوا عنه، وولُّوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور[٣]، واستعفى نجدة، فأرسل أبو فديك في طلبه جماعة من أصحابه فقتلوه سنة اثنتين وسبعين في خلافة عبد الملك بن مروان[٤].

ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق سنة (٧٥هـ):

بعد أن فرغ عبد الملك من عبد الله بن الزبير، كما تقدّم، أقرّ الحجّاج على إمارة مكة والمدينة، وبقي والياً عليهما حتى سنة خمس وسبعين، ثم عزله عنهما بعد وفاة أخيه بشر بن مروان، وكان أمر العراق لا يزال في اضطراب، وقد رأى عبد الملك أنه لا يسدّ عنه أهل العراق إلا الحجاج، لسطوته، وقهره، وقسوته، وشهامته، فكتب

---

(١) مصعب بن الزبير: (٢٦ ـ ٧١هـ = ٦٤٧ ـ ٦٩٠م) بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبد الله: أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام، نشأ بين يدي أخيه عبد الله بن الزبير، ولاه البصرة (سنة ٦٧هـ)، فقصدها وضبط أمورها، وقتل المختار الثقفي، ثم عزله وأعاده مرة أخرى وأضاف إليه الكوفة، تجرّد عبد الملك بن مروان لقتاله، فخرج إليه بنفسه على رأس جيش، ودارت معركة بينهما في دير الجاثليق انتهت بمقتل مصعب. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٤٧.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٨، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٣٤٩، ٣٥٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٢٦١، ٢٦٢، والمبرد: الكامل، ٣/ ١٢٣٥ و١٢٤٠ و١٢٤٣.

(٣) أبو فديك عبد الله بن ثور: (٠٠٠ ـ ٧٣هـ = ٠٠٠ ـ ٦٩٢م) بن قيس بن ثعلبة بن تغلب: ثائر، من الحرورية كان في أول أمره من أتباع نافع بن الأزرق، ثم آلت إليه إمرة الخوارج في مدة ابن الزبير، خرج عليه أهل الكوفة والبصرة بجيش كثيف بأمر من عبد الملك بن مروان، فقتلوه وأصحابه، وكانوا نحواً من ستة آلاف. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٧٦.

(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ٥٣٠، وابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٣٥٣، ٣٥٤، و٤/ ٢٨.

إليه بعهده على العراق وهو بالمدينة، وأمره بالمسير إلى العراق، فسار في اثني عشر راكباً على النجائب، حتى دخل الكوفة نهاراً، فبدأ بالمسجد، فصعد المنبر وجلس عليه، وأمسك عن الكلام وقد اجتمع إليه الناس، فأطال السكوت، حتى أراد بعضهم أن يحصبه بالحصى، ثمّ أماط اللثام عن وجهه، وقال:

أنا ابن جَلاَ وطلاَّعُ الثنايا ... متى أضعِ العمامةَ تعرفوني[١]

ثم قال: أما والله إني لأحمل الشرّ محملَه، وأحذوه بنعْله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لأنظر إلىٰ الدماء تترقرق بين العمائم واللّحى، قد شمّرت عن ساقها فشمِّري، ثم أنشد:

هذا أوان الشدّ فاشتدي زِيَمْ ... قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ[٢]

ليس براعي إبل ولا غنم ... ولا بجزار على ظهرِ وَضَمْ[٣]

وقال: يا أهل العراق، ما أغمز كتغماز التين، ولا يقعقع لي بالشنآن، ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء، وجَرَيْت إلى الغاية القصوى، وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، نثر كنانته ثمّ عجم[٤] عيدانها عوداً عوداً، فوجدني أمرّها عوداً، وأصلبها مغمزاً، فوجهني إليكم، ورمى بي في نحوركم، فإنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق، فإنكم طالما أوضعتم في الشرّ، وسننتم سنن الغيّ، فاستوثقوا واستقيموا، فوالله لأذيقنكم الهوان... ولأعصبنكم عَصَبَ السلمة[٥] حتى تذلّوا، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل حتى تذروا العصيان، وتنقادوا، ولأقرعنكم قرع المروة حتى تلينوا. إنّي والله ما أعد إلاّ وفيت، ولا أخلق إلا فريت[٦]، فإيّاي وهذه الجماعات، فلا يركبنّ رجلٌ إلا وحده، أقسم بالله لتقبلنّ على الإنصاف، ولتدعن الإرجاف، وقيلاً وقال وما تقول وما يقول، وأخبرني فلان، أو لأدعنّ لكلّ رجل منكم شغلاً في جسده فيم أنتم وذاك، والله لتستقيمُنّ على الحق، أو لأضربنكم بالسيف ضرباً يدع النساء

---

(١) أنا ابن جلا: ابن جلا هو الصبح لأنه يجلو الظلمة.

(٢) فاشتدّي زيم: هو اسم للحرب، والحطم الذي يحطم كل شيء يمرّ به.

(٣) الوضم: ما وُقي به اللحم من الأرض.

(٤) عجم عيدانها: أي عضها واختبرها.

(٥) لأعصبنّكم عصب السلمة: العصب: القطع، والسلمة شجرة من العِضاه.

(٦) لا أخلق إلاّ فريت: الخلق هو التقدير، ويقال: فريت الأديم إذا أصلحته.

أيامى، والولدان يتامى، حتى تذروا السُّمَّهَى[١] وتقلعوا عن هواها، ألا إنه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ما جيء بفيء، ولا قوتل عدوّ، ولعطلت الثغور، ولولا أنهم يغزون كرهاً ما غزوا طوعاً، وقد بلغني رفضكم المهلّب، وإقبالكم على مصركم عاصين مخالفين، وإني أقسم بالله، لا أجد أحداً من عسكره[٢] بعد ثلاثة إلاّ ضربت عنقه، وأنهبت داره. ثم أمر بكتاب عبد الملك فقرىء على أهل الكوفة، فلما قال القارىء: أما بعد، سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم، قال له: اقطع، ثم قال: يا عبيد العصا! يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يردّ رادّ منكم السلام، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب، ثم قال للقارىء: اقرأ، فلما قرأ: سلام عليكم، قالوا بأجمعهم: سلام الله على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. ثم دخل منزله لم يزد على ذلك[٣].

وجاء في رواية أنه قال بعد أن أماط عن وجهه اللثام:

يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوىء الأخلاق، والله إن كان أمركم ليهمني، قبل أن آتي إليكم، وقد كنت أدعو الله أن يبتليكم بي، ولقد سقط مني البارحة سوطي الذي أؤدبكم به، فاتخذت هذا مكانه ـ وأشار إلى سيفه ـ ثم قال: والله لآخذن صغيركم بكبيركم، وحركم بعبدكم، ثمّ لأرصعنكم رَصْعَ الحدّادِ الحديدةَ، والخباز العجينة[٤].

وزاد بعض الوضاعين، فذكروا أن عبد الملك بن مروان، كتب إلى الحجاج يأمره بالمسير إلى أهل العراق وأن يحتال لقتلهم، فاصطحب معه ألفين[٥] من مقاتلي أهل الشام، وتحرّى دخول البصرة يوم الجمعة، عند الصلاة، فلما دنا من البصرة، أمرهم الحجاج أن يتفرّقوا على أبواب المسجد، ثم دخل يصحبه مائتان من أصحابه، وأمرهم بإعمال سيوفهم في القوم عندما يضع عمامته، وقد حانت الصلاة، فصعد

---

(١) السُّمّهى: الباطل؛ وأصله ما تسمّيه العامة: مخاط الشيطان.
(٢) أي الذين رجعوا عنه بعد سماعهم بموت بِشر بن مروان.
(٣) الطبري: ٣/ ٥٤٧ ـ ٥٥٠، ابن الأثير: ٤/ ٣٣، ٣٤، ابن أعثم: الفتوح، ٧/ ٥ ـ ٩، الجاحظ: البيان والتبيين، ٢/ ٣٠٧، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤/ ٢٠٩، والمقدسي: البدء والتاريخ، ٦/ ٢٩، ٣٠.
(٤) الطبري: ٣/ ٥٤٩، ابن كثير: ٩/ ٩، المبرّد: الكامل، ١/ ١١١ و٣٥١ و٢/ ١٠٠٩، وابن عبد ربّه: العقد الفريد، ٤/ ٢٠٤.
(٥) لقد غاب عن ذهن واضع هذه الرواية أن مثل هذا الرقم، لا يجزىء لإنجاز مثل هذه المهمة.

المنبر، وحصل ما حصل على نحو ما ورد في الرواية السابقة، وما هو إلا أن وضع عمامته، فانقضّ أصحابه على المصلّين، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، في الوقت الذي تولّى فيه المقاتلون خارج المسجد مهمة قتل الهاربين، فقتلوا ـ بزعم الرواية ـ بضعاً وسبعين ألفاً[١].

فلما كان في اليوم الثالث، سمع تكبيراً في السوق، فخرج حتى جلس على المنبر، فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوىء الأخلاق، إني سمعت تكبيراً في الأسواق، ليس بالتكبير الذي يراد به الترغيب، ولكنه تكبير يراد به الترهيب، وقد عصفت عجاجة تحتها قصف، يا بني اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الإماء والأيامى ألا يربَعُ كل رجل منكم على ظَلْعِهِ[٢]، ويحسن حقن دمه، ويبصر موضع قدمه؟ فأقسم بالله، لأوشك أن أوقع بكم، وقعة تكون نكالاً لما قبلها وأدباً لما بعدها. فقام إليه عمير بن ضابىء البرجمي[٣]، فقال: أصلح الله الأمير، أنا في هذا البعث، وأنا شيخ كبير وعليل، وهذا ابني هو أشبّ مني، قال: ومن أنت؟ قال: عمير بن ضابىء، قال: أسمعت كلامنا بالأمس؟ قال نعم. قال: ألست الذي غزا عثمان بن عفان؟ قال: بلى، قال: وما حملك على ذلك؟ قال: كان حبس أبي وكان شيخاً كبيراً. قال: أوَ ليس هو الذي يقول:

همـمتُ ولـم أفعـلْ وكـدتُ وليتـني ... تـرَكـتُ علـى عثمـانَ تبـكي حلائلُهْ

ثم قال الحجاج: إني لأحسب في قتلك صلاح المصرين، وأمر بضرب عنقه، ثم أمر منادياً فنادى في الناس: ألا إن عمير بن ضابىء تأخر بعد سماع النداء ثلاثاً

---

(١) الإمامة والسياسة، ٢/ ٣٩، ٤٠.

(٢) ألا يربع كل رجل منكم على ظلعه: يقال: إربع على ظِلعك: أي ارفق بنفسك وكف. الزبيدي: تاج العروس، ١١/ ١٣٢.

(٣) عمير بن ضابىء بن الحارث البرجمي: (٠٠٠ ـ ٧٥هـ = ٠٠٠ ـ ٦٩٤م) شاعر، من سكان الكوفة، وكان أبوه قد مات في سجن عثمان بن عفان رضي الله عنه، لقتله صبياً بدابته، ولهجائه قوماً من الأنصار، وعلم الحجاج الثقفي بعد ذلك ـ وهو في الكوفة ـ أن عميراً كان ممن دخل على عثمان يوم مقتله، ووطئه برجله، وإنه القائل:

همـمـت ولـم أفـعـل وكـدت ولـيـتـني ... تـركـت عـلـى عـثـمـان تـبـكـي حلائـلـه

فأمر به فضربت رقبته، وأنهب ماله. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٨٩.

فأمر بقتله، فخرج الناس حتى ازدحموا على الجسر، فعبر عليه في ساعة واحدة أربعة آلاف من مذحج، وخرجت معهم العرفاء حتى وصلوا بهم إلى المهلب[١].

انتقاض أهل البصرة على الحجاج سنة (٧٥هـ):

بعد أن استتب الأمر للحجاج في الكوفة، ذهب إلى البصرة، وقام في أهلها خطيباً، فخطبهم نظير ما خطب أهل الكوفة، من الوعيد والتنديد، والتهديد الأكيد، ثم أتي برجل من بني يشكر، فقتله، ففزع أهل البصرة، وخرجوا حتى اجتمعوا عند قنطرة رَامَهُرْمُز[٢]، وعليهم عبد الله بن الجارود[٣]، فخرج إليهم الحجاج - وذلك في شعبان من هذه السنة - في أمراء الجيش، فاقتتلوا هناك قتالاً شديداً، وقتل أميرهم عبد الله بن الجارود في رؤوس من القبائل معه، ثم أمر الحجاج برؤوسهم فقطعت ونصبت عند الجسر من رامهرمز، ثم بعث بها إلى المهلّب، فقوي أمره، وضعف أمر الخوارج.

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/٥٤٩، ٥٥٠، ابن الأثير: تاريخ، ٤/٣٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ٩/ ٩، المبرد: الكامل، ٢/٤٩٣ و٤٩٦ و٣/١٣٠٢، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤/٢٠٤، والمقدسي: البدء والتاريخ، ٦/٢٩.

(٢) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان، تجمع النخل والجوز والأترنج، وليس ذلك يجتمع بغيرها من المدن، الحموي: معجم البلدان، ٣/١٧.

(٣) عبد الله بن الجارود: واسمه بشر، كان عبد الله بن يزيد الأسيدي يكثر التعبّث بعبد الله بن الجارود العبدي، وكان عبد الله بن الجارود عاملاً على البصرة من قبل سليمان بن عبد الملك، فدسّ عبد الله بن الجارود رجالاً من بني عبد القيس فشهدوا على عبد الله بن يزيد بشرب الخمر، فقبض عليه وضربه الحدّ ضرب التلف، فأخذ عبد الله بن الجارود يقول: ما هكذا تقام الحدود، ثم أمر به إلى السجن، ودسّ له غلاماً فدقّ عنقه في الحبس وادّعى عليه أنه مصّ خاتماً كان في يده فصه سمّ، فأنشأ الفرزدق يقول:

يا آل تميم ألا لله أمكم ... لقد رُميتم بإحدى المصمئلات

(المصمئلات الدواهي).

في أبيات له، فوجّه عبد الله بن الجارود من لبّب الفرزدق وقاده إلى السجن، فلما أن كان على باب السجن قال: أيها المسلمون، أشهدكم أنه ليس في أصبعي خاتم، ونمي الخبر إلى سليمان، فعزل ابن الجارود، وأشخصه إليه، فلما دخل عليه سلّم بالخلافة، فقال له سليمان: لا سلّم الله عليك... ثم وبّخه على صنيعه في خبر طويل، ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، ٢٧/٢٣٧، ٢٣٨.

وأرسل الحجاج إلى المهلب وعبد الرحمٰن بن مخنف[١]، فأمرهما بمناهضة الأزارقة، فنهضا بمن معهما إلى الخوارج، فأجلوهم عن أماكنهم من رامهرمز بأيسر قتال، ففرُّوا إلى أرض كازرون من إقليم سابور، ثم أقبلوا جموعهم، وحاولوا مباغتة المهلب ليلاً، فوجدوه قد تحصّن بخندق حول معسكره، فجاؤوا إلى عبد الرحمٰن بن مخنف فوجدوه غير محترز ـ وكان المهلب قد أمره بالاحتراز بخندق حوله فلم يفعل ـ فاقتتلوا ليلاً، فقتلت الخوارج عبد الرحمٰن بن مخنف، وطائفة من جيشه، وهزموهم هزيمة منكرة[٢].

المبحث السادس

أمر الخوارج زمن عبد الملك بن مروان

لمّا عزل مصعب بن الزبير المهلب بن أبي صفرة عن بلاد فارس، وولاّه الجزيرة، وكان قاهراً للخوارج، وولّى مكانه عمر بن عبيد الله بن معمّر[٣]، قويت شوكة الخوارج، واشتدّ أمرهم، فثاروا عليه، فقاتلهم عمر بن عبيد الله، فقهرهم وكسرهم، وكان أميرهم الزبير بن أبي الماحوز[٤]، ففرُّوا بين يديه إلى إصطخر، فأقبلوا يريدون البصرة، وقد ركب عمر بن عبيد الله في آثارهم، فانحازوا إلى المدائن، فجعلوا يقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم، فقصدهم نائب الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، ومعه أهلها،

---

(١) عبد الرحمٰن بن مخنف: (٠٠٠ ـ ٧٥هـ = ٠٠٠ ـ ٦٩٥م) الأزدي: قائد، من الشجعان في الدولة الأموية، انتهت إليه رئاسة «أزد شنوءة» كان مع المهلب في قتال الأزارقة، فقتل في كازرون (بإيران). الزركلي: الأعلام ٣/ ٣٣٦.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٥٥١، ٥٥٢، ابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٣٦ و٤٠، وابن كثير: البداية والنهاية، ٩/ ٩، ١٠.

(٣) عمر بن عبيد الله بن معمّر: (٢٢ ـ ٨٢هـ = ٦٤٢ ـ ٧٠١م) بن عثمان التيمي القرشي: سيد بني تميم في عصره، من كبار القادة الشجعان الأجواد، كان من رجال مصعب بن الزبير أيام ولايته، وولي له بلاد فارس وحرب الأزارقة، وكان قبل ذلك على البصرة، وأرسله عبد الملك بن مروان لقتال أبي فديك. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٥٤.

(٤) الزبير بن أبي الماحوز: (٠٠٠ ـ ٦٨هـ = ٠٠٠ ـ ٦٨٨م) الزبير بن علي السُليطي اليربوعي، ابن أبي الماحوز: زعيم الأزارقة بعد مقتل عبيد الله بن بشير بن الماحوز. المرجع نفسه، ٣/ ٤٢.

ففرّ الخوارج هاربين بين يديه، فاتّبعهم عبد الرحمٰن بن مِخنف في ستة آلاف، فمرُّوا على الكوفة، ثم صاروا إلى أرض أصبهان، فانصرف عنهم ولم يقاتلهم، ثم أقبلوا فحاصروا عتّاب بن ورقاء[(١)] شهراً بمدينة (جيا)[(٢)]، حتى ضيّقوا على الناس، فنزلوا إليهم فقاتلوهم، فكشفوهم، وقتلوا أميرهم الزبير بن أبي الماحوز، وغنموا ما في معسكرهم.

وأمّرت الخوارج عليهم، قطري بن الفجاءة، ثم ساروا إلى الأهواز، فكتب مصعب إلى المهلّب ـ وهو على الموصل ـ أن يسير إلى قتال الخوارج، فسار إلى الأهواز، وقاتلهم مدّة، وكان أبصر بقتالهم، وبعث مكانه إلى الموصل، إبراهيم بن الأشتر، وكان ذلك سنة ثمان وستين[(٣)].

ثم خرج في هذه السنة عبيد الله بن الحرّ الجعفي[(٤)]، وكان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً واجتهاداً، قصد معاوية، وحضر صفين معه، وبقي مقيماً إلى أن قتل علي، فعاد إلى الكوفة، ثم حصل بينه وبين عبيد الله بن زياد سوء تفاهم، فخرج إلى كربلاء، ثم إلى المدائن، فأقام بها إلى أن مات يزيد، فخرج هناك، وعاث في سواد العراق الفساد، حتى صار من أمره، أنه لا يطيع لأحد من بني أمية ولا لآل الزبير، وكان يمرّ على عامل الكورة، فيأخذ جميع ما في بيت ماله وينفقه على أصحابه، فلم يزل كذلك حتى ظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي، فسمع ما يعمل في السواد، فأخذ امرأته فحبسها، فأقبل عبيد الله في أصحابه إلى الكوفة، فكسر باب السجن وأخرجها، ثم جعل يعبث بعمّال المختار وأصحابه، وحضر مع مصعب قتال المختار، فلما قتل المختار، خرج عبيد الله بن الحرّ على مصعب، فبعث إليه الجيوش مرّة بعد أخرى،

---

(١) عتّاب بن ورقاء: (٠٠٠ ـ ٧٧هـ = ٠٠٠ ـ ٦٩٦م) بن الحارث بن عمرو، أبو ورقاء الرياحي اليربوعي التميمي: قائد من الأبطال، ولاّه مصعب بن الزبير إمارة أصبهان، وولي قتال الخوارج، قتل في إحدى المعارك وهو يقاتل شبيب بن يزيد. المرجع نفسه، ٤/ ٢٠٠.

(٢) جيا: هكذا في الأصل، وضبطها ياقوت الحموي على النحو التالي: جَيٌّ: اسم مدينة أصبهان، وهي خراب. معجم البلدان، ٢/ ٢٠٢.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ٤٩٨ ـ ٥٠٢، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٣٨٩، ٣٩٠، وابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٢٩٣، ٢٩٤.

(٤) عبيد الله بن الحرّ العاملي: (٠٠٠ ـ ٦٨هـ = ٠٠٠ ـ ٦٨٧م) قائد من الشجعان الأبطال، كان من أصحاب عثمان بن عفان، فلما قتل، انحاز إلى معاوية، رحل إلى الكوفة بعد صفين، وكان له صولات وجولات مع عبيد الله بن زياد ومصعب بن عمير قبل مقتله غريقاً في إحدى الوقائع. الزركلي: الأعلام، ٤/ ١٩٢، بتصرف.

فكان يلحق بها الهزيمة قلّت أو كثرت، حتى حار مصعب في أمره. ثم وفد على عبد الملك بن مروان فأكرمه وأحسن وفادته، فأشار على عبد الملك أن يرسل معه جنداً يقاتل بهم مصعب بن الزبير، فبعثه في عشرة من أصحابه إلى الكوفة، ليدعو من يقدر عليه إلى بيعة عبد الملك، على أن يمدّه بالجند، فسار بأصحابه نحو الكوفة، فنزل بقرية إلى جانب الأنبار، وتسلّل رفاقه إلى داخل الكوفة، فأخبروا أصحابه بأمر ظهوره، إلا أن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، عامل ابن الزبير على الكوفة، علم بأمره، فأرسل إليه جيشاً كثيفاً، فقتلوه، واستراح الناس من شرّه(١).

ولما آل أمر العراق لعبد الملك بن مروان، بعد قتل مصعب بن الزبير، استعمل خالد بن عبد الله القسري على البصرة، فلما قدمها، كان المهلب يحارب الأزارقة، فجعله على خراج، وسيّر مكانه في حرب الخوارج أخاه عبد العزيز بن عبد الله(٢)، فسار في طلبهم، ومعه مقاتل بن مسمع(٣)، فهزمهم الخوارج، بعد أن قتل مقاتل بن مسمع.

ثم كتب خالد إلى عبد الملك يخبره بذلك، فكتب إليه ليولّي المهلب بن أبي صفرة قتال الخوارج، وكتب إلى أخيه بشر بن مروان بالكوفة، يأمره بإنفاذ خمسة آلاف مع رجل يرضاه لقتال الخوارج، فبعث بهم بشر، وجعل عليهم عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث(٤)، وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز، وقدمها

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٥٠٢ ـ ٥٠٧، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٣٩٣ ـ ٣٩٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٢٩٤.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله القسري أخو خالد.

(٣) مقاتل بن مسمع: من بني عُباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وكان فارساً. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣٢٠.

(٤) عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث: (٠٠٠ ـ ٨٥هـ = ٠٠٠ ـ ٧٠٤م) بن قيس الكندي: أمير، من القادة الشجعان الدهاة، وهو صاحب الوقائع مع الحجاج الثقفي، سيره الحجاج بجيش لغزو بلاد رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان، فغزا بعض أطرافها، وأخذ منها حصوناً وغنائم، وكتب إلى الحجاج يخبره بذلك، وأنه يرى ترك التوغل في بلاد رتبيل إلى أن يختبر مداخلها ومخارجها، فاتهمه الحجاج بالضعف والعجز، وأمره أن يمضي في فتوحاته، فاستشار عبد الرحمٰن من معه فلم يروا رأي الحجاج، واتفقوا على نبذ طاعته، وبايعوا عبد الرحمٰن على خلع الحجاج وإخراجه من أرض العراق، ثم اتفقوا على خلع عبد الملك بن مروان، وزحف عبد الرحمٰن (سنة ٨١هـ) عائداً إلى العراق، ونشبت معارك ظفر فيها عبد الرحمٰن، ثم كانت موقعة دير الجماجم التي هزم فيها عبد الرحمٰن، وتتابعت عليه الهزائم في مسكن وسجستان، فلجأ إلى رتبيل (ملك الترك)، فحماه مدّة، فوردت عليه كتب الحجاج تهديداً ووعيداً إذا هو لم يقتل ابن الأشعث، فأمسكه رتبيل وقتله، وبعث برأسه إلى الحجاج. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٣٢٣، ٣٢٤، بتصرف.

عبد الرحمٰن بن محمد في أهل الكوفة، وجاءت الأزارقة حتى دنوا من الأهواز، فأقاموا نحواً من عشرين ليلة، ثم زحف خالد إليهم بجيشه، فولُّوا مدبرين، وقد وجدوا أن لا طاقة لهم بلقاء عدوّهم، فأرسل خالد داود بن قحذم في آثارهم.

ثم أرسل بشر بن مروان ـ بأمر من أخيه عبد الملك ـ عتّاب بن ورقاء في أربعة آلاف من أهل الكوفة في طلب الأزارقة، على أن يجتمع بابن قحذم، فلحقوا بهم حتى هلكت خيول عامّتهم، وأصابهم الجوع والجهد، ورجع عامة الجيشين إلى الأهواز.

وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الخارجي، فغلب على البحرين، وقتل نجدة بن عامر الحنفي، فاجتمع على خالد بن عبد الله، نزول قطري الأهواز، وأمر أبي فديك، فبعث أخاه أمية بن عبد الله في جند كثيف إلى أبي فديك، فهزمه أبو فديك.

ولما استفحل أمر أبي فديك، أرسل إليه عبد الملك بن مروان، عمر بن عبيد الله بن معمّر في جيش كثيف، فقتلوه وجماعة كثيرة من أصحابه، وذلك سنة ثلاث وسبعين.

وهكذا ضعف أمر الخوارج في اليمامة والبحرين، وبقي الأزارقة، يسيطرون على الأهواز.

ثمّ ألحّ المهلب في ملاحقة الخوارج، فسار إليهم سنة أربع وسبعين، حتى نزل برامهرمز، فلقي بها الخوارج، فخندق عليه، ولم يلبث العسكر حتى أتاهم نعي بشر بن مروان، فتفرّق ناس كثير من أهل البصرة، وأهل الكوفة، واستخلف بشر على البصرة خالد بن عبد الله، فلما بلغه أمر الجند الذين تركوا المهلّب، كتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى المهلّب، وتهدّدهم إن لم يفعلوا بالضرب والقتل، ويحذرهم عقوبة عبد الملك، إلا أنهم لم يستجيبوا له، وتسلّلوا ليلاً إلى بيوتهم، فأقاموا حتى قدم الحجاج أميراً إلى العراق[1].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/٤٩٨، ٥٢٥ ـ ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٠ و٢٨ و٣٠، وابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٣٢٤ و٩/ ٣.

ورغم الضربات الموجعة التي كان يوجهها المهلب إلى الخوارج من حين إلى آخر، إلا أنهم كانوا يخرجون كلما سنحت الفرصة، فلم يكد يمرّ وقت قصير، حتى خرج اثنان من الخوارج، وهما صالح بن مسرّح(١)، وشبيب بن يزيد(٢)، وذلك سنة ست وسبعين.

كان صالح بن مسرّح التميمي رجلاً ناسكاً، كثير العبادة، وكان مقيماً بدارا وأرض الموصل والجزيرة، وله أصحاب يقرأ لهم القرآن والفقه، ويعظهم، فدعاهم إلى الخروج، فأجابوه، وكان يرى رأي الصفرية، من الخوارج، فبينما هم في ذلك إذ قدم عليه كتاب شبيب يستشيره في الخروج، فكتب إليه صالح بالإيجاب، ثم خرج شبيب مع أصحابه حتى قدم على صالح بن مسرّح بدارا، واتّعدوا ليلة الأربعاء من هلال صفر سنة ست وسبعين للخروج، ثم هاجموا خيلاً لمحمد بن مروان(٣) أمير الجزيرة لأخيه عبد الملك، واستولوا عليها، فلما بلغ محمداً مخرجهم أرسل عديّ بن عديّ الكندي(٤) إليهم في ألف فارس، فهزمهم الخوارج، فدعا خالد بن جزء السّلميّ، والحارث بن جعْوَنة العامري، وأرسل إلى كلّ واحد منهما في ألف وخمسمائة فارس لمطاردة الخوارج، ففرّ الخوارج بعد أن فقدوا أكثر من نصفهم، فقطعوا أرض الجزيرة والموصل، وانتهوا إلى الدّسكرة، فلما بلغ ذلك الحجاج سرّح إليهم الحارث بن عميرة(٥) في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة، فألحقوا بالخوارج هزيمة

---

(١) صالح بن مسرّح: (٠٠٠ ـ ٧٦هـ = ٠٠٠ ـ ٦٩٥م) التميمي: زعيم الصفرية، أول من خرج فيهم، كان كثير العبادة، يقيم في أرض دارا والموصل والجزيرة، قتل بالقرب من الموصل. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٩٧.

(٢) شبيب بن يزيد: (٢٦ ـ ٧٧هـ = ٦٤٧ ـ ٦٩٦م) بن نعيم بن قيس الشيباني، أبو الضحاك: من أبطال العالم، أحد كبار الثائرين على بني أمية، كان داهية طمّاحاً إلى السيادة. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٥٦. وقال ابن قتيبة إن صالحاً قد أوصى لشبيب قبل موته، وذكر أن قبر صالح بالموصل، لا يخرج أحد من الخوارج إلا حلق رأسه عند قبره، المعارف، ص٢٣٢.

(٣) محمد بن مروان بن الحكم: (٠٠٠ ـ ١٠١هـ = ٠٠٠ ـ ٧٢٠م) الأموي: أمير، من الشجعان الأبطال، كان والي الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان، اشتهر بقوّة البأس، حتى كان الخليفة عبد الملك يحسده على ذلك، له وقائع وحروب مع الروم، وهو والد «مروان» آخر خلفاء بني أمية. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٩٥، بتصرف.

(٤) عديّ بن عديّ الكندي: (٠٠٠ ـ ١٢١هـ = ٠٠٠ ـ ٧٣٨م) بن عميرة بن فروة، من بني الأرقم، سيد أهل الجزيرة في زمانه، كان ناسكاً فقيهاً. المرجع نفسه، ٤/ ٢٢١.

(٥) الحارث بن عميرة الزبيدي، الحارثي: قدم مع معاذ بن جبل من اليمن، مات زمن يزيد بن معاوية. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ١١/٤٥٨ ـ ٤٦٤.

نكراء، وقتل صالح بن مسرّح زعيم الصفرية، وكاد شبيب يقتل بعد أن صرع عن فرسه، قبل أن يلحق الهزيمة بجيش الحارث الذي صُرِع، فاحتمله أصحابه وانهزموا نحو المدائن[١].

ثم إن شبيباً لقي سلامة بن سيّار بن المضاء التيمي بأرض الموصل، فدعاه إلى الخروج معه، فاشترط عليه سلامة أن ينتقم من عنزة ـ وكانوا قتلوا أخاه فضالة ـ فأجابه شبيب، فخرج حتى انتهى إلى عنزة، ففتك بهم، حتى انتهى إلى خالته، وقد أكبّت على ابن لها، وهو غلام، فأخرجت ثديها، وناشدته الرحم أن يكفف عنه، فلم يصغِ إليها وانتظمه برمحه، فقتله، وذلك أن أخواله من بني نصر قد خذلوا أخاه فضالة.

ثم إن شبيباً ارتحل ومعه طائفة من أصحابه نحو أذربيجان، فأرسل الحجاج سفيان بن أبي العالية الخثعمي في ألف فارس، لمطاردة شبيب وأصحابه، فعجّل سفيان في طلب شبيب، فلحقه بخانِقين[٢]، إلاّ أن شبيباً تظاهر بالانسحاب أمام سفيان، ونصب له كميناً في شعب من الشعاب، فاتبعه ولم يلتفت إلى الكمين الذي باغت جند سفيان وألحق بهم الهزيمة، ففرّ سفيان حتى انتهى إلى بابل مهرود، وقد نجا بأعجوبة، وكتب إلى الحجاج بالخبر.

فلما وصل كتاب سفيان إلى الحجاج، كتب إلى سورة بن الحرّ[٣]، يلومه ويتهدّده ـ وكان قد تخلّف عن قتال الخوارج ـ ويأمره أن ينتخب من المدائن خمسمائة فارس، ويسير بهم وبمن معه إلى شبيب، ففعل ذلك سورة، فلما علم شبيب بخروجه أقبل بأصحابه حتى أتى النهروان، فصلُّوا وترحموا على أصحابهم الذين قتلهم علي رضي الله عنه، وتبرّؤوا من عليّ، ثم التقوا بجيش سورة وألحقوا به الهزيمة، ففرُّوا حتى دخلوا المدائن، فلحق بهم الخوارج، وهرب من بها من الجند نحو الكوفة.

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٥٥٥ ـ ٥٥٩، ابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٤٤، وابن كثير: البداية والنهاية، ٩/ ١٢، ١٣.

(٢) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد، وبخانقين عين للنفط عظيمة، كثيرة الدخل. معجم البلدان، ٢/ ٣٤٠.

(٣) سورة بن الحرّ: (٠٠٠ ـ ١١٢هـ = ٠٠٠ ـ ٧٣٠م) التميمي: أمير سمرقند، وأحد رؤساء تميم، انتدبه الجنيد لنجدته وهو يقاتل الترك، فجاءه من سمرقند باثني عشر ألفاً، فاعترضه الترك، وقتل هناك. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٤٥.

ثمّ أرسل الحجاج الجزل، وهو عثمان بن سعيد بن شرحبيل الكندي في أربعة آلاف ساروا في طلب شبيب، الذي أسرع في مغادرة المدائن، وجعل يتنقّل من مكان إلى آخر، ولا يقيم، إرادة أن يفرّق الجزل قوّاته فيلقاه على غير تعبية، إلا أن الجزل بن سعيد قد فطن لذلك، فكان لا يسير إلا على تعبية، ولا ينزل منزلاً إلا خندق على جيشه.

ثم بعث الحجاج سعيد بن مجالد على جيش الجزل، وأمره بالجدّ في قتال شبيب، وترك المطاولة، فخرج سعيد ومعه الناس، وضمّ إليه خيول أهل العسكر، متجاهلاً نصيحة الجزل بالتروّي، والتقى شبيباً في قطيطيا، حيث انتهت المواجهة بقتل سعيد وهزيمة أصحابه[١].

ثم سار شبيب إلى الكوفة، فلما بلغ الحجاج مكانه، بعث إليه سويد بن عبد الرحمٰن السعدي في ألفي رجل، وحمل شبيب ومن معه حملة منكرة على جيش سويد، فلم يقدروا منهم على شيء، ففرُّوا باتجاه الحيرة، فتبعه سويد بأمر من الحجاج، فانسحب شبيب بجيشه حتى وصل قريباً من أذربيجان، فلما أبعد سار الحجاج إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة[٢]، وعلم الحجاج أن شبيباً يقصد الكوفة، فأسرع في الخروج من البصرة، وقصد الكوفة مسرعاً، وبادره شبيب إلى الكوفة، فسبقه الحجاج إليها، فدخلها عصراً، ووصل شبيب إلى المربد عند الغروب، فلما كان آخر الليل دخل الكوفة، وقصد قصر الإمارة، ثم سلك في طريق المدينة، وقتل رجالاً من أشرافها، في طائفة كثيرة من أهل الكوفة.

ثم استنفر الحجاج الناس، فخرج شبيب من الكوفة غير مبال بهم، فكان يكرّ عليهم ويهزمهم، وكان الحجاج يرسل إليه الأمراء واحداً بعد آخر، فيلحق بهم الهزيمة، قلُّوا أو كثروا، واستفحل أمر شبيب، حتى خافه الحجاج وسائر الأمراء،

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/٥٥٩ ـ ٥٦٥، ابن الأثير: تاريخ، ٤/٤٤، وابن كثير: البداية والنهاية، ٩/ ١٢، ١٣.

(٢) عروة بن المغيرة بن شعبة: أبو يعفور الثقفي، قال الشعبي: وكان خير أهل بيته، وكان على الكوفة. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٤٠/٢٩٦ ـ ٣٠٢.

وخافه عبد الملك بن مروان خوفاً شديداً، فبعث إليه جيشاً من أهل الشام بإمرة سفيان بن الأبرد الكلبي(١)، وأمدّه بالمقاتلين من أهل الكوفة، بإمرة عتّاب بن ورقاء، فخرج إليهم شبيب بأصحابه، فانهزم جيش الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة، وقتل عتاب بن ورقاء، واتجه شبيب نحو الكوفة، في الوقت الذي وصل فيه جيش الشام، فسار الحجاج بنفسه بجند الشام لملاحقة شبيب وأصحابه، فلما تواجه الفريقان، دارت معركة طاحنة، ثبت فيها الفريقان، ثم تسلّلت فرقة من جند الحجاج، فباغتت أصحاب شبيب من الخلف، فصمد لها، وقتل أخوه مصاد، وزوجه غزالة، وكثير من جنده، وانطلق شبيب بمن بقي معه، وعاد نحو الكوفة، فخرجت له السرايا الواحدة تلو الأخرى، فكان يردّها وينتصر عليها، ثم اتجه شبيب نحو الأهواز، فطارده نائب الحجاج على البصرة، زوج ابنته، الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل(٢)، فلحق به على رأس جيش كبير، وألحق به هزيمة نكراء، إلى أن وصلوا جسراً هناك على نهر دجيل، بالأهواز، فوقف شبيب مع مائة من أصحابه يقاومون جند الحجاج، خوفاً من أن يعمدوا إلى قطع الجسر، ثم اجتاز شبيب الجسر، فكبا به جواده وهو على الجسر، فسقط في الماء، وغرق لكثرة ما عليه من دروع، وكان ذلك سنة ست وسبعين(٣).

وهكذا انكسرت شوكة الخوارج في العراق في هذه الفترة.

---

(١) سفيان بن الأبرد بن أبي أمامة بن قابوس أبو يحيى الكلبي، من بني جبّار، كانت داره بدمشق بجيرون، وكان بدمشق يوم خطب الضحاك بن قيس ودعا إلى بيعة ابن الزبير، وكان هوى سفيان وحسّان بن مالك بن بحدل مع بني أمية، وولي بعض الشام لبني أمية، وكان مع عبد الملك حين حاصر عمرو بن سعيد، ولما غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية، كان معه سفيان بن الأبرد، ولما حمل يزيد على أحد أبوابها كان معه سفيان فأصيب بجراح، فدعا يزيد بأحد الأطباء، فعالجه حتى برىء من طعنته. مات سفيات في أيام عبد الملك سنة أربع وثمانين أو سنة خمس وثمانين. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢١/ ٣٤٢، ٣٤٣، بتصرف.

(٢) الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل: (٠٠٠ ـ نحو ٩٧هـ = ٠٠٠ ـ نحو ٧١٥م) الثقفي: أمير وهو ابن عم الحجاج، ولاه الحجاج على البصرة، ثم عزله ثم أعاده، قتله صالح بن عبد الرحمٰن. الزركلي: ٢/ ٢٦٦.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥٦٦ ـ ٥٦٨ و٥٧٩ ـ ٥٨٢ و٥٨٩ ـ ٥٩١، ابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٤٢ و٦١، وابن كثير: البداية والنهاية، ٩/ ١٢، ١٣ و١٨ ـ ٢٠.

خروج مطرّف بن المغيرة بن شعبة[١] سنة (٧٧هـ):

كان بنو المغيرة بن شعبة صلحاء أشرافاً بأنفسهم مع شرف أبيهم ومنزلتهم في قومهم، فلما قدم الحجاج ورآهم، علم أنهم رجال قومهم، فاستعمل عروة على الكوفة، ومطرّفاً على المدائن، وحمزة على هَمَذَان[٢]، وكانوا في أعمالهم أحسن الناس سيرة، وأشدّهم على المريب. وكان مطرّف على المدائن عند خروج شبيب وقربه منها، كما سبق وذكرنا، فكتب مطرّف إلى الحجاج يستمدّه، فأمدّه بسبرة بن عبد الرحمٰن بن مخنف وغيره، وأقبل شبيب حتى نزل بَهُرَسِيْر[٣]، فأرسل إليه مطرّف طالباً منه أن يرسل إليه بعض أصحابه لينظر فيما يدعون ـ وكانت كبوة منه ـ فبعث إليه عدّة منهم، فسألهم عما يدعون إليه، فقالوا: ندعو إلى كتاب الله، وسنّة رسوله ﷺ، وأن الذي نقمنا من قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود، والتسلُّط بالجبرية، فوافقهم مطرّف وطلب إليهم أن يبايعوه، فلم يجيبوه إلى ذلك. وعلم مطرّف أن الحجاج لن يعفو عنه، فسار عن المدائن نحو الجبال، ومرّ بالدّسكرة، فدعا أصحابه إلى خلع عبد الملك والحجاج، والدعاء إلى كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين، يرتضون لأنفسهم من أحبُّوه، فبايعه البعض على ذلك ورجع عنه البعض. وسار مطرّف نحو حُلْوَان[٤] فأوقع بالأكراد، ثم نحو همذان، وبها أخوه حمزة بن المغيرة، فتركها ذات اليسار، وقصد ماه دينار[٥]، وأرسل إلى أخيه حمزة يستمدّه بالمال والسلاح، فأرسل إليه سراً ما طلب، وسار مطرّف حتى بلغ قمّ وقاشان[٦]. وكتب البراء بن قبيصة ـ وهو عامل الحجاج على أصبهان ـ إليه يعرّفه

(١) مطرّف بن المغيرة بن شعبة: (٠٠٠ ـ ٧٧هـ = ٠٠٠ ـ ٦٩٦م) ثائر، من أتقياء الولاة والأمراء، ولاه الحجاج على المدائن، لنبله وشرف أبيه. أرسل إليه الحجاج بعد خروجه من قاتله في بعض جهات أصبهان، فقتل. الزركلي: ٧/ ٢٥١.

(٢) هَمَذَان: أكبر مدينة بالجبال وأقدمها، وأحسنها وأنزهها وأطيبها، لكن شتاءها شديد البرودة. معجم البلدان، ٥/ ٤١١، ٤١٢، بتصرف.

(٣) بَهُرسِيْرُ: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن، معجم البلدان، ١/ ٥١٥.

(٤) حلوان: حلوان في عدة مواضع، حلوان العراق: وهي في آخر حدود السواد فيما يلي الجبال من بغداد. معجم البلدان، ٢/ ٢٩٠.

(٥) ماه دينار: هي مدينة نهاوند، ذكر ياقوت الحموي قصة في سبب تسميتها بهذا الاسم؛ لا أرى ضرورة لذكرها. معجم البلدان، ٥/ ٤٩.

(٦) قمّ: هي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وبها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة وبرودة، وقاشان: مدينة قرب أصبهان، أهلها كلهم شيعة إمامية، معجم البلدان، ٤/ ٢٩٦ و٣٩٧.

حال مطرّف، ويستمدّه، فأمدّه بالرجال، وكتب الحجاج إلى عديّ بن زياد عامل الريّ يأمره بقصد مطرّف وأن يجتمع هو والبراء على محاربته، فاجتمعوا في نحو ستة آلاف مقاتل. فلما اجتمع عديّ بن زياد الأيادي، والبراء بن قبيصة، ساروا نحو مطرّف، فخندق عليه، فلما دنوا منه، اصطفُّوا للحرب، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب مطرّف، وقتل مطرّف وجماعة كثيرة من أصحابه[1].

اختلاف الأزارقة فيما بينهم سنة (٧٧هـ):

سبق وذكرنا أن أمر الخوارج قد ضعف في الحجاز والعراق، وبقي الأزارقة يعيثون فساداً في بلاد فارس، واشتدّ المهلّب في قتالهم، ولم يتوان عن مطاردتهم أينما حلُّوا، وكانت كرمان بيد الخوارج، فلم يزل المهلب بهم حتى أخرجهم منها بعد قتال شديد، فلما صارت فارس كلها في يد المهلّب، أرسل الحجاج عماله إليها، ثمّ بعث إلى المهلب البراء بن قبيصة ليحثّه على قتال الخوارج، ويأمره بالجدّ وأنه لا عذر له عنده، فخرج المهلب بالعساكر فقاتل الخوارج أشد القتال، والبراء يراقب عن كثب، ثم انصرف البراء إلى الحجاج، وقد لاحظ قوّة الخوارج، فعَذَرَ المهلّب، وأخبر الحجاج بذلك، ثم إن المهلب قاتلهم ثمانية عشر شهراً لا يقدر منهم على شيء، بسبب شجاعتهم وقوّة شكيمتهم. ثم حصل ما لم يكن في الحسبان، فوقع النزاع بين الأزارقة، وذلك أن عاملاً لقطريّ على ناحية كرمان، يدعى المقعطر الضبي، قتل رجلاً منهم، فوثبت الخوارج إلى قطريّ، وطلبوا منه أن يقيدهم من المقعطر، فلم يفعل، وقال: تأوّل فأخطأ التأويل، ما أرى أن تقتلوه وهو من ذوي السابقة فيكم، فوقع بينهم الاختلاف.

وقيل: كان سبب اختلافهم أن رجلاً كان في عسكرهم، يعمل النِّصال المسمومة، فيرمى بها أصحاب المهلب، فشكا أصحابه منها، فقال: أنا أكفيكموه، فوجه رجلاً من أصحابه ومعه كتاب، وأمره أن يلقيه خلسة في عسكر قطريّ، ففعل ذلك، ووقع الكتاب إلى قطريّ فرأى فيه: أما بعد فإن نصالك وصلت، وقد أنفذت إليك ألف درهم، فأحضر الصانع فسأله فجحد فقتله قطريّ، فأنكر عليه عبد ربّه الكبير قتله، واختلفوا.

(١) الطبري: تاريخ، ٣/٥٩٢ ـ ٦٠٠، وابن الأثير: تاريخ، ٤/٦٢، ٦٣.

ثم بلغ ذلك الخلاف المهلّب، فأراد أن يزيد من حدّته، فدسّ إليهم رجلاً نصرانياً، وأمره أن يقصد قطرياً ويسجد له، ففعل ذلك، فقال له الخوارج: إن هذا قد اتخذك إلهاً، ووثب بعضهم إلى النصراني، فقتله، فأنكر قطريّ ذلك عليه، وأنكر قوم من الخوارج على قطريّ إنكاره[١].

وبلغ المهلّب ذلك الخلاف أيضاً، فأراد أن يزيد الأمر احتداماً بينهم، فوجه إليهم رجلاً يسألهم، فأتاهم وقال لهم: أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم، فمات أحدهما في الطريق، وبلغ الآخر إليكم فامتحنتموه، فلم يجز المحنة[٢]، ما تقولون فيهما؟ فقال بعضهم: أما الميت فمن أهل الجنة، وأما الذي لم يجز فكافر حتى يجوز المحنة، وقال آخرون: هما كافران، فكثر الاختلاف، واشتدّ، وخرج قطريّ بمن اتبعه نحو طبرستان، وبايع الباقون عبد ربّه الكبير[٣].

وبلغ من اختلافهم أن اقتتلوا فيما بينهم نحواً من شهر، وكتب الحجاج إلى المهلّب يأمره أن يقاتلهم على حال اختلافهم، قبل أن يجتمعوا، فكتب إليه المهلّب، يشير عليه أن يدعهم حتى يقتل بعضهم بعضاً، ثم يلقاهم بجنده، وقد أنهكهم القتال، فيمزقهم شرّ تمزيق[٤].

ولما سار قطريّ إلى طبرستان، وأقام عبد ربّه الكبير بكرمان، نهض إليهم المهلّب فقاتلهم قتالاً شديداً، وحاصرهم بجِيرَفْت[٥]، وكرّر قتالهم وهو لا ينال منهم حاجته، ثم ضاق الخوارج ذرعاً بالحصار، فخرجوا من جيرفت بأموالهم وحرمهم، فقاتلهم المهلّب قتالاً شديداً، انتهى بهزيمة الخوارج هزيمة نكراء، وقتل عبد ربّه

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٦٠١ ـ ٦٠٣، ابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٦٤، والمبرد: الكامل، ٣/ ١٣٢٣، ١٣٢٤.

(٢) يعتبر الخوارج دار مخالفيهم دار كفر، وأن دارهم دار إيمان، لذلك فإنهم يوجبون الهجرة إليهم، ولكنهم لم يكتفوا بهذا، حيث يخضعون المهاجر للمحنة، فيسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر وعثمان في ست سنين، وعلي قبل التحكيم وبعده، ويعرضون عليه قتل أطفال مخالفيهم، فإن فعل، كان واحداً منهم، وإلاّ فلا.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٠، وابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٦٤.

(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ٦٠٢ وابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٦٤.

(٥) جِيْرَفْت: مدينة كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان وأنزهها وأوسعها، بها خيرات ونخل كثير وفواكه، ولهم نهر يتخلل البلد، إلا أن حرّها شديد. معجم البلدان، ٢/ ١٩٨.

الكبير، في الوقت الذي خرج فيه قطري بن الفجاءة إلى طبرستان، فلما بلغ الحجاج مسيره، سير إليه سفيان بن الأبرد في جيش عظيم، وقد اجتمع معه إسحاق بن محمد بن الأشعث في جيش لأهل الكوفة بطبرستان، فأقبلا في طلب قطريّ، حتى أدركوه وقتلوه بعد أن تفرّق عنه أصحابه[١].

أمر الخوارج زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

لم يقم الخوارج بأية حركة تذكر في خلافة الوليد[٢] وسليمان[٣] ابني عبد الملك، فلما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز، خرجت خارجة منهم بالعراق، فبعث أمير المؤمنين عمر إلى عبد الحميد نائب الكوفة، يأمره أن يدعوهم إلى الحق، ويتلطّف بهم، ولا يبدأهم بقتال حتى يفسدوا في الأرض، فإن فعلوا وجّه إليهم رجلاً حازماً في جنده، فبعث عبد الحميد إليهم محمد بن جرير بن عبد الله البجلي، وأمره بما أمره عليه عمر.

وكتب عمر إلى كبير الخوارج ـ واسمه شوذب[٤] ويدعى بسطام ـ يسأله عن سبب خروجه، ويدعوه إلى المناظرة، فأرسل إلى عمر مولى لبني شيبان حبشياً اسمه عاصم، ورجلاً من بني يشكر، فقدما على عمر بخناصرة، فدخلا إليه، فناظرهما

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/٦٠٦، ٦٠٧، وابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٦٤ و٦٥ و٦٨.

(٢) الوليد بن عبد الملك: (٤٨ ـ ٩٦هـ = ٦٦٨ ـ ٧١٥م) بن مروان، أبو العباس: من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولي بعد وفاة أبيه (سنة ٨٦هـ)، امتدت في زمانه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند فأطراف الصين شرقاً، كان ولوعاً بالبناء والعمران، بنى المسجد الأقصى في القدس، وبنى مسجد دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموي، كانت وفاته بدير مروان (من غوطة دمشق) ودفن بدمشق. الزركلي: الأعلام، ٨/ ١٢١.

(٣) سليمان بن عبد الملك: (٥٤ ـ ٩٩هـ = ٦٧٤ ـ ٧١٧م) بن مروان، أبو أيوب: الخليفة الأموي، ولد في دمشق، وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد (سنة ٩٦هـ)، وكان بالرملة فلم يتخلف عن مبايعته أحد، فأطلق الأسرى وأخلى السجون وعفا عن المجرمين، وأحسن إلى الناس، وكان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح، تمت في زمانه فتوحات كبيرة، توفي في دابق (من أرض قنسرين ـ بين حلب ومعرة النعمان). الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٣٠.

(٤) شوذب: (٠٠٠ ـ ١٠١هـ = ٠٠٠ ـ ٧٢٠م) بسطام اليشكري المعروف بشوذب: ثائر جبار، خرج في أيام عمر بن عبد العزيز بمكان قريب من الكوفة اسمه «جوخا» فتريث عمر في قتالهم إلى أن مات، وولي يزيد بن عبد الملك فأذن بقتالهم، فحاربهم أهل الكوفة فلم يفلحوا، وتبعهم شوذب وأصحابه إلى الكوفة، وألحق الهزيمة بثلاثة من جيوش يزيد، قبل أن يرسل إليه جيشاً بقيادة سعيد بن عمرو الحرشي، فأحاطوا بشوذب وقتلوه، الزركلي: الأعلام، ٢/ ٥١.

عمر، وأقام عليهما الحجّة، إلاّ أنهما لجّا في المناظرة، وأظهرا غلواً لا مزيد عليه، ثم ذكرا لعمر أن ممّا ينقمون عليه رضاه بيزيد بن عبد الملك[١] ولياً للعهد من بعده، فنفى مسؤوليته عن ذلك، فقالا: فكيف ترضى به أميناً للأمة من بعدك؟! فقال: أنظراني ثلاثاً. فيقال: إن بني أمية دسُّوا له السمّ في طعامه فقتلوه، خشية أن يخلع يزيد، فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثاً حتى مرض ومات، وذلك سنة مائة[٢].

ولما مات عمر رضي الله عنه، قبل أن يحسم أمر الخوارج، وآل أمر الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك، كتب عامل الكوفة عبد الحميد إلى محمد بن جرير يأمره بمناجزتهم، فالتقى بهم ابن جرير، إلا أنه مني بالهزيمة، وأصيب بجراح، وتبعهم الخوارج حتى أدخلوهم إلى الكوفة، ثم عادوا إلى مواقعهم، وأقام شوذب ينتظر رسوليه إلى عمر، فقدما عليه وأخبراه بموت عمر.

ثم وجّه يزيد بن عبد الملك من عنده تميم بن الحباب في ألفي رجل إلى الخوارج، فقتلوه وقتلوا أصحابه، فلجأ بعضهم إلى الكوفة، وبعضهم الآخر إلى يزيد، فأرسل إليهم نجدة بن الحكم الأزدي[٣] في جمع فقتلوه وهزموا أصحابه، فوجه إليهم يزيد الشجاع بن وداع في ألفين من المقاتلين فقتلوه هو الآخر، وهزموا أصحابه.

واشتدّ أمر الخوارج، حتى دخل مسلمة بن عبد الملك[٤] الكوفة، فشكا إليه أهل الكوفة مكان شوذب، وخوّفوه منه، فأرسل إليه مسلمة سعيد بن عمرو

---

(١) يزيد بن عبد الملك: (٧١ ـ ١٠٥هـ = ٦٩٠ ـ ٧٢٤م) بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز (سنة ١٠١هـ) بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك، وكانت في أيامه غزوات أعظمها حرب الجراح الحكمي مع الترك وانتصاره عليهم، وخرج عليه يزيد بن المهلب بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة بن عبد الملك فقتله، مات في إربد. الزركلي: الأعلام، ٨/ ١٨٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ٤/ ٦٢، ابن الأثير: تاريخ، ٤/ ١٥٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ٩/ ١٨٧.

(٣) نجدة بن الحكم الأزدي: (٠٠٠ ـ ١٠١هـ = ٠٠٠ ـ ٧١٩م) من قادة الجيوش في العصر المرواني، كان شجاعاً. الزركلي: الأعلام، ٨/ ١٠.

(٤) مسلمة بن عبد الملك: (٠٠٠ ـ ١٢٠هـ = ٠٠٠ ـ ٧٣٨م) بن مروان بن الحكم: أمير قائد، من أبطال عصره، من بني أمية في دمشق، له فتوحات مشهورة، ولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية، وغزا الترك والسند سنة ١٠٩هـ، ومات بالشام. المرجع نفسه، ٧/ ٢٢٤.

الحرشي[١]، في عشرة آلاف مقاتل، فالتقوا بشوذب وأصحابه، فلقي منهم ما لا قبل له به، إلا أنه صمد لهم مع أصحابه، وكاد يلحق بهم الهزيمة عدة مرات، ثم حمل عليهم أهل الشام حملة صادقة، فطحنوهم طحناً، وقتلوا شوذب[٢].

المبحث السابع

أمر الخوارج زمن هشام بن عبد الملك[٣]

عاد الخوارج للظهور أيام هشام بن عبد الملك، «وظهرت في عهده بدعة الخوارج في البربر، وتلقتها عن رؤوسهم من عرب العراق الساقطين إلى المغرب، نزعوا بها إلى الأطراف، داعين أغمار الأمم إليها، عسى أن تكون لهم دولة، فاستحكمت صبغتها في طغام البربر، ووشجت فيهم عروقها، فكان ذلك من أقوى البواعث في خرق حجاب الهيبة على الخلفاء، وانتقاض البربر على العرب، ومزاحمتهم لهم في سلطانهم»[٤].

وكان هشام قد استعمل عُبَيد الله بن الحبحاب[٥] على إفريقية والأندلس، سنة سبع عشرة ومائة، وكان والياً على مصر، فسار إليها بعد أن استخلف ولده على

---

(١) سعيد بن عمرو الحرشي: (٠٠٠ ـ بعد ١١٢هـ = ٠٠٠ ـ بعد ٧٣٠م) قائد، من الولاة الشجعان، من أهل الشام، ولاه ابن هبيرة خراسان، ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة ولا يعترف بإمارته، فعزله وسجنه، ثم أخرجه خالد القسري وأكرمه، وعاد إلى الشام، فولاّه هشام غزو الخزر سنة ١١٢هـ، فرحل إلى أرمينية، كان تقياً بطلاً. المرجع نفسه، ٣/٩٩.

(٢) الطبري: تاريخ، ٤/٧٣، ٧٤، ابن الأثير: تاريخ، ٤/١٦٧، وابن كثير: البداية والنهاية، ٩/٢١٩.

(٣) هشام بن عبد الملك: (٧١ ـ ١٢٥هـ = ٦٩٠ ـ ٧٤٣م) بن مروان: من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق، وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد (سنة ١٠٥هـ)، نشبت في أيامه حرب هائلة مع خاقان الترك في ما وراء النهر انتهت بمقتل خاقان واستيلاء العرب على بعض بلاده، بنى مدينة الرصافة، وكان يسكنها في الصيف، وتوفي فيها. الزركلي: الأعلام، ٨/٨٦.

(٤) مصطفى نجيب: حماة الإسلام، ص١٩٨.

(٥) عبيد الله بن الحبحاب: (٠٠٠ ـ بعد ١٢٣هـ = ٠٠٠ ـ بعد ٧٤١م) السلولي الموصلي: أمير، من الرؤساء النبلاء الخطباء نشأ كاتباً. اتخذ بتونس داراً لإنشاء المراكب، عزله هشام بعد أن اضطرب عليه أمر البلاد سنة ١٢٣هـ. الزركلي: الأعلام، ٤/١٩٢.

مصر، فاستعمل على الأندلس عقبة بن الحجاج[1]، واستعمل على طنجة ابنه إسماعيل.

وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع[2] غازياً إلى المغرب، فبلغ السوس الأقصى، وأرض السودان، فلم يقاتله أحد إلا ظهر عليه، وأصاب من الغنائم والسبي شيئاً عظيماً، ورجع سالماً.

وسيّر جيشاً في البحر سنة سبع عشرة ومائة إلى جزيرة سردينية فافتتحها، ثم سيّره غازياً إلى جزيرة صقلية، فقاتلوه فهزمهم، وحصروه، وصالحوه على الجزية، وعاد إلى أبيه، وعزم حبيب على المقام بصقلية إلى أن يملكها جميعاً، فأتاه كتاب ابن الحبحاب، يستدعيه إلى إفريقية، وكان سبب ذلك، أنه استعمل على طنجة ابنه إسماعيل، وجعل معه عمر بن عبد الله المرادي[3]، فأساء السيرة، وتعدّى، وأراد أن يخمّس مسلمي البربر، وزعم أنهم فيء للمسلمين، وذلك شيء لم يرتكبه أحد قبله، فلما سمع البربر بمسير حبيب بن أبي عبيدة إلى صقلية بالعساكر، طمعوا ونقضوا الصلح على ابن الحبحاب، وتداعت عليه بأسرها، مسلمها وكافرها، وعظم البلاء، وأمّر البربر عليهم من طنجة، رجلاً اسمه ميسرة السقّاء ـ وكان خارجياً صفرياً ـ وقصدوا طنجة، فاستولوا عليها بعد أن قتلوا عمر بن عبد الله، وبايعوا ميسرة بالخلافة، وخوطب بأمير المؤمنين، وقوي جمعه من البربر، وقوي أمره بنواحي طنجة.

---

(١) عقبة بن الحجاج: (٠٠٠ ـ ١٢٣هـ = ٠٠٠ ـ ٧٤١م) السلولي: أمير، كان من أشراف بني سلول، دخل الأندلس سنة ١١٦هـ، أو ١١٧هـ، والياً عليها من قبل عبيد الله بن الحبحاب أمير مصر وإفريقية وما والاهما، في أيام هشام بن عبد الملك، فأقام مجاهداً فاتحاً حتى بلغ أربونة وفتح معها جليقية وبنبلونة، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام، ويقبح له عبادة الأصنام، فأسلم على يده بهذه الطريقة أكثر من ألف رجل، واختلف المؤرخون في نهاية عهده، فقيل: استشهد ببلاط الشهداء، وقيل: ثار به أهل الأندلس بتحريض من عبد الملك بن قطن، فخلعوه سنة ١٢٣هـ، وتوفي بعد قليل بقرطبة. الزركلي: الأعلام ٤/ ٢٤٠.

(٢) حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع: الفهري القرشي، مصري، سكن الأندلس، وولي بها ولايات، ووفد على سليمان بن عبد الملك، توفي سنة أربع وعشرين ومائة. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ١٢/ ٤٢.

(٣) عمر بن عبد الله المرادي: لم أجد له ترجمة.

وظهر في ذلك الوقت جماعة بإفريقية، فأظهروا مقالة الخوارج، فأرسل ابن الحبحاب إلى حبيب، وهو بصقلية يستدعيه لقتال ميسرة الخارجي، فعاد حبيب إلى إفريقية. وكان ابن الحبحاب قد سيّر خالد بن حبيب[١] في جيش إلى ميسرة، فلما وصل حبيب، سيّره في أثره، والتقى خالد وميسرة بنواحي طنجة، واقتتلوا قتالاً شديداً، وعاد ميسرة إلى طنجة، فأنكرت البربر سيرته، فقتلوه، وولّوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي.

ثم التقى خالد بن حميد الزناتي ومعه البربر، بخالد بن حبيب، ومعه العرب، وعسكر هشام، فوقعت معركة شديدة، صبرت فيه العرب، وظهر عليهم كمين من البربر فانهزموا، وكره خالد بن حبيب أن ينهزم من البربر، فصبروا فقتلوا جميعهم، وقتل في هذه الوقعة حماة العرب، وفرسانها، فسميت غزوة الأشراف.

وانتقضت البلاد، ومرج أمر الناس، وبلغ أهل الأندلس الخبر، فثاروا بأميرهم عقبة بن الحجاج فعزلوه، وولّوا مكانه عبد الملك بن قطن[٢]، فاختلطت الأمور على ابن الحبحاب، وبلغ الخبر هشاماً، فكتب إلى ابن الحبحاب يأمره بالحضور، فسار إليه في جمادى سنة ثلاث وعشرين ومائة، واستعمل هشام عوضه كلثوم بن عياض القشيري[٣]، وسيّر معه جيشاً كثيفاً، وتقدّم إليهم البربر من طنجة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل كلثوم بن عياض، وحبيب بن أبي عبيدة، ووجوه العرب، وانهزموا، ثم تفرّقوا في البلاد، فمضى أهل الشام إلى الأندلس، وذلك سنة اثنين وعشرين ومائة[٤].

---

(١) هو خالد بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع.

(٢) عبد الملك بن قطن: (٣٣ ـ ١٢٣هـ = ٦٥٣ ـ ٧٤١م) بن نهشل بن عبد الله الفهري: أمير الأندلس، وأحد القادة الشجعان، شهد وقعة الحرّة، ونجا من مسلم بن عقبة، فقصد إفريقية، ثم استقرّ بقرطبة، وولي الأندلس بعد مقتل عبد الرحمٰن الغافقي، وجاءه بلج بن بشر لاجئاً من إفريقية في جمع كبير، فأكرمه، ثم خافه فدعاه إلى الخروج من الأندلس، فثار عليه بلج بن بشر وأصحابه وقتلوه. الزركلي: ٤/ ١٦٢.

(٣) كلثوم بن عياض القشيري: (٠٠٠ ـ ١٢٣هـ = ٠٠٠ ـ ٧٤١م) أمير إفريقية، وأحد الأشراف الشجعان القادة، ولاه هشام بن عبد الملك بعد عزل عبد الله بن الحبحاب، وسيره إلى إفريقية بجيش عظيم سنة ١٢٣هـ، فقتل في معركة مع البربر في وادي «سيبو» من أعمال طنجة، واستباح عسكره أبو يوسف الأزدي رأس الصفرية. الزركلي: الأعلام، ٥/ ٢٣١.

(٤) ابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٢٢١ و٢٢٣ و٢٤٩.

ولما ضعف أمر العرب بهذه الوقعة، ظهر رجل من الخوارج ـ وكان على رأي الصفرية ـ يقال له: عكاشة بن أيوب الفزاري، فسار إليه جيش من القيروان، فألحق به الهزيمة، ثم خرج إليه جيش آخر، فانهزم عكاشة، وقتل كثير من أصحابه، فلحق ببلاد الرمل، فلما بلغ هشام بن عبد الملك قتل كلثوم، بعث حنظلة بن صفوان الكلبي[١] أميراً على إفريقية، فوصلها في ربيع الآخر، سنة أربع وعشرين ومائة، فلم يمكث إلاّ يسيراً حتى زحف إليه عكاشة الخارجي في جمع عظيم من البربر، وقد انضمّ إليه خارجي آخر من الصفرية، اسمه عبد الواحد بن يزيد الهواري[٢] في عدد كثير، وافترقا ليطبقا على القيروان من جهتين، فلما قرب عكاشة، خرج إليه حنظلة ولقيه منفرداً، فألحق به الهزيمة.

وسار عبد الواحد فنزل على ثلاثة أميال من القيروان بموضع يعرف بالأصنام، وقد اجتمع معه ثلاثمائة ألف مقاتل، فحشد حنظلة كل من بالقيروان، وفرّق فيهم السلاح، وحضهم على الجهاد، وخرج النساء يحرّضن الرجال على القتال، فحمي الناس، وحملوا على الخوارج حملة رجل واحد، فهزموهم بحمد الله تعالى، وكثر القتل في الخوارج، وقتل عبد الواحد الخارجي، وأسِرَ عكاشة، فحُمِل إلى حنظلة فقتله، وكتب إلى هشام بالفتح، وكان الليث بن سعد[٣] يقول: ما غزوة إلى الآن أشدّ بعد غزوة بدر من غزوة العرب بالأصنام[٤].

(١) حنظلة بن صفوان الكلبي: (٠٠٠ ـ نحو ١٣٠هـ = ٠٠٠ ـ نحو ٧٤٨م) أبو حفص: أمير من القادة الشجعان، من أهل دمشق، أقام والياً على إفريقية، وثورة البربر مندلعة فيها، فقمعها، وأرسل إلى الأندلس فدانت له، واستقرّ إلى أن اضطرب أمر الخلافة في الشام، فأخرجه أهل إفريقية، فعاد إلى الشام. الزركلي: ٢/٢٨٦.

(٢) عبد الواحد بن يزيد الهواري: (٠٠٠ ـ ١٢٤هـ = ٠٠٠ ـ ٧٤٢م): من أمراء الصفرية، كان شجاعاً عظيم الخطر، قتل في وقعة الأصنام، الزركلي: ٤/١٧٨.

(٣) الليث بن سعد: (٩٤ ـ ١٧٥هـ = ٧١٣ ـ ٧٩١م) بن عبد الرحمٰن الفهمي، أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره، حديثاً وفقهاً، أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة، وكان من الكرماء الأجواد. الزركلي: الأعلام، ٥/٢٤٨. وفي المعارف لابن قتيبة (ص٢٨٣): مات سنة خمس وستين ومائة.

(٤) ابن الأثير: تاريخ، ٤/٢٢٣، ٢٢٤.

وخرج سنة تسعة عشرة ومائة المغيرة بن سعيد[(١)]، وبيان في ستة نفرٍ، وكانوا يسمُّون الوصفاء، وكان المغيرة بن سعيد ساحراً، فاجراً، شيعياً خبيثاً؛ قال الأعمش[(٢)]: سمعت المغيرة بن سعيد يقول: لو أراد أن يحيي عاداً وثموداً، وقروناً بين ذلك لأحياهم. وكان المغيرة هذا من المجسّمة، يقول ـ عياذاً بالله ـ أن الله على صورة رجل على رأسه تاج، وأن أعضاءه على عدد حروف الهجاء، جاء هذا الخبيث إلى محمد الباقر رضي الله عنه، فقال: أقْرِرْ أنك تعلم الغيب حتى أجبي لك العراق، فنهره وطرده. وجاء إلى ابنه جعفر بن محمد الصادق[(٣)] رضي الله عنه، فقال له مثل ذلك، فقال: أعوذ بالله.

وأمّا بيان، فإنه كان يقول بإلهية علي والحسن والحسين ومحمد بن الحنفية، ثم بعده ابنه أبو هاشم بن محمد[(٤)]، بنوع من التناسخ، وادّعى النبوّة، وزعم أنه المراد بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٨].

ولما بلغ خالد بن عبد الله القسري ذلك، أمر بإحضار المغيرة، فجيء به في ستة نفرٍ أو سبعة، فأمر بإحراقهم أمام المسجد الجامع[(٥)].

وخرج في السنة نفسها في المَوْصِل، رجلٌ يدعى بُهْلول بن بِشْر[(٦)]، ويلقب بكثّارة، فاتبعه جماعة من الخوارج دون المائة، وقصدوا قتل خالد بن عبد الله

---

(١) المغيرة بن سعيد: (٠٠٠ ـ ١١٩هـ = ٠٠٠ ـ ٧٣٧م) البجلي الكوفي، أبو عبد الله: دجال مبتدع، من أهل الكوفة، جمع بين الإلحاد والتنجيم، كان مجسماً، ويقول بتأليه علي، وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة، الزركلي: الأعلام ٧/ ٢٧٧.

(٢) الأعمش: (٦١ ـ ١٤٨هـ = ٦٨١ ـ ٧٦٥م) سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد: أصله من بلاد الريّ، ومنشؤه ووفاته بالكوفة، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٣٥.

(٣) أبو هاشم بن محمد: (٠٠٠ ـ ٩٩هـ = ٠٠٠ ـ ٧١٧م) عبد الله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب: أحد زعماء العلويين في العصر المرواني، كان يبث الدعاة سراً في الناس، ينفّرهم من بني أمية، كان عالماً بكثير من المذاهب والمقالات، ثقة في رواية الحديث. الزركلي: الأعلام، ٤/ ١١٦.

(٤) ابن الأثير: تاريخ، ٤/ ١٧٤، ١٧٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ٩/ ٣٢٣.

(٥) الطبري: تاريخ، ٤/ ١٧٤ ـ ١٧٨، ابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٢٣٠ ـ ٢٣٣، وابن كثير: البداية والنهاية، ٩/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٦) بُهلول بن بشر: (٠٠٠ ـ ١١٩هـ = ٠٠٠ ـ ٧٣٧م) الشيباني: ثائر، من الشجعان الزعماء، من أهل الموصل. الزركلي: الأعلام، ٢/ ٧٦.

القسري، وقد عزموا على الخروج بمكة، وكانوا قد خرجوا لأداء فريضة الحج، ثم اتعدوا قرية من قرى المَوْصِل، وعلم خالد بأمرهم، فبعث إليهم الجيوش، إلا أنها لم تنجح في القضاء عليهم، ثم إنهم راموا قدوم الشام لقتل الخليفة هشام، فاعترضهم جيش بأرض الجزيرة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، انتهى بقتل بهلول الخارجي وجميع من معه.

ثمّ تجمّع طائفة منهم على بعض أمرائهم، فألحّ خالد بن عبد الله في ملاحقتهم حتى أباد خضراءهم، ولم يبق لهم باقية.

وخرج في السنة نفسها الصحاري بن شبيب بن يزيد[1]، بناحية جبل، وتبعه من الخوارج ثلاثون رجلاً، فأرسل إليهم خالد بن عبد الله القسري جنداً فقتلوه وأصحابه.

المبحث السابع
أمر الخوارج في أواخر العهد الأموي

انحسر نشاط الخوارج في هذه الفترة، وبعد مقتل الوليد بن يزيد، أقرّ يزيد بن الوليد عامل خراسان نصر بن سيّار[2] عليها، فخرج رجلٌ يقال له: الكرماني[3]، واتبعه خلق كثير، وكان يسلّم على نصر بن سيّار ولا يجلس عنده ولا يأبه له، فتحيّر نصر بن سيّار وأمراؤه فيما يصنع به، فاتفق رأيهم بعد جهد على سجنه، فسجن قريباً

---

(١) الصحاري بن شبيب بن يزيد: الخارجي المشهور شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن الصلت ابن قيس، وكان أبوه من مهاجرة الكوفة، وولد شبيب يوم النحر، وأمه جهيزة، التي يضرب بها المثل، فيقال: «أحمق من جهيزة» وذلك أنها لما تحرك شبيب في بطنها قالت: «أحس في بطني شيئاً ينقر». وابنة الصحاري بن شبيب، وبه كان يكنى شبيب، خرج أيضاً أيام خالد بن عبد الله القسري. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣٢٧.

(٢) نصر بن سيّار: بن رافع من بني جندع بن ليث بن كنانة، وهم رهط عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، ولاه هشام بن عبد الملك خراسان فلم يزل والياً عليها عشر سنين حتى وقعت الفتنة فخرج يريد العراق، فمات في الطريق بناحية ساوة. ابن قتيبة: المعارف، ص٢٣١.

(٣) الكرماني: (٠٠٠ ـ ١٢٩هـ = ٠٠٠ ـ ٧٤٧م) جُدَيع بن علي الأزدي المعنيّ: شيخ خراسان وفارسها في عصره، وأحد الدهاة والرؤساء، ولد بكرمان، وإليها نسبته، خرج على نصر بن سيار والي خراسان، وغلب على مرو، فأرسل إليه نصر بن سيار جيشاً فقتله في الرحبة. الزركلي: الأعلام، ٢/ ١١٤.

من شهر، ثم أطلق سراحه، فاجتمع إليه ناس كثير، وجمّ غفير، وركبوا معه، فبعث إليهم نصر بن سيّار، فقاتلهم، فقتلهم، وقهرهم وكسرهم.

وبدأت الفتنة تظهر أكثر فأكثر في خراسان، لدرجة أن جماعات من أهل خراسان كانوا يستخِفُّون بنصر بن سيّار، متجاهلين أمره وحرمته، وألحُّوا عليه في أعطياتهم، وأسمعوه غليظ ما يكره وهو على المنبر، فتهدّدهم نصر بن سيّار وتوعّدهم.

وفي هذه الأجواء المفعمة برائحة الفتن، التي كانت تمزّق أوصال بني أمية، وتنذر بشرّ مستطير، بدأت الحركات المعادية تنشط وتنمو وتترعرع، وخاصة الدعوة العباسية التي كانت تنمو بشكل مطّرد.

أمر الخوارج زمن مروان بن محمد[(١)]:

عاود الخوارج ظهورهم في هذه الفترة، مستفيدين من الضعف الذي بدأ يتراءى في جسم الخلافة الأموية، فخرج سنة سبع وعشرين ومائة الضحاك بن قيس الشيباني؛ وكان سبب ذلك، أن الوليد حين قتل، خرج بالجزيرة حروري يقال له: سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحّاك، مغتنماً قتل الوليد، واشتغال مروان بالشام، فثار في جماعة من الخوارج بالعراق، فاجتمع عليه أربعة آلاف، لم تجتمع قبله لخارجي، فقصدتهم جيوش الخليفة، فاقتتلوا معهم، وكانوا في كرّ وفرّ، ثم مات سعيد بن بهدل في طاعون أصابه، واستخلف قبل موته على الخوارج، الضحاك بن قيس، فالتف أصحابه عليه، فظهر على جيش الخليفة في عدّة مواقع، وقتل خلقاً كثيراً، منهم عاصم بن عمر بن عبد العزيز[(٢)]، أخو أمير العراق، عبد الله بن عمر بن عبد العزيز.

---

(١) مروان بن محمد: (٧٢ ـ ١٣٢هـ = ٦٩٢ ـ ٧٥٠م) بن مروان بن الحكم الأموي، أبو عبد الملك، ويعرف بالجعدي وبالحمار: آخر ملوك بني أمية في الشام، ولد بالجزيرة وأبوه متوليها، له غزوات مشهورة، تولى الخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد، حيث خلع ولي عهده إبراهيم بن الوليد، ودعا لنفسه، إلا أن الضعف كان قد بدأ يتغلغل في الخلافة الأموية، وفي أيامه قويت شوكة الدعوة العباسية، ودارت بينه وبين أتباعها حروب طاحنة انتهت بقتله. الزركلي: الأعلام، ٧/٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) عاصم بن عمر بن عبد العزيز: بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، قتل في بعض حروب الضحاك بن قيس الخارجي سنة سبع وعشر ومائة، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٥/٢٧١.

ثم قصد الضحاك بطائفة من أصحابه مروان بن محمد، ومرّ في طريقه على الكوفة، فهزم أهلها، واستحوذ عليها، ثم سار في طلب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، نائب العراق، فالتقوا، وجرت بينهم حروب كثيرة، انتقل بعدها أمير العراق إلى واسط، فنزل بدار الحجاج بن يوسف، وكان مروان بن محمد قد كتب - بعد هلاك يزيد بن الوليد - إلى النضر بن سعيد الحرشي بولاية العراق، وعزل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، إلاّ أن ابن عمر لم يذعن لأوامر مروان، فأقبل النضر إلى الكوفة، وبقي ابن عمر بالحيرة، واقتتلا أربعة أشهر، وأمدّ مروان النضر بالجيوش، فلما سمع الضحاك باختلافهم أقبل نحوهم، وقصد العراق سنة سبع وعشرين ومائة، فأرسل ابن عمر إلى النضر، وأقنعه بالكفّ عن القتال، والاجتماع على قتال الضحاك، فتعاقدا على ذلك، واجتمعوا بالكوفة، وأقبل الضحاك فنزل بالنخيلة، ثم تعبُّوا للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، انهزم نتيجته أصحاب ابن عمر، فبدأوا يتسللون لِواذاً إلى واسط، فلما رأى ابن عمر ما آل إليه أمره، لحق بهم إلى واسط، واستولى الضحاك على الكوفة ودخلها، ثم سار إلى واسط وقاتل المحاصرين فيها ثلاثة أشهر، ثم احتال ابن عمر على الضحاك، وأقنعه بالكف عن حصاره، ويسير إلى الخليفة، فإن أظهره الله عليه تبعه بمن معه، فأجابه الضحاك إلى ذلك، وانصرف إلى الكوفة، ثم إلى الموصل فاستولى عليها.

وبلغ ذلك مروان وهو منشغل بحصار حمص وقتال أهلها، فكتب إلى ابنه عبد الله - وهو خليفته بالجزيرة - يأمره أن يسير إلى نصيبين[1] فيمن معه للوقوف في وجه الضحاك، فحاصره هذا الأخير في نصيبين، ثم إن مروان سار إلى الضحاك، فالتقوا بنواحي كفرتوثا[2] من أعمال ماردين، فحمل أصحاب مروان على الخوارج حملة واحدة فهزموهم، وقتلوا الضحاك، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة.

ولما قتل الضحاك، أجمع الخوارج أمرهم على رجل منهم يدعى الخيبري، فحمل على مروان في نحو من أربعمائة فارس من الشراة، فهزم مروان وهو في القلب، وخرج مروان من العسكر منهزماً، وثبتت الميمنة وعليها ابنه عبد الله،

---

(١) نصيبين: هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام. الحموي: معجم البلدان، ٥/٢٨٨.

(٢) كفرتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة، بينها وبين دارا خمسة فراسخ، المرجع نفسه.

والميسرة وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي(١)، فلما رأوا قلّة من مع الخيبري، حملوا عليه، فقتلوه وأصحابه، وانصرف عسكر الخيبري، فولُّوا عليهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري(٢)، فأشار عليه سليمان بن هشام أن يعتصم بالموصل، فسار إليها بمن معه، وتحصّن فيها، وسار إليه مروان بنفسه وقاتله سنة كاملة، لكنه لم ينجح في وضع حدّ للخوارج.

ثم كتب مروان إلى نائبه بالعراق يزيد بن عمر بن هبيرة(٣)، يأمره بقتال الخوارج الذين في بلاده، فجرت له معهم وقعات عديدة، فظفر بهم ابن هبيرة، وأباد خضراءهم، ولم يبقَ لهم بقية بالعراق، واستنقذ الكوفة من أيدي الخوارج.

وكتب مروان إلى ابن هبيرة لما فرغ من الخوارج، أن يمدّه بجيش، وكان لا يزال يحاصر شيبان الخارجي وأصحابه بالموصل، فبعث إليه عامر بن ضبارة(٤) ـ وكان من الشجعان ـ في سبعة آلاف، أو ثمانية آلاف، فاعترضه الخوارج في الطريق، فهزمهم ابن ضبَارة، وقتل أميرهم الجَون بن كلاب الشيباني الخارجي، وأقبل نحو الموصل، ورجع فلّ الخوارج إليهم، فأشار سليمان بن هشام عليهم أن يرتحلوا عن الموصل، لاستحالة الإقامة بها، وقد أصبحوا بين فكّي كماشة، فمروان من

---

(١) إسحاق بن مسلم العقيلي: كان قائداً من قواد مروان بن محمد، وولي أرمينية، وشهد مع مروان حربه بعين الجرّ مع سليمان بن هشام، ودخل معه دمشق، وكان إسحاق مع مروان حين توجه إلى دمشق لطلب الخلافة، وبقي إلى خلافة بني العباس، وكان أثيراً عند أبي جعفر، مات إسحاق بن مسلم ببثرة خرجت في ظهره، فحضر المنصور جنازته، وحمل سريره حتى وضعه، وصلى عليه، وجلس عند قبره. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٨/ ٢٨٠.

(٢) شيبان بن عبد العزيز اليشكري: (٠٠٠ ـ ١٣٤هـ = ٠٠٠ ـ ٧٥١م) من أمراء الحرورية، وقادتهم وشجعانهم، قتل في عمان. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٨٠.

(٣) يزيد بن عمر بن هبيرة: (٨٧ ـ ١٣٢هـ = ٧٠٦ ـ ٧٥٠م) أبو خالد: أمير قائد، من ولاة الدولة الأموية، أصله من الشام، ولي قنسرين للوليد بن يزيد، ثم جمعت له ولاية البصرة والكوفة سنة ١٢٨هـ في أيام مروان بن محمد، قاتل أتباع الدعوة العباسية مدة، ثم رحل إلى واسط وتحصن بها، فوجه السفاح أخاه المنصور لحربه، فقاتله حتى أعياه، فكتب إليه بالأمان والصلح، وأمضى السفاح الكتاب، فرحل ابن هبيرة وأطاع، إلا أن السفاح غدر به، وبعث إليه من قتله، الزركلي: الأعلام، ٨/ ١٨٥.

(٤) عامر بن ضبارة: هو من بني مرّة، وكان سيداً شريفاً، وبعثه يزيد بن عمر بن هبيرة إلى فارس ليقاتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، فهزم عبد الله بن معاوية، ولم يزل مع مروان على جيوشه ومن عدده. ابن قتيبة: المعارف، ص٢٣٦.

أمامهم، وابن ضُبَارة من خلفهم، قد قطع عنهم خطوط الإمداد، فارتحلوا عنها، وساروا إلى الأهواز، فأرسل مروان ابن ضبَارة في آثارهم في ثلاثة آلاف، فاتبعهم يقتل من تخلّف منهم، حتى فرّق شملهم شذر مذر، وهلك أميرهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري بالأهواز.

وركب سليمان بن هشام في مواليه وأهل بيته إلى السند عن طريق البحر، ورجع مروان من الموصل فأقام بمنزله بحرّان، وقد وجد سروراً بزوال الخوارج، ولكن لم يتمّ سروره، بل أعقبه القدر من هو أقوى شوكة من الخوارج، وأعظم أتباعاً، وأشدّ بأساً من الخوارج، وهو ظهور (أبو مسلم الخراساني)(١) داعية بني العباس.

ثم خرج رجل يدعى أبو حمزة الخارجي، سنة تسع وعشرين ومائة، وسار إلى الحج مع أصحابه، وأظهر المخالفة لمروان بن محمد، وتبرّأ منه، فراسله عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك(٢)، وهو يومئذ أمير مكة والمدينة والطائف، وأبرم معه هدنة إلى يوم النّفر، فلما كان يوم النّفر الأول، تعجّل عبد الواحد وترك مكة، فدخلها أبو حمزة الخارجي بغير قتال، ولما رجع عبد الواحد إلى المدينة، شرع في تجهيز السرايا لقتال أبي حمزة الخارجي، وحدثت المواجهة، إلا أن أهل المدينة انهزموا أمامه بقديد، ودخل المدينة في الثالث عشر من شهر صفر سنة ثلاثين ومائة، وفرّ عبد الواحد من المدينة إلى الشام، وأقام أبو حمزة في المدينة إلى أن بعث إليه

---

(١) أبو مسلم الخراساني: (١٠٠ ـ ١٣٧هـ = ٧١٨ ـ ٧٥٥م) عبد الرحمٰن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة، ولد في ماه البصرة مما يلي البصرة، كان فصيحاً بالعربية والفارسية، مقداماً، داهية، حازماً، مات وليس له دار ولا عقار، ولا عبد ولا أمة ولا دينار. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٣٢٧. وقال ابن قتيبة: اختلفوا في نسبه اختلافاً كثيراً، فقال بعضهم: هو من أصبهان، وقال بعضهم: من خراسان، وقيل: من العرب... ونسبه أبو دلامة إلى الأكراد. قتله أبو جعفر برومية سنة سبع وثلاثين ومائة. المعارف، ص٢٣٨.

(٢) عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك: (٠٠٠ ـ ١٣٢هـ = ٠٠٠ ـ ٧٥٠م) بن مروان: أمير مرواني أموي، ولي إمرة مكة والمدينة سنة ١٢٩هـ لمروان بن محمد، وله خبر مع الحرورية في فتنة المختار بن عوف (أبي حمزة) بمكة، وفرّ منهم عبد الواحد إلى المدينة، ومضى يخبط كالبعير الشارد، ولما ظفر العباسيون بالأمويين، كان عبد الواحد من جملة من قتلهم صالح بن علي العباسي. الزركلي: الأعلام، ٤/ ١٧٥، ١٧٦.

مروان عبد الملك بن محمد بن عطية[١] في خيل أهل الشام، فلقي الخوارج بوادي القرى، فهزمهم وقتل أبا حمزة، ففرّ أصحابه إلى المدينة، فلقيهم أهلها وقتلوهم، وسار ابن عطية إلى المدينة.

وخرج سنة ثلاثين ومائة في خراسان، شيبان بن سلمة الخارجي[٢]، فلما استقامت الأمور لأبي مسلم الخراساني، أرسل إلى شيبان يدعوه إلى بيعته، فأبى عليه شيبان، ودعاه إلى بيعته هو، فأرسل إليه أبو مسلم جيشاً ألحق به الهزيمة، وقتل شيبان ومن معه[٣].

---

(١) عبد الملك بن محمد بن عطية: بن عروة السعدي، من أهل دمشق، ولي اليمن والحجاز لمروان بن محمد، له ذكر. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣٧/ ١٠٠ ـ ١٠٣.

(٢) شيبان بن سلمة الخارجي: (٠٠٠ ـ ١٣٠هـ = ٧٤٨م) أحد الشجعان القادة، من الحرورية، وإلى شيبان هذا تنسب الشيبانية، وهي فرقة من النواصب (المتدينون ببغض علي)، وهو أول من أظهر القول بالتشبيه، كان له وقائع مع نصر بن سيار والي خراسان من قبل مروان بن محمد، الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٨٠.

(٣) الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٧ و٣٠٠ و٣١٢ و٣٢٤، ابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٢٩٥ و٢٩٩ و٣٠٦ و٣١٥. وابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/ ٢٩، ٣٠ و٣٤.

الفصل الثالث

عقائد الخوارج العامة

الفصل الثالث
عقائد الخوارج العامة

ذكر علماء الفرق أن الخوارج قد افترقوا إلى عشرين فرقة[(١)]، ثمّ افترقوا إلى فرق كثيرة زادت على خمسين فرقة، ورغم افتراقهم على هذا النحو، إلا أنهم اتفقوا على مجموعة من العقائد والآراء والأفكار، التي تشكّل نقطة التقاء، ومحوراً تلتقي عنده كل الفرق الخارجية.

وهذه الآراء بمجملها تدل على تطرّفهم وانحرافهم عن نهج الإسلام، وفيها دلالة واضحة على سذاجة عقولهم، ونظرتهم السطحية، وتطرفهم، وشدة نقمتهم على قريش وكل القبائل المضريّة.

وسوف نتحدث في هذا الفصل عن عقائد الخوارج بشكل عام، ثم نبسط القول في الفصل الذي يليه في فرق الخوارج وعقائدهم كلاً على حدة.

عقائد الخوارج العامة:

ذكر الكعبي[(٢)] في مقالاته أن الذي يجمع الخوارج - على افتراق مذاهبها - إكفار عليّ، وعثمان، والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين، والإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر.

---

(١) كذا في الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٤ و٧٢)، والخطط للمقريزي (٣/ ٤١٥)، أما الإسفرائيني فقد ذكر في التبصير (ص٤١) أنهم افترقوا إلى أكثر من عشرين فرقة. بينما يجعلها الملطي في التنبيه (ص١٧٨) خمساً وعشرين فرقة، أما الآيجي في شرح المواقف (٨/ ٤٢٤) فيجعلها سبع فرق.

(٢) الكعبي: (٢٧٣ - ٣١٩هـ = ٨٨٦ - ٩٣١م) عبد الله بن أحمد بن محمود، من بني كعب، البلخي الخراساني، أبو القاسم: أحد أئمة المعتزلة، كان رأس طائفة منهم تسمّى «الكعبية»، وله آراء ومقالات في الكلام انفرد بها، وهو من أهل بلخ، أقام ببغداد مدة طويلة، وتوفي ببلخ. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٦٥.

وقال أبو الحسن الأشعري[١]: الذي يجمعها إكفار علي، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وصوّب الحكمين أو أحدهما، والخروج على السلطان الجائر.

ولم يرض ما حكاه الكعبي من إجماع الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب، وبيّن خطأه في هذا الصدد، وذلك أن النجدات من الخوارج لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم.

وقد قال قوم من الخوارج: إن التكفير إنما يكون بالذنوب التي ليس فيها وعيد مخصوص، فأما الذي فيه حدّ أو وعيد في القرآن فلا يُراد صاحبه على الاسم الذي ورد فيه، مثل تسميته زانياً، وسارقاً، ونحو ذلك.

وقد قالت النجدات: إن صاحب الكبيرة من موافقيهم كافر نعمة، وليس فيه كفر دين[٢].

قولهم في الخلافة:

لقد أدلى الخوارج بدلائهم في معين الخلافة، فقالوا إن الخليفة لا يكون إلا بانتخاب حرّ صريح، يقوم به عامة المسلمين، لا فريق منهم، ويستمر خليفة ما دام قائماً بالعدل مقيماً للشرع، مبتعداً عن الخطأ والزيغ، فإن حاد وجب عزله أو قتله.

وثاني هذه الآراء أن بيتاً من بيوت العرب لا يختص بأن يكون الخليفة منه، فليست الخلافة في قريش كما يقول غيرهم، وليست لعربي دون أعجميّ، والجميع فيها سواء، بل يفضلون أن يكون الخليفة غير قرشي ليسهل عزله أو قتله إن خالف الشرع وحاد عن الحق، إذ لا تكون له عصبية تحميه، ولا عشيرة تؤويه، وعلى هذا

(١) الأشعري: (٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ = ٨٧٤ ـ ٩٣٦م) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبو موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من أئمة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدّم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم. توفي ببغداد. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٢٦٣.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٧٣، قلت: وكذلك لم يقع الإجماع من فرق الخوارج على تكفير علي والحكمين رضي الله عنهم، حيث قالت الإباضية أنه كفر نعمة وليس كفر شرك. انظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٦٧، ١٦٨، و٢/ ١٤١ و٢٠٤.

الأساس اختاروا منهم عبد الله بن وهب الراسبي، وأمّروه عليهم وسمُّوه أمير المؤمنين، وليس بقرشي[١].

ويرى الدكتور نايف معروف أن هذه المسألة كانت محور اهتمامهم لحقبة طويلة، وأنها كانت سبباً رئيساً ومباشراً لجميع تحركاتهم طوال العصر الأموي[٢].

ولما كان مطلبهم في أمر الخلافة أقرب إلى الخيال منه إلى واقع الحياة الإنسانية، فقد فشلوا فشلاً ذريعاً في ممارسة هذا النظام أو في إقناع المسلمين الآخرين بصواب رأيهم فيه. ثم انعكس هذا الفشل على جماعة الخوارج أنفسهم، فتفرّقوا شيعاً تكفّر بعضها بعضاً ظناً منهم بخروج هؤلاء الناس أو أولئك القوم عن أحكام القرآن وشروط الإمامة.

والمتتبع لأخبار الخوارج ـ في أول أمرهم ـ لا يجد لهم نظرية صريحة خاصة بهم بشأن الإمامة، فلم يقدّموا حججاً كافية تبرّر خروجهم على عليّ، وإنما استغلُّوا شعاراً قرآنياً مؤثراً في نفوس المسلمين، فقالوا: «لا حكم إلا لله، وما كان علي ليخدع بمثل هذا القول الذي أرادوه ستاراً يخفي مآربهم السياسية، فأجاب على ندائهم هذا: «كلمة حق يراد بها باطل»، وأضاف قائلاً: «نعم، إنه لا حكم إلا لله»، ثم كشف موقفهم من الإمامة حينذاك، فإذا هم لا يريدون إماماً للناس، وعلي يقول: «لا بدّ للناس من إمام، برّ كان أو فاجر»[٣].

ولكن سرعان ما أدركت الخوارج أن كل دعوة لا تستهدف الوصول إلى قيادة الأمة لا تستطيع الاستمرار والحياة، فقال أحد قادتهم يحثهم على اختيار أمير لهم: «فولُّوا رجلاً منكم، فإنكم لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون إليها»[٤]، وسرعان ما استجابوا لهذه الدعوة، واختاروا خليفتهم الأول عبد الله بن وهب الراسبي، واعتبروه الإمام الشرعي والأمير المنتخب، وإنه رأس الدولة الإسلامية الذي يستحق الطاعة والولاء[٥]. وهذا الاختيار السريع يشير إلى إدراكهم لخطورة

(١) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٦٥.
(٢) نايف معروف: الخوارج، ص٢١٤.
(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٧، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ٢٣٢.
(٤) ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٧٠.
(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١/٢٠٨.

منصب الإمامة، والسعي للوصول إليه واجتياز كل عقبة تقف حائلاً دون ذلك. وهكذا درجوا على اختيار أئمتهم، فكانوا كلما هلك منهم أمير بادروا إلى انتخاب بديل عنه[١].

ورغم إقرار عامة الخوارج بوجوب تنصيب الإمام، إلا أنهم يرون أن المسلم الذي تجتمع فيه صفات العلم والزهد يستحق الخلافة ولو كان نبطياً[٢]، وأنكروا إمامة الجائر[٣]، لذلك أنكروا أولوية قريش، وأكدوا على ميزان الفضيلة والتقوى، وتقديم أشد الناس اضطلاعاً بحمل مسؤوليات هذا المنصب الخطير في العلم والحرب، فقد قال معاذ بن جوين الطائي في هذا الشأن: «إنما ينبغي أن يلي على المسلمين إذا كانوا سواء في الفضل أبصرهم بالحرب، وأفقههم في الدين، وأشدّهم اضطلاعاً بما حُمّل»[٤].

وهكذا فإن الخوارج لا يرون تقديم قريش لقوّتها وكثرتها، فالكثرة عندهم تقلّ بظلمها، والقلة تكثر بحقها، كما أن قرابتهم من الرسول لا تعطيهم مثل هذا الامتياز، فقد كان أبو لهب منهم أيضاً، ومع ذلك فهم يقرُّون بإمامة أبي بكر وعمر وبالسنوات الست الأوائل من عهد خلافة عثمان، كما يعترفون بإمامة علي قبل التحكيم، أما الأمويون فهم ـ في نظرهم ـ مغتصبون للخلافة وأعداء للدين[٥].

وفق آرائهم في الإمامة أنهم قد يقدّمون الشجاعة على العلم، فإن أمير الصفرية صالح بن المسرّح رشح شبيب الشيباني لشجاعته فيهم، على أن يفقهه في الدين من هو أعلم منه من أصحابه[٦].

وهؤلاء الأزارقة يبايعون قطري بن الفجاءة ويسمُّونه أمير الموت[٧].

(١) معروف: الخوارج، ص٢١٥.
(٢) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص٩٦.
(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٤.
(٤) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٧٥، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٧.
(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ٢/ ١٢٢ ـ ١٢٤. والقلقشندي: صحيح الأعشى، ١٣/ ٢٢٦.
(٦) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٩.
(٧) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٠.

وممّا يجمع كافة الفرق الخارجية أيضاً تجويزهم الخروج على الإمام الجائر[١]، من هنا فإنهم لا يتهاونون مع إمامهم إذا انحرف عن خطّ سيرهم، ويكونون على أتم الاستعداد لعزله واستبداله بإمام آخر، حالما يشعرون بأنه قد أخلّ بالتزاماته، وغيّر السيرة وجار وجب أن يعزل أو يقتل[٢]، وقد كان هذا التطرّف في السلوك مع أئمتهم عاملاً خطيراً من عوامل انقسامهم وتفرّقهم شيعاً وأحزاباً، إذ كانوا ـ لأدنى الأسباب وأقل الشبهات ـ ينحّون أميراً وينصّبون آخر، لذلك لم نشهد تنازعاً في سبيل الإمارة ـ إلا نادراً ـ بين قادتهم، بل كانوا يقدّمونها تقدمة لهذا أو لذاك، ولعلّ مسؤولياتها الجسام وحساسية العمل مع هؤلاء القوم، جعل زعماءهم يتجنبون الاندفاع نحو هذا المنصب الخطير.

وقد جوّزتِ الخوارج في مطلع أمرها وجود إمامين لها في آن واحد، أحدهما للصلاة وآخر للحرب، ولكن يبدو أن ذلك كان قبل أن يجمعوا على عبد الله بن وهب الراسبي[٣].

ويرى فان فلوتن (Van Vloten) أن حزب الخوارج هم الجمهوريون، إذ كانوا يقولون باختيار الخلفاء الأكفاء لهذا المنصب، دون مراعاة للطبقة التي ينتمون إليها، وأنهم كانوا يرون عزل أميرهم بمجرّد فقدانه الأغلبية منهم[٤].

وتابعه على رأيه الدكتور محمود إسماعيل، وذهب بعيداً في وصفه للخوارج، فقال ما نصّه: «وقد شكل الخوارج أحد أحزاب المعارضة في الإسلام، وكان فكرهم السياسي معبراً عن قطاع عريض من الجماهير الساخطة على الخلافة، ورأيهم في الخلافة يجعلهم بحق «جمهوريّو الإسلام» فبيما قصر أهل السنة حق الإمامة على قريش، وجعلها الشيعة حكراً على آل البيت وحدهم، نادى الخوارج بأنها حق متاح لكل مسلم دون نظر إلى أصله أو عصبيته[٥]، لذلك فقد عبّر الخوارج من الناحية

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٤١، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٤.
(٢) الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٤، وابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٠٣ و٤٠٧.
(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/ ٣٩٠. ولمزيد من التفصيل، انظر: الخوارج للدكتور نايف معروف، ص٢١٤ ـ ٢١٧.
(٤) نايف معروف: الخوارج، ص٢١٧، نقلاً عن السيادة العربية ص٦٩ لفان فلوتن.
(٥) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٦.

السياسية عن اتجاه الجناح الديمقراطي بين الأحزاب الإسلامية الأخرى، ونظراً لتمسكهم الشديد بأهداب الدين، والتزامهم بالقرآن والسنة دون تأويل أو تحريف، ودعوتهم الصارمة لاتباع نهج السلف الصالح ممثلاً في سياسة الرسول والشيخين، كانوا «كلافتة الإسلام» أو «بيوريتان الإسلام» على حدّ تعبير دوزي(١)، وفي قولهم «بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وحضهم على «الثورة على أئمة الجور» مما يجعلهم جديرين بلقب «ثوريو الإسلام» كما يمثلون في نظر بعض الدارسين «بولشفيك الإسلام» لتطرفهم الشديد في استحلال دماء مخالفيهم في المذهب وقولهم «بالاستعراض» وحكم على مرتكب الكبيرة بالكفر، وآراؤهم في العدالة والمساواة تنم عن اتجاه اشتراكي إسلامي أصيل، لذلك كله نعت ميور مذهب الخوارج بأنه «مذهب ثوري ديمقراطي اشتراكي»(٢).

كما جعلهم آخرون يمثلون المبادىء الديمقراطية المتطرفة(٣).

وهذا الكلام بمجمله يجافي الحق والصواب، وفيه كثير من الغلوّ والتجديف، وفي تقديري أن إسقاط المفاهيم السياسية المعاصرة على الخوارج، يمثل محاولة للاصطياد في الماء العكر، وخاصة أن هذه الآراء هي من اختراع المستشرقين الذين يرمون إلى تشويه الإسلام وعقيدته وتاريخه، وهم يصورون الخلافة الإسلامية على هذا النحو السيىء، ثم تجد هذه الشبهات من المحسوبين - زوراً وبهتاناً - على هذه الأمة من يلتقطها، ثم يجترها بعجرها وبجرها، دون إدراك لخطورتها، ومجافاتها للحق والصواب. من هنا فقد استبعد الدكتور نايف معروف إطلاق مثل هذه المفاهيم على الخوارج، فقال ما نصه: «ولكن على ضوء ما عرفناه من مبادىء الخوارج السياسية وقولهم في الإمامة، لا نستطيع القول بأنهم كانوا جمهوريين أو ديمقراطيين متطرفين. فقول الخوارج بالشورى لم يكن من اجتهاداتهم، فهو حكم قرآني في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وكان هذا الحكم أساساً لانتخاب الخلفاء قبل ظهور الخوارج، ثم حين حاولوا نزع الخلافة من قريش لم تلتف حولهم أكثرية

---

(١) محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام، ص١٦، نقلاً عن Spanish Islam P.130.

(٢) المرجع نفسه، ص١٦، ١٧، نقلاً عن The Caliphate. P. 407.

(٣) نايف معروف: الخوارج، ص٢١٧، نقلاً عن تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن، ١/٣٨٨.

المسلمين، بل كانت الأغلبية الساحقة من الأمة الإسلامية ترى تأمير قريش، لكونهم أقدر على سياستها، ويرضى بها أكثر العرب والعجم. وهذا ما شاهدناه حتى بعد سقوط الحكم الأموي، فإنه على الرغم من دور الأعاجم المباشر في إسقاط دولة بني أمية، فإنهم لم يتقدّموا على قريش، بل قدّموا الأسرة العباسية القرشية عليهم ولم ينازعوها الإمامة، رغم ما كان لهم من النفوذ والسلطان في مختلف أجهزة الدولة».

وأضاف قائلاً: «وبذلك فقد كانت الخوارج قلة تحاول سيطرتها على الكثرة الكاثرة من المسلمين، ولو كانوا يمارسون الديمقراطية ويحتكمون إليها فيما بينهم ويخضعون لرأي الأغلبية فيهم، لما كفّر بعضهم بعضاً وتفرقوا شيعاً منذ بواكير عهدهم.

ولعل من المفيد الإشارة ها هنا إلى أنه ليس من الموضوعية بمكان أن نربط بين مبادىء الخوارج السياسية والمبادىء الديمقراطية والجمهورية؛ لأن الأسس العقديّة تختلف في جوهرها. فالأكثرية في النظام الديمقراطي هي التي تتولى الحكم، وهي - بدورها - التي تضع الدستور وتشرّع القوانين، بينما دور الأكثرية في الإسلام الذي تعتنقه الخوارج يقتصر على تولية السلطان زمام الأمة، وتكون السيادة للشريعة الإسلامية التي تعتمد رافدين أساسيين، هما القرآن الكريم والسنة النبوية، لهذا، فإن الإمام ليست لديه سلطة تشريعية إلا في مجال التفسير أو الاجتهاد عند غياب النص، وهو ملزم بتطبيق أحكام هذه الشريعة سواء رضيت بها أكثرية الناس أم خالفوها»[1].

ومن غريب آرائهم في الإمامة، ما ذهبت إليه «النجدات» - إحدى أكبر الفرق عند الخوارج - أنه لا حاجة لإمام إذا مكن الناس أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن التناصف لا يتم إلا بإمام يحملهم على الحقّ جاز، فإقامة الإمامة في نظرهم ليست واجبة بإيجاب الشرع بل جائزة، وإذا وجبت فإنما تجب بحكم المصلحة والحاجة[2].

ومن الأمور التي اتفق عليها الخوارج، تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين، وكل من رضي بالحكمين، فهؤلاء كلهم كفروا في نظر الخوارج[3].

---

(١) معروف: الخوارج، ص٢١٧، ٢١٨.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٤، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٥، باختصار، والمسعودي: مروج الذهب، ٣/٢٣٦.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٤١.

وقد استهوتهم فكرة البراءة من سيدنا عثمان والإمام علي، والحكام الظالمين من بني أمية، حتى اختلّت أفهامهم واستولت على مداركهم استيلاءً تاماً، وسدّت عليهم كلّ طريق للوصول إلى الحق، أو ينفذون منه إلى معاني الكلمات التي يردّدونها، بل إلى معاني حقائق الدين في ذاتها، فمن تبرّأ من عثمان وعلي وطلحة والزبير، والحكام الظالمين من بني أمية، سلكوه في جمعهم، وأضافوا اسمه إلى أسمائهم، وتسامحوا معه في مبادىء أخرى من مبادئهم.

ولقد ناقشهم الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز، وكان من الخلاف بينه وبينهم أنه لم يعلن البراءة من أهل بيته الظالمين مع إقرارهم أنه خالف من سبقه من بني أمية ومنع استمرار ظلمهم بل ردّ المظالم التي ارتكبوها إلى أهلها، ولكن استولت عليهم فكرة النطق بالتبرُّؤ، فكانت هي الحائل بينهم وبين الدخول في طاعته والسير في لواء الجماعة الإسلامية.

وإنهم ليشبهون ـ في استحواذ الألفاظ البراقة على عقولهم ومداركهم ـ اليعقوبيين، الذين ارتكبوا أقسى الفظائع في الثورة الفرنسية، فقد استولت على هؤلاء ألفاظ الحرية والإخاء والمساواة، وباسمها قتلوا الناس، وأهرقوا الدماء، وأولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان ولا حكم إلا لله، والتبرُّؤ من الظالمين، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وشنُّوا الغارة في كل مكان[١].

قولهم في المخالفين:

من عجيب أمرهم أنهم كانوا يظهرون تشدُّداً لا نظير له مع المسلمين من مخالفيهم، ويستبيحون دماءهم، بينما كانوا يتسامحون مع الكفار وغيرهم من أعداء الدين؛ فبينما نراهم يقتلون عبد الله بن خباب بن الأرت وأهل بيته بلا هوادة، يستوصون بنصراني، ويبالغون في إكرامه، ثم يرفضون أن يأخذوا من نصراني آخر نخلة إلا بثمنها، فأدهشه صنيعهم هذا، فكانوا كما نعتهم النبيّ ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان**»[٢].

---

(١) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٦١.

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء برقم (٣٣٤٤) وفي المغازي برقم (٤٣٥١) وفي التوحيد برقم (٧٤٣٢)، ومسلم في الزكاة برقم (١٠٦٤) وأبو داود في السنة برقم (٤٧٦٤)، والنسائي في الزكاة، ٧/ ١١٨، وأحمد في المسند، ٣/ ٤ و٥ و٧٢ و٧٣، والترمذي ببعضه وقال: حديث حسن صحيح، وابن كثير في البداية والنهاية، ٥/ ١٠٦ و٧/ ٣٠٠، وأخرج ابن أبي عاصم في السنة نحوه عن علي كما في المنتخب ٥/ ٤٣٢.

وممّا يروى في هذا الصدد، أن واصل بن عطاء[١] زعيم المعتزلة، كان يسير في رفقة من أصحابه، فأحسُّوا الحرورية فذعروا، فقال واصل لأصحابه: لا تكلموهم ودعوني وإياهم، ثم سأله الخوارج: ما أنت وما أصحابك؟ قال: مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله. قال الخوارج: قد أجرناكم. قال واصل: فعلمونا. فجعلوا يعلمونهم أحكامهم وجعل واصل يقول: قد قبلنا، فمرّ الخوارج منهم وقالوا لهم: امضوا مصاحبين ما عليكم من بأس! قال واصل: ليس ذلك لكم، فإن الله يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، فنظر الخوارج بعضهم لبعض وقالوا: هذا حق، وأرسلوا منهم من أبلغهم مأمنهم[٢].

قولهم في مرتكب الكبيرة:

ويرى الخوارج تكفير أهل الذنوب، حيث يزعمون أن كلّ من أذنب ذنباً من أمة محمد ﷺ فهو كافر، ويكون في النار خالداً مخلّداً، إلا النجدات فإنهم قالوا: إن الفاسق كافر على معنى أنه كافر نعمة ربه، فيكون إطلاق هذه التسمية عند هؤلاء منهم على معنى الكفران لا على معنى الكفر[٣].

ولم يفرّق الخوارج بين ذنب وذنب، بل اعتبروا الخطأ في الرأي ذنباً، إذا أدّى إلى مخالفة وجه الصواب في نظرهم، ولذا كفّروا علياً رضي الله عنه بالتحكيم، مع أنه لم يقدم عليه مختاراً، ولو سلم أنه اختاره فالأمر لا يعدو أنه اجتهاد قد أخطأ فيه، إن كان التحكيم جانَبَ الصواب، فلجاجتهم في تكفيره رضي الله عنه دليل على أنهم يرون الخطأ في الاجتهاد يخرج من الدين، كذلك كان شأن طلحة والزبير رضي الله عنهما وغيرهما من علية الصحابة الذين خالفوهم في جزئية من جزئيات كانت نتيجة لاجتهادهم.

---

(١) واصل بن عطاء: (٨٠ ـ ١٣١هـ = ٧٠٠ ـ ٧٤٨م) الغزّال، أبو حذيفة: رأس المعتزلة، ومن أئمة البلغاء والمتكلمين، ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً، فتجنب الراء في خطابه، وضرب به المثل في ذلك. الزركلي: الأعلام، ٨/١٠٨، ١٠٩.

(٢) المبرد: الكامل، ٣/١٠٧٨، ١٠٧٩.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٤١.

وإن هذا المبدأ هو الذي جعلهم يخرجون على جماهير المسلمين، ويعتبرون مخالفيهم مشركين، وأقضُّوا مضجع الحكام بسببه[١].

والكفر لا محالة لازم لهم لتكفيرهم أصحاب رسول الله ﷺ[٢].

واستدل الخوارج الحمقى في تكفيرهم لعليّ رضي الله عنه والحكمين بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المَائدة: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحُجرَات: ٩]، قالوا: فأمر الله عزّ وجل وحكم بقتال أهل البغي، وترك علي قتالهم لما حكّم، وكان تاركاً لحكم الله سبحانه، مستوجباً للكفر؛ لقول الله عزّ وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المَائدة: ٤٤].

واختلفت الخوارج في كُفْرِ عليّ والحكمين: فمنهم من قال: هو كفرُ شرك، وهم الأزارقة، ومنهم من قال: هو كفر نعمة وليس بكفر شرك، وهم الإباضية[٣].

ويبدو بوضوح من خلال الأدلة التي استدلّ بها هؤلاء الحمقى أنهم يلوون أعناق النصوص، إذ لا دلالة لما استدلوا به من آيات على صحة دعواهم، وقد حكَّم الله تبارك وتعالى الناس في أكثر من موضع في كتابه العزيز، قال تعالى في جزاء الصيد: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المَائدة: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾ [النّساء: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النّساء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشّورى: ١٠]، وقال تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النّساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النّساء: ٨٣].

فهذا محكم القرآن قد جعل أحكاماً كثيرة إلى العلماء، وإلى الأمراء من الناس ينظرون فيه مما لم ينزل بيانه من عند الله[٤].

---

(١) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/٦٦.

(٢) الإسفرائيني: التبصير، ص٤١.

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ٢/١٤١.

(٤) الملطي: التنبيه، ص٤٧، ٤٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]:

وهم أوّل من كفّر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلُّوا دماء أهل القبلة بذلك، فكانوا كما نعتهم النبي ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان**»[2].

وكفّروا علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفّان، ومن والاهما، وقتلوا علي بن أبي طالب مستحلّين لقتله، قتله عبد الله بن ملجم المرادي منهم، وكان هو وغيره من الخوارج مجتهدين في العبادة، لكن كانوا جهالاً فارقوا السنة والجماعة، فقال هؤلاء: ما الناس إلا مؤمن أو كافر، والمؤمن من فعل جميع الواجبات، وترك جميع المحرمات، فمن لم يكن كذلك فهو كافر مخلّد في النار، ثم جعلوا من خالف قولهم كذلك، فقالوا: إن عثمان وعلياً ونحوهما حكموا بغير ما أنزل الله، وظلموا فصاروا كفاراً[3].

ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة، فإن الله سبحانه أمر بقطع يد السارق دون قتله، ولو كان كافراً مرتداً لوجب قتله؛ لأن النبيّ ﷺ قال: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»[4].

---

(١) ابن تيمية: (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ = ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين: الإمام شيخ الإسلام، ولد في حرّان وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدّة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ فأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. الزركلي: الأعلام، ١/ ١٤٤.

(٢) ابن تيمية: الإيمان الأوسط، ص٢٠.

(٣) رواه البخاري، ٦/ ٣٧٦ رقمه (٣٣٤٤) في الأنبياء (٤٣٥١)، في المغازي (٧٤٣٢) في التوحيد: ومسلم (١٠٦٤) في الزكاة، أبو داود في السنة برقم (٤٧٦٤)، النسائي في الزكاة (١١٨/٧) ٥/ ٨٧، أحمد ٣/ ٤ و٥/ ٦٨ و٧٢ و٧٣.

(٤) البخاري ٦/ ١٤٩ برقم (٣٠١٧)، في الجهاد والسير، وأبو داود في الحدود برقم (٤٣٥١)، والترمذي في الحدود برقم (١٤٥٨)، والنسائي في تحريم الدم (٧/ ١٠٤)، وابن ماجة في الحدود برقم (٢٥٣٥)، وأحمد في المسند ١/ ٢١٧ و٢٨٢ و٢٨٣، والحاكم في المستدرك، ٣/ ٥٣٨.

وقال: «**لا يحلّ دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، وزنا بعد إحصان، أو قَتْل نفسٍ بغيرِ نفس**»[١].

وأمر سبحانه بأن يجلد الزاني والزانية مائة جلدة، ولو كانا كافرين لأمر بقتلهما، وأمر سبحانه بأن يجلد قاذف المحصنة ثمانين جلدة، ولو كان كافراً لأمر بقتله، وكان النبي ﷺ يجلد شارب الخمر ولم يقتله، بل قد ثبت عنه ﷺ في صحيح البخاري وغيره: أن رجلاً كان يشرب الخمر ولم يقتله، وكان اسمه عبد الله حماراً، وكان يضحك النبي ﷺ، وكان كلما أتي به إليه جلده، فأتي به إليه مرة فلعنه رجل، فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله**»[٢]، فنهى عن لعنه بعينه، وشهد له بحب الله ورسوله مع أنه قد لعن شارب الخمر عموماً[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود في الديات برقم (٤٥٠٢)، والترمذي في الفتن برقم (٢١٥٨)، والنسائي في تحريم الدم ٧/ ٩٢، وابن ماجة في أول الحدود برقم (٢٥٣٣)، وأحمد في المسند، ١/ ٦١ و٦٢ و٦٥ و٧٠، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٥٠، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري ١٢/ ٧٥ برقم (٦٧٨) في الحدود.

(٣) ابن تيمية: الإيمان الأوسط، ص٢٧، ٢٨.

الفصل الرابع

فرق الخوارج وعقائدهم

الفصل الرابع
فرق الخوارج وعقائدهم

أدّى ظهور الاختلاف في صفوف الخوارج منذ وقت مبكر إلى وقوع الفرقة بينهم، فصاروا فرقاً متناحرة، ومذاهب متباينة، جاوزت العشرين فرقة(١)، وهذا يمثّل مظهراً من أهم المظاهر التي تميّز الخوارج، ظهر جلياً منذ عهودهم المبكرة، فقد رأيناهم ـ في أول أمرهم ـ يخرجون على عليّ، ثم يدعوهم فيعود أكثرهم إليه، ويعيث هؤلاء الفساد في ديار المسلمين، فيحاربهم عليّ فيبيد خضراءهم، ممّا ضاعف من حنقهم عليه فخططوا لقتله، وكان لهم ما أرادوا.

ولكنهم بعد قتل عليّ أجمعوا أمرهم على كراهة معاوية وعلى حربه، فهتفوا قائلين: قد جاء الآن ما لا شك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه(٢).

وهكذا التقى الخوارج وزال تردّدهم وشكّهم، فتكونت منهم قوة جبّارة، ووضع الخوارج برنامجهم، ودوّنوا اتجاههم في تلك الفترة الأولى من حياتهم، وكان برنامجاً سياسياً جلّ الحديث فيه عن الخلافة، فقالوا: إن الإمامة غير ضرورية، وعلى الناس أن يتناصفوا فيما بينهم(٣)، ويجوز لهم أن ينصبوا إماماً، ويلزم أن يختاره المسلمون اختياراً حراً، ولا يشترط فيه أن يكون من قريش، ويجوز أن يكون حراً أو عبداً أو نبطياً، وتلزم طاعته ما أطاع الله ورسوله، فإن لم يطع الله وجبت الثورة عليه وعزله، وطبق الخوارج هذه النظرية؛ وقد عبّر عروة بن أدَينة أصدق تعبير عن وجهة نظر الخوارج في تطبيق هذه النظرية، فقد سأله زياد بن أبيه عن أبي بكر وعمر فقال فيهما

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٤١، بينما يحصرهم الملطي ـ كما تقدّم ـ في خمس وعشرين فرقة، التنبيه، ص١٧٨.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٦٩.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٦.

خيراً، وسأله عن عثمان، فقال: كنت أوالي عثمان على أحواله في خلافته ست سنين، ثمّ تبرّأت منه بعد ذلك للأحداث التي أحدثها، وشهد عليه بالكفر، وسأله عن عليّ فقال: كنت أتولاه إلى أن حكم الحكمين ثم تبرّأت منه بعد ذلك، وشهد عليه بالكفر، وسأله عن معاوية فسبّه سبًا قبيحاً(١).

وهكذا كان الخوارج حتى عهد معاوية قوّة واحدة تقريباً، وحديثهم كله عن الخلافة وتكفير من كفّروه من الصحابة رضوان الله عليهم، وبناء على هذه النظرية يعد معاوية غاصباً؛ لأنه لم يتم اختياره بطريقة حرّة، وإذا كان هناك تردّد في عدائهم لعلي، فقد جاء في عهد معاوية ما لا شك فيه من الأمر، كما ورد في عبارة فروة سالفة الذكر.

ومضى معاوية وتولى الخلافة بعده ابنه يزيد، ولم يتولها بانتخاب، ولم يكن في نظرهم أهلاً لها، لذلك هبُّوا في وجهه كما هبُّوا في وجه أبيه، ورأوا عبد الله بن الزبير يحاربه ويخرج عليه، فأحبوه لخروجه على الإمام الجائر، ولوقوفه للدفاع عن البلد الحرام الذي كانت جيوش بني أمية تسعى لبسط سيطرتها عليه، بعد انتهائها من وقعة الحرّة في المدينة المنوّرة، فقالوا: يجب علينا أن نمنع حرم الله منهم، ونمتحن ابن الزبير، فإن كان على رأينا بايعناه، فلما صاروا إليه عرفوه أنفسهم وما قدموا له، فأظهر لهم أنه على رأيهم، فساعدوه حتى عادت جيوش الشام، ثم أقبلوا يلوم بعضهم بعضاً، وقالوا: كيف ننصر هذا الرجل دون أن نعرف كنهه؟ تعالوا بنا ندخل على هذا الرجل، فننظر ما عنده، فإن قدّم أبا بكر وعمر وبرىء من عثمان وعلي وكفّر أباه وطلحة بايعناه، وإن كانت الأخرى تشاغلنا عنه بما يجدي علينا.

فلم يوافقهم ابن الزبير، فانفضوا من حوله، ولكنهم انقسموا إلى جماعتين كبيرتين، لكل منهما آراؤهما الخاصة، واتجاهها الخاص، وأخذوا يتكلمون في اللاهوت، فشملت أبحاثهم الجديدة السياسة والدين، وكانوا من قبل يتكلمون في السياسة لا يتجاوزونها، واتجهت الجماعة الأولى إلى البصرة وكان على رأسها نافع بن الأزرق، فسميت الأزارقة، وكان من أصحاب نافع عبد الله بن الصفّار، وعبد الله بن إباض، وحنظلة بن بيهس، واتجهت الجماعة الثانية إلى اليمامة، وكان من زعمائها

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٨ والمبرد: الكامل، ٣/١٠٩٨.

عبد الله بن ثور (أبو فديك)، وعطية بن الأسود، ثمّ اتفقت هذه الطائفة على اختيار نجدة بن عامر رئيساً لها فسميت النجدات، وكان مصدر الانقسام هو بدؤهم الكلام في اللاهوت، واختلافهم في الرأي، وقد كان هذا الانقسام مقدّمة لانقسامات أخرى كثيرة حدثت لأتفه الأسباب(١).

وكان ثمّة سمَة بارزة اتّسمت بها فرق الخوارج، فإن لم تقع بينهم حروب وصدامات إلا في القليل النادر، إلا أن كل فرقة تعصبت لآرائها، وكفّرت ما عداها من فرق.

وهكذا كان الخوارج مذ فارقوا علياً إلى أن كان من أمرهم ما كان مع ابن الزبير وتفرّقهم عنه، على رأي واحد، يتولُّون أهل النهروان ومرداس بن أدية، ولا يختلفون إلا في الأمور الشاذة(٢)، فلما عاد نافع بن الأزرق إلى البصرة، وجد الناس هناك قد اجتمعوا على حرب الخوارج، فلحق بالأهواز، وتبعه أغلب الخوارج، وتخلّف عنه قليل منهم عبد الله بن الصفّار، وعبد الله بن إباض، ورجال معهما لم يروا الخروج، ونظر نافع بن الأزرق ورأى أن ولاية من تخلّف عنه لا تنبغي، وأن من تخلّف عنه لا نجاة له، فقال لأصحابه: إن الله قد أكرمكم بمخرجكم وبصّركم بما عمي عنه غيركم، ألستم تعلمون أنكم إنما خرجتم تطلبون شريعته وأمره، فأمره لكم قائد، والكتاب لكم إمام، وإنما تتبعون سنته وأثره؟ فقالوا: بلى، فقال: أليس حكمكم في وليكم حكم النبي ﷺ في وليه؛ وحكمكم في عدوكم حكم النبي ﷺ في عدوّه؛ وعدوكم اليوم عدو الله وعدو النبي ﷺ، كما أن عدو النبيّ ﷺ يومئذٍ هو عدو الله وعدوّكم اليوم؟ فقالوا: بلى. قال: فقد أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبة: ١]، وقال: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١]، فقد حرّم الله ولايتهم، والمقام بين أظهرهم، وإجازة شهادتهم وأكل ذبائحهم، وقبول علم الدين منهم، ومناكحتهم ومواريثهم، وقد احتجّ الله علينا بمعرفة هذا، وحق علينا أن نعلم هذا الدين ولا نكتم ما أنزل الله، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩]، فاستجاب له إلى هذا الرأي

---

(١) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٢٦٦ ـ ٢٦٨، بتصرف.

(٢) المبرد: الكامل، ٣/١٢٠٣، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ٢٣٤.

جميع أصحابه فكتب به إلى عبد الله بن الصفّار وعبد الله بن إباض ومن قبلهما من الناس، فلما قرأ عبد الله بن الصفّار الكتاب وضعه خلفه، فقال له ابن إباض: ما لك؟! لله أبوك! فدفع الكتاب إليه، فقرأه وقال: قاتله الله! أي رأي رأى؟ صدق نافع لو كان القوم مشركين، ولكنه كذب وكذّبنا فيما يقول، وإن القوم كفار بالنعم وهم برآء من الشرك. فقال ابن الصفّار: بريء الله منك فقد قصّرت، وبريء الله من ابن الأزرق فقد غلا، بريء الله منكما جميعاً، وقال الآخر: فبريء الله منك ومنه وتفرّق القوم[1].

هكذا كانت بداية التمزّق الذي أصاب الخوارج، وتلك كانت طريقتهم في التفكير، وهي إن دلّت على شيء، فإنما تدلّ على مقدار السذاجة والغلوّ والتطرّف الذي امتازت به عقلية الخوارج في تلك الآونة، والتي لم تتغير في الحقب اللاحقة.

وهكذا بدأت الانقسامات تجد طريقها إلى الخوارج، فظهرت أربع فرق كانت بمثابة الأصول التي انبثقت عنها سائر الفرق، وهي: الأزارقة، النجدات، الإباضية، والصفرية[2].

وممّا هو جدير بالملاحظة، أن نشأة هذه الفرق وظهورها كان في زمن واحد تقريباً، رغم أن بعضهم كان أسبق في الدعوة لمذهبه من الفئات الأخرى، وهكذا نستطيع أن نؤرخ لظهور الفرق الخارجية بأوائل العهد الزبيري، دون أن يكون لابن الزبير دور في نشأة هذه الفرق[3].

ولما اختلفت الخوارج صارت عشرين فرقة، سأذكرها ههنا إجمالاً وهذه أسماؤها: المحكمة الأولى، الأزارقة، النجدات، الصفرية، والعجاردة.

وقد افترقت العجاردة فيما بينها فرقاً كثيرة منها: الخازمية والشعيبية، والمعلومية، والمجهولية، وأصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها[4]، والصلتية،

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٩٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٣٣٧، والمبرد: الكامل، ٣/ ١٢١٥ - ١٢١٨.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٢، والمبرد: الكامل، ٣/ ١٢٠٣.

(٣) نايف معروف: الخوارج، ص٢٢٠.

(٤) يجعل البغدادي ههنا هذه الفرقة من فرق العجاردة، غير أنه في موضع آخر، يجعلها من فرق الإباضية، الفرق بين الفرق، ص٢٤ و٧٢.

والأخنسية، والشبيبية، والشيبانية، والمعبدية، والرشيدية، والمكرمية، والحمزيّة، والشمراخية، والإبراهيمية، والواقفة، والإباضية.

والإباضية منهم افترقت فرقاً معظمها فريقان: حفصية، وحارثية(١).

واليزيدية منهم: أتباع يزيد بن أنيسة، ليست من فرق الإسلام؛ لقولها بأن شريعة الإسلام تنسخ وفي آخر الزمان بنبيّ يبعث من العجم.

وكذلك في جملة العجاردة فرقة يقال لها «الميمونية» ليست من فرق الإسلام؛ لأنها أباحت نكاح بنات البنات وبنات البنين كما أباحته المجوس(٢).

المبحث الأول

الفرقة الأولى: المحكّمة الأولى(٣)

هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى ما جرى من أمر التحكيم، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة(٤).

وقيل إنه لما اتفق الفريقان على التحكيم ركب رجل من بني يشكر ـ كان مع علي ـ جمله، وحمل على أصحاب علي وقتل منهم رجلاً، ثم حمل على أصحاب معاوية وقتل منهم رجلاً، ثم نادى بين العسكرين أنه بريء من علي ومعاوية وأنه خرج من حكمهم، فقتله رجل من همدان.

وأياً كان قائل هذه الكلمات، فقد لاقت آذاناً صاغية عند طائفة من أصحاب علي، وسرت فيهم سير البرق، «وتجاوبتها الأنحاء، وأصبحت شعار هذه الطائفة»(٥)، وصاروا كلما التقوا بعليّ رضي الله عنه يصرخون في وجهه: لا حكم إلا لله، حتى إن

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٧٢، ٧٣.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٤.
(٣) يطلق المقريزي على هذه الفرقة اسم الحكمية. الخطط، ٣/ ٤١٥.
(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٥.
(٥) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٥٦.

بعضهم كان يقاطعه بهذا الشعار وهو يخطب على المنبر، حتى ضاق بهم ذرعاً، وحار في أمرهم، وحاول جاهداً أن يردّهم إلى جادّة الصواب، لكن هذه الشبهة كانت قد استقرّت في قلوبهم، وليس أدل على ذلك من أنهم عادوا أول مرة مع علي، ثم فارقوه من جديد، وانحازوا إلى حروراء، ونصبوا راية الخلاف، وراحوا يعيثون في الأرض الفساد.

وكان من زعمائهم في تلك الفترة عبد الله بن الكواء، وشبث بن ربعي(١). وكان منهم عتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي، وعروة بن حدير، ويزيد بن عاصم المحاربي، وحرقوص بن زهير البجلي، المعروف بذي الثدية، وكانوا يومئذ في اثني عشر ألف رجل من المقاتلة، أهل صلاة وصيام(٢)، ومن هنا سميت الخوارج حرورية(٣).

وفيهم قال النبي ﷺ: **«تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم، وصوم أحدكم في جنب صيامهم، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم»**(٤).

فهم المارقة الذين قال فيهم: **«سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّةِ»**.

وهم الذين أولهم ذو الخويصرة، وآخرهم ذو الثدية(٥).

«وهم الغلاة في حبّ أبي بكر وعمر وبغض علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين»(٦).

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٤١، ٤٢، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٧٥، ابن عبد ربه: العقد الفريد ١/ ٢٣٣، ٢٣٤. وابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٥. وفيه أن أمير القتال شبيب بن ربعي، وأعتقد أن ثمة تصحيفاً قد وقع فيه، لأن المشهور شبث بن ربعي.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٥، وابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٥.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٢.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٥، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٤.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٥، ١١٦، غير أن البغدادي لا يفرّق بين حرقوص بن زهير وذي الثدية، ويرى أنه كان يلقب بذي الثدية، الفرق بين الفرق، ص٧٦.

(٦) المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٥.

ولما فارقوا علياً وخرجوا إلى حروراء، خرج إليهم علي وناظرهم، فظهر بالحجة عليهم، فاستأمن إليه ابن الكواء في ألف مقاتل[١]، واستمر الباقون على ضلالهم، وخرجوا إلى النهروان وأمّروا عليهم رجلين منهم، أحدهما: عبد الله بن وهب الراسبي، والثاني: حرقوص بن زهير البجلي، وكان يلقب بذي الثدية، ورأوا في طريقهم حال خروجهم إلى النهروان عبد الله بن خباب بن الأرت، فذبحوه على شاطىء النهر، ثم قصدوا بيته وقتلوا أولاده وأمهات أولاده بالنهروان[٢].

ومن طريف أخبارهم ـ كما يقول المبرّد ـ أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني فقالوا: احفظوا ذمة نبيكم.

ولقيهم عبد الله بن خباب وفي عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل، فقالوا: إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك، قال: ما أحيا القرآن فأحيوه، وما أماته فأميتوه، فوثب رجل منهم على رُطبَة فوضعها في فيه، فصاحوا به، فلفظها تورّعاً، وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فقال عبد الله بن خبّاب: ما عليّ منكم بأسٌ إني لمسلم، قالوا له: حدّثنا عن أبيك. قال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، فكن عبد الله المقتول، ولا تكن القاتل**»[٣]، قالوا: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى خيراً، قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وفي عثمان ستّ سنين؟ (أي السنوات الست الأولى من خلافته) فأثنى خيراً. قالوا: فما تقول في الحكومة والتحكيم؟ قال: أقول: إن علياً أعلم بكتاب الله منكم، وأشدّ توقياً على دينه، وأنفذ بصيرة، قالوا: إنك لست تتبع الهدى إنما تتبع الرجال على أسمائها، ثم قرّبوه إلى شاطىء النهر فذبحوه، فامذقرّ دمه، أي جرى مستطيلاً على دقة.

---

(١) في الفرق بين الفرق (ص٧٥): فاستأمن إليه ابن الكواء في عشرة من الفرسان.

(٢) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٢، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص٧٦، ٧٧.

(٣) ورد في بعض المصادر بلفظ: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من السائر، والماشي فيها خير من العادي، ومن أمكنه أن يكون مقتولاً فلا يقصدن أن يكون قاتلاً»، والأرجح أنهم رووه بالمعنى لأنه في الصحاح بغير هذا اللفظ.

وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة له، فقال: هي لكم، فقالوا: والله لا نأخذها إلا بثمن، قال: ما أعجب هذا! أتقتلون مثل عبد الله بن خباب، ولا تقبلون منا جنى نخلة[(١)]؟!

وذكر الأشعري أن بعض الخوارج يقولون: إن عبد الله بن وهب كان كارهاً لذلك كله، وكذلك أصحابه، وبعضهم يتأوّل لمسعر بن فدكي في قتل عبد الله بن خبّاب، فيقولون إنه سأله أن يحدثه عن أبيه عن النبيّ ﷺ بما سمعه منه، فحدّثه بحديث في الفتن بوجوب القعود عن الحروب وأن يكون الرجل عبد الله المقتول، فتأوّلوا عليه أنه يدين بتخطئتهم في الخروج وتخطئة علي رضي الله عنه أيضاً، واستحلوا بهذا دمه[(٢)].

وكثر عدد هؤلاء، وقويت شوكتهم فقصدهم علي رضي الله عنه في أربعة آلاف رجل وكان مقدّمهم عدي بن حاتم الطائي، وينشد لهم أشعاراً يترنمون بها في مقدّمتهم ومدح علي رضي الله عنه، فلما دنوا منهم بعث إليهم علي رسولاً أن ادفعوا إليّ قاتل عبد الله بن خباب، فقالوا: كلنا قَتَلَهُ[(٣)]، ولو ظفرنا بك لقتلناك أيضاً، فوقف عليهم علي رضي الله عنه بنفسه، وقال لهم: يا قوم، ماذا نقمتم مني حتى فارقتموني لأجله؟ فذكروا له أشياء فناظرهم وأقام عليهم الحجّة.

فلما سمعت الخوارج حجج علي القاطعة، استأمن ثمانية آلاف منهم، وثبت

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٣٤، ١١٣٥، ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ٢/ ٢٣٤، ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٩٩ بعضه، وابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٨، ١٠٩، وليس فيه قول النصراني في آخر الرواية.

وإن تعجب فعجب قول بعض الجهلاء أن هؤلاء المارقة «يمثلون من الناحية الدينية الفئة القليلة المؤمنة، التي لا تقبل في الحق مساومة وادّهاناً، ولا غرو فزعماؤهم من جماعة القرّاء والفقهاء الحريصين على الالتزام بالكتاب والسنة دون مواربة أو تأويل، جباههم فرحة لطول السجود، وأيديهم كثفنات الإبل من طول العبادة». محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام، رؤية عصرية، ص١٤.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢١٠.

(٣) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٠٥، وابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٠٩.

على قتاله أربعة آلاف منهم[١]، فقال للذين استأمنوا إليه منهم: امتازوا اليوم مني جانباً، وبرز حرقوص بن زهير إلى عليّ وقال: يا ابن أبي طالب، لا نريد بقتالك إلا وجه الله والدار الآخرة، وقال له علي: «بل مثلكم كما قال الله عزّ وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، ثم حمل عليه في أصحابه، وقتل عبد الله بن وهب في المبارزة، وصرع ذو الثُدَيّة عن فرسه، وقاتلهم علي رضي الله عنه بمن معه مقاتلة شديدة[٢]، فما انفلت منهم إلا أقلّ من عشرة، وما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة، فانهزم اثنان منهم إلى عُمان، واثنان إلى كرمان، واثنان إلى سجستان، واثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى موروں[٣] باليمن[٤]، وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم وبقيت إلى اليوم[٥].

كرامة لأمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه:

لما التقى علي الخوارج بالنهروان، وقد ذهبوا إلى ناحية الجسر، فظنّ الناس أنهم قد عبروا الجسر، فقالوا لعلي: يا أمير المؤمنين، إنهم قد عبروا الجسر فالقهم قبل أن يَبْعدوا، فقال أمير المؤمنين: ما عبروا، وإنّ مصارعهم دون الجسر، ووالله لا يقتل منكم عشرة ولا يبقى منهم عشرة، فشك الناس في قوله، فلما أشرفوا على

(١) ذكر الأشعري أن طائفة من أصحاب عبد الله بن وهب قد انفضوا عنه، وكرهوا محاربة عليّ رضي الله عنه، منهم جويرية بن فادع، فارقه في ثلاث مائة، ومنهم مسعر بن فدكي، انصرف إلى البصرة في مائتين، ويقال: بل صار إلى راية أبي أيوب الأنصاري، وهو إذ ذاك مع علي بن أبي طالب، ومنهم فروة بن نوفل الأشجعي، فارقه في خمسمائة، ومنهم عبد الله الطائي، رجع إلى الكوفة في ثلاث مائة، ويقال: بل لحق براية أبي أيوب الأنصاري، ومنهم سالم بن ربيعة فارقه في ثمانية عشر، ويقال: بل لحق براية أبي أيوب الأنصاري، ومنهم أبو مريم السعدي، فارقه في مائتين، ويقال: بل لحق براية أبي أيوب الأنصاري، ومنهم أشرس بن عوف نزل الدسكرة في مائتين.
وذكر المدائني أن قوماً من الخوارج قد كانوا خرجوا مع عليّ رضوان الله عليه لقتال أهل الشام، فلما قصد عليّ أهل النهر اعتزلوا فصاروا إلى النخيلة فأقاموا بها. الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/٢١٠، ٢١١.

(٢) الإسفرائيني: التبصير في الدين، ص٤٣، ٤٤، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص٧٩، ٨٠.

(٣) في الفرق بين الفرق (ص٨٠، ٨١): تل موزن.

(٤) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٤، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٧.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٧.

الجسر رأوهم لم يعبروا، فكبّر أصحاب أمير المؤمنين وقالوا له: هو كما قلت يا أمير المؤمنين، قال: نعم والله ما كُذِّبتُ ولا كذَبتُ، فلما انفصلت الواقعة وسكنت الحرب أُحصي القتلى من أصحاب علي فكانوا سبعة، وكذلك الخوارج لم ينج منهم سوى أقل من عشرة(١).

وأمر علي رضي الله عنه أصحابه بطلب ذي الثدية فوجدوه قد هرب واستخفى في موضع فظفروا به، وتفحصوا فوجدوا له ثدياً كثدي النساء، فقال علي رضي الله عنه: صدق الله، وصدق رسوله، وأمر بقتله فقتل(٢).

كذا في رواية الإسفرائيني، والأرجح أن قد أمر أصحابه بالتماس ذي الثدية، فوجدوه مقتولاً. فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي كثير مولى الأنصار قال: كنت مع سيدي، مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قتل أهل النهروان، فكأن الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم، فقال علي رضي الله عنه: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ قد حدّثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه، وإن آية ذلك أن فيهم رجلاً أسود مخدّج اليد، أحد ثدييه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة حوله سبع هلبات، فالتمسوه فإني أراه فيهم، فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى فأخرجوه، فكبّر علي رضي الله عنه فقال: الله أكبر! صدق الله ورسوله، وإنه لمتقلد قوساً له عربية، فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مخدجيه ويقول: صدق الله ورسوله، وكبّر الناس حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون(٣).

وجاء في رواية أنهم بحثوا عنه كثيراً فأعياهم، فحزن عليّ، وقام بنفسه يبحث عنه، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض، فقال: أفرجوا، ففرجوا يميناً وشمالاً واستخرجوه، فقال علي رضي الله عنه: الله أكبر! ما كذبت على محمد، وإنه لناقص اليد ليس فيها عظم... ثم قال: ائتوني به، فنظر إليه فوجده كما وصفه رسول الله ﷺ، فثنى رجله ونزل، وخرّ لله ساجداً(٤).

---

(١) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٠٠، المبرد: الكامل، ٣/ ١١٠٥، ١١٠٦، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٧٤، ١٧٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٩٠.

(٢) الإسفرائيني: التبصير في الدين، ص٤٤، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٠، ٨١.

(٣) أخرجه أحمد والحميدي والعدني كما في المنتخب، ٥/ ٤٣٤، هذا وقد بسط ابن كثير طرق حديث الخوارج وألفاظه في البداية والنهاية من كافة طرقه، ٦/ ٢١٦ و٢١٧ و٧/ ٢٨٩ ـ ٣٠٤.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ٢/ ٤١٧.

هذه هي قصة المحكمة الأولى وهم يكفرون بتكفيرهم علياً، وعثمان، وتكفيرهم فسّاق أهل الملة، ثم خرج بعدهم جماعة من الخوارج بأرض العراق، فكان علي رضي الله عنه يبعث إليهم السرايا ويقاتلهم إلى أن استأثر الله بروحه، ونقله إلى جنته، وبقيت الخوارج على مذهب المحكمة الأولى إلى أن ظهرت فتنة الأزارقة منهم، فعند ذلك اختلفوا[١].

ثم خرج على علي بعد ذلك من الخوارج جماعة كانوا على رأي المحكمة الأولى، منهم: أشرس بن عوف[٢]، وخرج عليه بالأنبار، وغفلة التيمي من تيم عديّ، خرج عليه بماسباذان، والأشهب بن بشر العرني[٣]، خرج عليه بِجَرجَرايا، وسعيد بن قفل[٤]، خرج عليه بالمدائن، وأبو مريم السعدي، خرج عليه في سواد الكوفة، فأخرج عليّ إلى كل واحد جيشاً مع قائد حتى قتلوا أولئك الخوارج، ثم قتِل عليّ رضي الله عنه في تلك السنة في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة[٥].

فلما استوت الولاية لمعاوية خرج عليه وعلى مَنْ بعده إلى زمان الأزارقة قوم كانوا على رأي المحكمة الأولى.

منهم عبد الله بن جوشا الطائي، خرج على معاوية بالنخيلة من سواد الكوفة، فأخرج معاوية إليه أهل الكوفة حتى قتلوا أولئك الخوارج.

---

(١) الإسفرائيني: التبصير في الدين، ص٤٥.

(٢) أشرس بن عوف: (٠٠٠ ـ ٣٨هـ = ٠٠٠ ـ ٦٥٨م) الشيباني: من وجوه بني شيبان وشجعانهم في صدر الإسلام، خرج في مائتين من أصحابه على علي بن أبي طالب بالدسكرة (من غربي بغداد) بعد وقعة النهروان، ثم سار إلى الأنبار فقتل فيها. الزركلي: الأعلام، ١/ ٣٣١.

(٣) الأشهب بن بشر: (٠٠٠ ـ ٣٨هـ = ٠٠٠ ـ ٦٥٨م) البجلي: أحد الشجعان الرؤساء في صدر الإسلام، خرج على علي بن أبي طالب بعد وقعة النهروان في ١٨٠ رجلاً، فقاتله أصحاب علي بجرجرايا (بين واسط وبغداد)، فقتل الأشهب وأصحابه، نسبته إلى بجيلة من أحياء اليمن من كهلان. الزركلي: الأعلام، ١/ ٣٣٣.

(٤) سعيد بن قفل: (٠٠٠ ـ ٣٨هـ = ٠٠٠ ـ ٦٥٨م) التيمي، من بني تيم الله ابن ثعلبة: ثائر، من الشجعان، خرج على عليّ بالبندنيجين بعد وقعة النهروان، ومعه مائتا رجل، فقتل وقتلوا معه في «درزيجان» على فرسخين من المدائن. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٠٠.

(٥) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨١. وما ذكره البغدادي حول تاريخ مقتل أمير المؤمنين علي خلاف ما عليه الإجماع، أنه استشهد ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين. الذهبي: العبر ١/ ٤٦، المعارف، وغيرها.

ثم خرج عليه حوثرة بن وداع الأسدي، وكان من المستأمنين إلى علي يوم النهروان، وكان خروجه على معاوية سنة إحدى وأربعين.

ثم خرج عليه فروة[١] بن نوفل الأشجعي، والمستورد بن عُلّفة التميمي، على المغيرة بن شعبة، وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية، فقتلا في حربه.

ثم خرج معاذ بن جرير على المغيرة، فقتل في حربه.

ثم خرج زياد بن خراش العجلي، على زياد بن أبيه، فقتل في حربه.

وخرج قريب بن مرّة على عبيد الله بن زياد، وخرج عليه أيضاً زحاف بن زحر الطائي، واستعرضا الناس في الطريق بالسيف، فأخرج ابن زياد إليهما بعباد بن الحصين الحبطي[٢] في جيش، فقتلوا أولئك الخوارج.

فهؤلاء هم الخوارج الذين عاونوا على المحكمة الأولى قبل فتنة الأزارقة، والله أعلم[٣].

المبحث الثاني
الفرقة الثانية: الأزارقة

وهم أتباع أبي راشد نافع بن الأزرق الحنفي[٤]، ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عدداً، وأشدّ منهم شوكة[٥].

---

(١) في الفرق بين الفرق: (قرّة) وما ذكرته هو الصواب.

(٢) عباد بن الحصين الحبطي: (٠٠٠ ـ نحو ٨٥هـ = ٠٠٠ ـ نحو ٧٠٥م) بن يزيد بن عمرو الحبطي التميمي، أبو جهضم: فارس تميم في عصره، وفي شرطة البصرة أيام ابن الزبير، وكان مع مصعب أيام قتل المختار، وشهد فتح «كابل» مع عبد الله بن عامر، وأدرك فتنة ابن الأشعث، وهو شيخ مفلوج، ورحل إلى كابل فقتله العدو هناك. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٢٥٧.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨١، ٨٢.

(٤) الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٤، المبرد: الكامل، ٣/ ١٢٠٣، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٨، وابن تيمية: الإيمان الأوسط، ص٢٧، وجاء في اعتقادات فرق المسلمين للرازي (ص٢١): هم أتباع أبي نافع راشد بن الأزرق. وهو ظاهر الخطأ، وصوابه ما ذكرته، انظر أيضاً: مقالات الإسلاميين للأشعري، ١/ ١٨٢، وفي التنبيه للملطي (ص٥١): عبد الله بن الأزرق، وهو أيضاً ظاهر الخطأ. انظر أيضاً الخطط للمقريزي، ٣/ ٤١٦، والمعارف لابن قتيبة، ص٣٣٩، وصبح الأعشى للقلقشندي، ١٣/ ٢٢٧.

(٥) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٥، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٣.

ويرى الملطي أنهم كانوا أصعب الخوارج وأشرّهم فعلاً، وأسوأهم حالاً[١].

وكان بدء أمرهم ـ فيما يرويه المبرّد ـ أن مولى لبني هاشم جاء إلى نافع، فزيّن له رأيه، فقال: إن أطفال المشركين في النار، وإن من خالفنا مشرك، فدماء هؤلاء الأطفال لنا حلال. فقال له نافع: كفرت وأدللت بنفسك. فأخذ هذا المولى يستدلّ ببعض الآيات من القرآن الكريم، لإقناع نافع بوجهة نظره، ويخلّص نفسه من القتل، ومن هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]، فمال نافع إلى رأيه وأخذ يستعرض الناس[٢].

إلا أن صاحب الأغاني يروي أن نافع بن الأزرق، أقام في سوق الأهواز لا يعترض أحداً، فجاءته امرأته يوماً فقالت: إن كنت قد كفرت بعد إيمانك وشككت فيه، فدع نحلتك ودعوتك، وإن كنت قد خرجت من الكفر إلى الإيمان، فاقتل الكفار حيث لقيتهم، وأثخن في النساء والصبيان، فقبل نافع قولها، وبسط سيفه في الناس، وجعل يقتل الأطفال ويقول: إن هؤلاء كانوا مثل آبائهم[٣].

ويذكر الأشعري أن عبد ربه الكبير هو الذي جاء بهذه البدعة[٤]، ووافقه البغدادي[٥] إلا أنه يعود فيعزو هذا الأمر لعبد ربّه الصغير[٦]، وقيل: إن المبتدع الأول لهذه البدعة رجل يقال له عبد الله بن الوضين، وكان نافع بن الأزرق يخالفه حتى مات، فلما مات عبد الله صار نافع إلى قوله، وزعم أن الحق كان في يده، ولم يكفّر نفسه بخلافه إياه حين خالفه، ولا أكفر الذين خالفوا عبد الله قبل موته، وأكفر من يخالفه فيما بعد[٧].

---

(١) الملطي: التنبيه، ص١٧٨.
(٢) المبرد: الكامل، ٣/١٢١٣.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٦/١٤٢.
(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٧٠.
(٥) البغدادي: (٠٠٠ ـ ٤٢٩هـ = ٠٠٠ ـ ١٠٣٧م) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفرائيني، أبو منصور: عالم متقن من أئمة الأصول، كان صدر الإسلام في عصره، ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقرّ في نيسابور، وفارقها على أثر فتنة التركمان، ومات في إسفرائين. الزركلي: الأعلام، ٤/٤٨.
(٦) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٤.
(٧) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٥، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٧٠.

وأيًا كان الصواب في مبدإ خروجهم، فإن ما جرى من استعراض ابن الأزرق للناس، وقتله الأطفال أثار عليه طائفة من أصحابه ففارقوه على نحو ما مرّ معنا في فصل سابق، وكان هذا أوّل خلاف وقع بين الخوارج، أدّى إلى تمزّقهم فرقاً وأحزاباً، علماً بأنهم كانوا ـ بادىء ذي بدء ـ فرقة واحدة.

ويذكر أبو حنيفة الدّينوري ـ في هذا الصدد ـ أن الأزارقة كانوا أربعين رجلاً، وفيهم من عظمائهم: نافع بن الأزرق، وعطية بن الأسود، وعبد الله بن الصفار، وعبد الله بن إباض، وعبد الله بن بيهس، وعبد الله بن الماحوز[١].

وكان مع ابن الأزرق كذلك قطريّ بن الفجاءة، وعبيدة بن هلال اليشكري، وأخوه محرز بن هلال، وعمرو بن عمير العنبري، وصالح بن مخراق العبدي، وعبد ربّه الصغير، وعبد ربّه الكبير[٢].

إلا أن بعض هؤلاء ـ كما هو معروف ـ قد انفصلوا عن ابن الأزرق، وشكّلوا فرقاً أخرى بسبب الخلافات التي تفجّرت بينهم.

والأزارقة أعظم فرق الخوارج وأشدها خطراً وبأساً وشكيمة، بايعوا نافع بن الأزرق، وسمُّوه أمير المؤمنين، وانضمّ إليهم خوارج عمان واليمامة فصاروا أكثر من عشرين ألفاً، وكانوا قد خرجوا في بادىء الأمر من البصرة، فغلبوا على بلاد الأهواز[٣]، وأرض فارس وكرمان وجبوا خراجها، ونظراً لبسالتهم وقوّة شكيمتهم وشجاعتهم، فقد استطاعوا إلحاق الهزيمة بجيوش المسلمين في مواقع كثيرة، وكان عامل البصرة يومئذٍ عبد الله بن الحارث الخزاعي من قبل عبد الله بن الزبير، فأخرج عبد الله بن الحارث جيشاً مع مسلم بن عيسى بن كريز بن حبيب بن عبد شمس لحرب الأزارقة، فاقتتل الفريقان بدولاب الأهواز، فقتل مسلم بن عيسى وأكثر أصحابه، فخرج إلى حربهم من البصرة عمر بن عبيد الله بن مَعْمر التميمي في ألفي

(١) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٩٩.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٩، ١٢٠.

(٣) وذكر المبرد أنهم أحاطوا بالبصرة حتى ترحّل أكثر أهلها منها، ثم تولّي حربهم المهلب بن أبي صفرة فهزمهم إلى الفرات ثم هزمهم إلى الأهواز، ثم أخرجهم عنها إلى فارس ثم أخرجهم إلى أرض كرمان، الكامل، ٣/ ١١٠٣.

فارس، فهزمته الأزارقة، فخرج إليهم حارثة بن بدر الغُداني[١] في ثلاثة آلاف من جند البصرة، فهزمتهم الأزارقة، فكتب عبد الله بن الزبير من مكة إلى المهلب بن أبي صفرة ـ وهو يومئذ بخراسان ـ يأمره بحرب الأزارقة، وولاّه ذلك، فرجع المهلب إلى البصرة، وانتخب من جندها عشرة آلاف، وانضمّ إليه قومه من الأُزد فصار في عشرين ألفاً، وخرج وقاتل الأزارقة وهزمهم عن دولاب الأهواز إلى الأهواز، ومات نافع بن الأزرق في تلك الهزيمة، وبايعت الأزارقة بعده عبيد الله بن مأمون التميمي، وقاتلهم المهلب بعد ذلك بالأهواز فقتل عبيد الله بن مأمون في تلك الواقعة، وقتل أيضاً أخوه عثمان بن مأمون مع ثلاثة من أشدّ الأزارقة، وانهزم الباقون منهم إلى أيدج، وبايعوا قطري بن الفُجاءة وسمُّوه أمير المؤمنين[٢]، وقاتلهم المهلب بعد ذلك حروباً كانت سجالاً[٣]، وانهزمت الأزارقة في آخرها إلى سابور من أرض فارس، وجعلوها دار هجرتهم، وثبت المهلب وبنوه وأتباعهم على قتالهم تسع عشرة سنة، بعضها في أيام عبد الله بن الزبير، وباقيها في زمان خلافة عبد الملك بن مروان[٤].

ولما ولي الحجاج بن يوسف العراق أقرّ المهلب على قتالهم، وكان يقاتلهم إلى أن ظهر بينهم الخلاف، وخالف عبد ربه الكبير قطرياً[٥] وخرج إلى جيرفت كرمان في

---

(١) حارثة بن بدر: (٠٠٠ ـ ٦٤هـ = ٠٠٠ ـ ٦٨٤م) بن حصين التميمي الغدّاني: تابعي، من أهل البصرة، وقيل: أدرك النبي ﷺ، له أخبار في الفتوح، أمّر على قتال الخوارج في العراق فهزموه بنهر تيرا (من نواحي الأهواز) فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه فغرقت بهم. الزركلي: الأعلام، ١٥٨/٢.

(٢) في رواية أمير الموت.

(٣) تقول: «كانت الحرب بين الفريقين سجالاً» أي أن النصر يكون لهذا الفريق مرّة، ولذلك مرة أخرى، وأصل السجال جمع سجل، وهو الدلو.

(٤) الطبري: تاريخ، ٤٢٦/٣ وما بعدها، ابن الأثير: تاريخ، ٢٩/٤ و٦٤ و٦٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/٤، والمبرد: الكامل، ١١٠٣/٣.

(٥) وكان سبب خلافه فيما ذكره الأشعري، أن قطري بن الفجاءة كان إذا خرج في السرايا استخلف رجلاً من بني تميم على العسكر، وكانت فيه فظاظة، فشكت الأزارقة ذلك إليه، فقال: لست أستخلفه بعد، ثم إنه خرج في سرية وأصبح الناس في العسكر فصلى بهم ذلك الرجل الفجر، فقالوا لقطريّ: ألم تزعم أنك لا تستخلفه؟ وعاتبوه، وكان من الذين عاتبوه عمرو القنا وعبيدة بن هلال، وعبد ربه الصغير، وعبد ربه الكبير، فقال لهم: جئتموني كفاراً حلال دماؤكم؟! فقام صالح بن مخراق فلم يدع في القرآن موضع سجدة إلا قرأها وسجد، ثم قال: أكفاراً ترانا؟ تب مما قلت، فقال: يا هؤلاء، إنما استفهمتكم! فقالوا: لا بد من توبتك، فخلعوه، وصار قطري إلى طبرستان، فغلب عليها. الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص١٧١ ـ ١٧٣.

سبعة آلاف رجل، وخالفه أيضاً عبد ربه الصغير وانحاز إلى ناحية من نواحي كرمان، وكان المهلب يقاتل قطرياً بناحية سابور إلى أن هزمه فخرج إلى كرمان، وكان المهلب يسير على أثره ويقاتله حتى هزمه إلى الريّ، ثم كان يقاتل عبد ربه الصغير حتى قتله، وبعث الحجاج عسكراً عظيماً إلى الري فقاتلوا قطرياً فانهزم منهم إلى طبرستان، فتبعوه حتى قتلوه، وكان قد هرب في جملة من قومه إلى قومس عبيد بن هلال اليشكري، فقصده جند الحجاج حتى قتلوه، وطهر الله وجه الأرض من جملة الأزارقة ولم يبقَ منهم واحد(١).

ويعود الفضل في القضاء على الأزارقة إلى المهلب بن أبي صفرة فلولا بطولته وشجاعته وحنكته ودهائه في قتالهم، فضلاً عن الانقسامات التي حصلت في صفوف الخوارج، لما أمكنه القضاء عليهم في هذه المدة القصيرة من الزمن.

وزعم أحمد أمين أن المهلّب استعمل طريقة غير مألوفة في حرب الأزارقة، تمثّلت في اختلاق الأحاديث عليهم ووضعها «فقد كان يضع الحديث ليشدّ به أزر قومه ويضعف به من أمر الخوارج ما اشتدّ ويقول: إن الحرب خدعة، وكان حيّ من الأزد إذا رأوا المهلب خارجاً قالوا: «راح يكذب» وفيه يقول رجل منهم:

أنت الفتى كلّ الفتى لو كنت تصدق ما تقول(٢)

وأضاف أحمد أمين قائلاً: «ولعل هذا وأمثاله هو السر فيما ترى من أحاديث كثيرة ملئت بها كتب التاريخ والأدب في ذم الخوارج»(٣).

والحق أن هذا الاتهام الشنيع الذي اتصل بالقائد العظيم المهلب بن أبي صفرة لا أساس له من الصحة، رغم ذكره عند بعض المؤرخين(٤) ولم يثبت ببيّنة، علماً أن ما ورد من أحاديث في ذم الخوارج، لا يرقى إليها الرّيب من باب، وأكثرها صحيح، وربما جاء هذا الاتهام من طريقة المهلب في حرب الأزارقة، حيث كان يحاربهم بكل الطرق المتاحة، بدهاء وحنكة، ومن أساليبه في هذا الصدد، أنه كان يرسل إليهم - في

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٦، ٤٧، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٥، ٨٦.
(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٦١، نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١/ ٣٨٦.
(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٦١.
(٤) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير، ٣/ ٢٥٠، ٢٥١.

حال خلافهم - من يزيد من حدّة الخلاف، ويوقع بينهم، ويزيد من تمزّقهم واختلافهم، ثم يلقاهم وهم على هذه الحالة من الخلاف، فيلحق بهم الهزيمة، لذا أخذ شأن الخوارج يضعف في هذه الفترة «لاختلافهم فرقاً من جهة، ولأثر هذا الاختلاف في مواقعهم في ميدان القتال من جهة ثانية، وتألب المسلمين عليهم من جهة ثالثة، وغلظتهم في معاملة مخالفيهم من جهة رابعة، وقد توالت هزائمهم على يد المهلّب ومن جاء بعده من قوّاد الأمويين حتى انتهى أمرهم»[(١)].

آراء الأزارقة ومعتقداتهم:

تمسّك الأزارقة بمعتقداتهم وغالوا في التعصب لها، حتى كفّروا مخالفيهم من الفرق الأخرى، فقد حمل ابن الأزرق لواء دعوته، وكتب إلى من تخلّف عنه من الحرورية في البصرة، فحثّهم على الخروج من بين أظهر الكفار والهجرة إليه، لينتقلوا بذلك من الظلمات إلى النور[(٢)].

وإن كانوا يجتمعون مع غيرهم من فرق الخوارج الأخرى، إلا أنهم كانت لهم مقالات فارقوا بها المحكمة الأولى وسائر الخوارج[(٣)]، منها:

١ - أنهم لا يرون مخالفيهم غير مؤمنين فقط، بل يرون أنهم مشركون مخلّدون في النار، ويحلّ قتالهم وقتلهم[(٤)].

ولذلك كان ابن الأزرق لا يقبل من المخالفين إلا الهجرة إليه، ليهجروا بذلك ديار الكفر، ويدخلوا ديار الإسلام، وإلا فالسيف لأعناقهم؛ لأنهم كفار العرب الذين لم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، ومن لم يهاجر إليه من الخوارج، فهو بمنزلة الكفار أيضاً[(٥)]، واستحلّ قتلهم بذلك، متأوّلاً قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ٩٠][(٦)].

---

(١) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/٧٣.

(٢) المبرد: الكامل، ٣/١٢١٩.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٥.

(٤) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٥، وابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١١٠.

(٥) المبرد: الكامل، ٢/٢٢٨، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/٢٣٩، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٦٩، باختصار.

(٦) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢١.

وبتسميته لمخالفيه من المسلمين مشركين، فقد خالف أسلافه من المحكمة الذين كانوا يقولون إن مخالفيهم كفار وليسوا بمشركين.

ولم يكتفِ ابن الأزرق بهجرة الناس إليه للتدليل على إيمانهم بدعوته، بل أحدث لهم ما يعرف بالمحنة، فكان إذا جاءه أحد المهاجرين أخضعه للامتحان، وذلك بأن يسلموا إليه أسيراً من أسراء مخالفيهم وأطفالهم، ويأمروه بقتله فإن فعل صدقه نافع، وبذلك يكون قد اجتاز الامتحان، وإن لم يقتله شكوا بأمره واعتبروه منافقاً مشركاً، فيأمر نافع بقتله[1].

٢ ـ أكفرت الأزارقة علياً رضي الله عنه في التحكيم، كما أكفروا الحكمين أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما[2]، ولم تقتصر حملة التكفير هذه على عليّ والحكمين، بل تجاوزتهم لتطال عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس وسائر المسلمين وقضوا بتخليدهم في النار[3].

٣ ـ اعتبر ابن الأزرق أن دار المخالفين دار حرب، ويجوز فيها قتل النساء والأطفال[4].

٤ ـ شدّد ابن الأزرق النكير على القعدة[5] فلم يجد لهم عذراً في التخلّف عن الجهاد، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبَة: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبَة: ٤١]، واحتج بأن الله تعالى فضّل المجاهدين على

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٥، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٣، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٦٩ باختصار.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٠.

(٣) الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٤.

(٤) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٤، المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٦، ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١١٠، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٠.

(٥) القعدة: قال في تاج العروس: «والقَعَدُ محركة ـ جمع قاعد، كما قالوا: حارس وحرس وخادم وخدم، وفي بعض النسخ: «القعده» بالهاء، ومثله في الأساس، وعبارته: «وهو من القعدة قوم من الخوارج قعدوا عن نصرة علي كرّم الله وجهه وعن مقاتلته وهو مجاز، ومن يرى رأيهم قعدي، محركة كعربي وعرب، وعجمي وعجم، وهم يرون التحكيم حقاً، غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس. انظر: تاج العروس، ٥/ ١٩٤، ١٩٥، مادّة قعد.

قلت: وهذا القول يجافي الحق والصواب، وفي تقديري أن المقصود بهذا الاسم أولئك الذين تخلّفوا عن الخروج مع نافع بن الأزرق والجهاد معه، ممّن كانوا على رأيهم.

القاعدين من الضعفاء والمرضى والذين عذروا لعلة فيهم بقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥]، لذلك اعتبر القعدة - ممّن كان على رأيهم - عن الهجرة إليهم مشركون وإن كانوا على رأيهم، وقد خالف بذلك المحكمة الأولى فأكفر القعدة عنهم، وأكفر من يخالفهم - بعد ذلك - في إكفار القعدة عنهم[١].

٥ - يزعمون أن أطفال مخالفيهم مشركون، ويزعمون أنهم مخلّدون في النار[٢]، ويرون أن الذي أوجب كفر مخالفيهم يسري إلى أولادهم، مع أن أولادهم لم يرتكبوه، لذلك يرون أن قتل نسائهم وأطفالهم مباح، وأن ردّ أماناتهم لا تجب لنصّ كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقالوا: إن مخالفينا مشركون، فلا يلزمنا أداء أمانتنا إليهم[٣].

٦ - ومن آرائهم الفقهية أنهم لا يقرُّون حد الرجم، خلافاً لإجماع المسلمين، ويقولون: ليس في القرآن إلاّ حد الجلد للزاني والزانية، فحدّ الرجم لم يجيء - بزعمهم - في القرآن، ولم يثبت في نظرهم من السنة.

٧ - ويرون أن حدّ القذف لم يثبت إلا لمن يقذف محصنة بالزنى، ولا يثبت على من قذف المحصنين من الرجال؛ لأنهم أخذوا بظاهر النص: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [النور: ٤]، فلم يذكر حدّ لقذف المحصنين من الرجال[٤].

---

(١) الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٤، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٣ و٨٤، وابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١١٠.

(٢) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٥، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٣، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٤، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢١، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٥.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٤، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٤، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢١، الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٤، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ١٨٦.

(٤) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٦، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢١، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٤، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٣، ١٧٤، المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ١٣/ ٢٢٧، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٥.

٨ ـ وقالوا بقطع يد السارق في القليل والكثير[١]، وهذه بدع زادوا بها على جميع الخوارج ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة: ٩٠][٢].

٩ ـ ورأت الأزارقة أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار[٣].

١٠ ـ ويرون جواز أن يبعث الله تعالى نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته، أو كان كافراً قبل البعثة، كما يجوز على الأنبياء ـ في نظرهم ـ أن يرتكبوا الكبائر والصغائر[٤]، وهذا القول يظهر مقدار التناقض الذي اعترى تفكيرهم وآراءهم ومعتقداتهم، فبينما يكفّرون مرتكب الكبيرة، يجوّزونها على الأنبياء، فالنبيّ ـ بزعمهم ـ قد يكفر ثم يتوب، وقد استدلوا على ذلك بظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ١، ٢].

١١ ـ أنكر الأزارقة مبدأ التقية، فهي في نظرهم غير جائزة في قول ولا عمل، ولا يجوز التذرع بها والتخفي تحت ستارها، فالله أحق أن نخشاه، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةًۚ﴾ [النِّساء: ٧٧].

وكان قول نافع بن الأزرق بتحريم التقية سبباً في وقوع الخلاف بينه وبين نجدة بن عامر الحنفي، الذي أجاز الأخذ بالتقية، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ﴾ [آل عِمران: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: ٢٨]، فردّ عليه نافع بأن ذلك كان جائزاً لأصحاب النبي ﷺ حين كانوا مقهورين، أما من غيرهم مع إمكان الخروج فالقعود كفر[٥].

---

(١) المقريزي: الخطط، ٣/٤١٦.
(٢) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٦، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٤.
(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٧٠، ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١١٠، القلقشندي: صبح الأعشى، ١٣/٢٢٧، والآيجي: شرح المواقف، ٨/٤٢٥.
(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٢، والآيجي: شرح المواقف، ٨/٤٢٥.
(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٢، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٧٣ باختصار.

وترسيخاً لمبادئه الجديدة في نفوس أتباعه، فقد كان على نافع أن يقنعهم بصحة رأيه واستقامة دعوته وعظيم أجر تابعيه، فبشّرهم بأن الله قد أكرمهم بخروجهم وأنار بصائرهم ونزع عن قلوبهم ران الضلالة والكفر، ويكفيهم فخراً واعتزازاً أنهم إنما خرجوا طلباً لرضا الله والعمل بشريعته، فهو قائدهم وقرآنه إمامهم، وبعد أن يدغدغ آمالهم بأنهم منائر الحق، وقادة الأمة، يقول لهم: «أليس حكمكم في وليكم حكم النبي ﷺ في وليّه، وحكمكم في عدوّكم حكم النبي ﷺ في عدوه؟ وعدوكم اليوم عدو الله وعدو النبي ﷺ؟» فكانوا يردون عليه بالإيجاب، ودعماً لرأيه بحكم قرآني، فقد تأول عليهم قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبَة: ١]» وهكذا فقد أوصلهم إلى التبرؤ من مخالفيهم بحجج قرآنية، وبالتالي فقد حرّم قبول شهادتهم أو أكل ذبائحهم، كما حرّم مناكحتهم وموارثتهم وأخذ الدّين عنهم. وما دامت الأزارقة هم الذين يعرفون الحق ويعملون به من دون الناس، فقد أصبح لزاماً عليهم أن يحملوا هذا الدين لأولئك المخالفين، ولا يجوز لهم أن يكتموا ما أنزل الله، وتأول لهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩﴾ [البَقَرَة: ١٥٩]، وهكذا استطاع أن يقنع أصحابه بصحة نهجه، فاستجابوا له وأطاعوه[(١)].

١٢ ـ وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون: نحن مشركون ما دمنا في دار الشرك، فإذا خرجنا فنحن مسلمون[(٢)]، ولكنهم لا يكفرون أحداً من أهل مقالتهم ما دام مقيماً في دار هجرتهم، إلا إذا قتل رجلاً مسلماً، فإنهم يقولون: «المسلمون حجة الله، والقاتل قصد لقطع الحجة»[(٣)].

١٣ ـ وأورد الشهرستاني[(٤)] بدعاً أخرى نسبها للأزارقة، فلقد كفروا علياً وزعموا أن الله أنزل فيه قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤﴾ [البَقَرَة: ٢٠٤]، ثم صوّبوا قتل ابن ملجم له، وزادوا

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/٣٩٩.

(٢) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١١٠.

(٣) المبرد: الكامل، ٣/١٢٣٥.

(٤) الشهرستاني: هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح: نسبته إلى بلدة شهرستان، مسقط رأسه ومثوى رفاته. اختلف في تاريخ مولده، فقيل إنه ولد سنة ٤٦٧هـ، وقيل: ولد سنة ٤٦٩هـ، والأرجح أنه ولد سنة ٤٧٩هـ وتوفي في شعبان سنة ٥٤٨هـ الموافق ١١٥٣م، وهو شافعي المذهب. من مقدمة التعريف بكتابه الملل والنحل، ص٣، ٤.

على ذلك بأن كفروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس، ورأوا سائر المسلمين مخلدون في النار[١].

١٤ ـ ومن اجتهاداتهم المخالفة لأهل السنة أيضاً، أنهم أوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها، وأنكره بعضهم، كما أنهم حرّموا قتل النصارى واليهود، وأباحوا قتال المسلمين[٢].

ويبدو أن تأويلات ابن الأزرق الفاسدة هذه كانت موضع انتقاد من بعض أصحابه، الذين خالفوه وشدّدوا النكير عليه، ثم خالف بعضهم بعضاً كما تقدّم، فعندما ورد كتابه إلى البصرة، خالفه زعماء الخوارج هناك، ولم يستجيبوا لدعوته، وردّ عليه ابن إباض، وابن الصفار وغيرهما من أصحابه، فأنكروا عليه كثيراً من آرائه واجتهاداته[٣].

العمرية من الأزارقة:

وثمة فرقة من الأزارقة اسمها العمرية، وهم أتباع عمر بن قتادة، وهؤلاء ـ كما يقول الملطي ـ أقل الخوارج شراً؛ لأنهم لا يرون إهراق دماء المسلمين، ولا غنم أموالهم، ولا سبي ذراريهم، ولكن يقولون: المعاصي كفر، ويتبرّأون من عثمان وعلي، ويتولون أبا بكر وعمر، وهم أصحاب ليل وورع واجتهاد[٤].

المبحث الثالث

الفرقة الثالثة: النجدات

وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي[٥]، وكان نجدة في أول الأمر من أتباع نافع بن

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢١.
(٢) ابن حزم: الفصل في الملل، ٣/ ١٢٥.
(٣) المبرد: الكامل، ٢/ ٢٣٠.
(٤) الملطي: التنبيه، ص٥١.
(٥) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٧، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٧، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٢، المبرد: الكامل، ٣/ ١١٠٢، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/ ١٥٦. والملطي: التنبيه، ص٥٢ و١٧٨، وفي اعتقادات فرق المسلمين للرازي (ص٢٢): هم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، وهو ظاهر الخطأ، ولا أشك في وقوع تصحيف في الاسم، فيما ينسبهم الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ١٢٢) لرجل اسمه عاصم. بينما ينسبهم المقريزي في الخطط (٣/ ٤١٦) إلى نجد بن عويمر، أما الآيجي في شرح المواقف (٨/ ٤٢٥) فينسبهم إلى نجدة بن عامر النجفي، وهذه الأقوال خلاف ما وقع عليه الإجماع.

الأزرق، وكان قد خرج مع نافع للدفاع عن مكة ضدّ الأمويين وامتحان عبد الله بن الزبير، فلما وجدت الخوارج أن ابن الزبير على غير رأيهم، وعادوا عنه، توجه نجدة إلى اليمامة[١]، وظلّ على ولائه لابن الأزرق مدة إلى أن ظهر من ابن الأزرق ما ظهر من البدع، «وكان من حاله أنه لما سمّى نافع بن الأزرق من كان قد امتنع من نصرته مشركاً، وأباح قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم، خرج عليه قوم من أتباعه وصاروا إلى اليمامة[٢]، وبايعوا نجدة وقالوا: إن من يقول ما قاله نافع فهو كافر[٣].

ولما شخص هؤلاء إلى اليمامة التقوا بنجدة في جند من الخوارج يريدون اللحوق بعسكر نافع، فأخبروهم بأحداث نافع، وردّوهم إلى اليمامة، وبايعوا بها نجدة بن عامر[٤].

ولما بايعوا نجدة أطلقوا عليه لقب أمير المؤمنين[٥]، وأكفروا من قال بإكفار القعدة منهم عن الهجرة إليهم، وأكفروا من قال بإمامة نافع[٦].

وكان أتباع نجدة في الأصل باليمامة مع أبي طالوت، على أن يخلعوه إن وجدوا من هو خير منه، فلما جاءهم نجدة خلعوا أبا طالوت وبايعوا له على ما يبايع عليه الخلفاء، أي أن لا يخلع إلا إذا أظهر الجور على الناس، وكان ذلك سنة ست وستين، فعظم أمره وأمرهم حتى استولى على البحرين وحضرموت والطائف[٧].

ثم كتب نجدة إلى نافع كتاباً يقرّعه فيه ويسفّه آراءه، ويذكّره بماضيه المشرق، وينعي عليه ما أحدثه من أقوال، مفنداً آراءه واحداً بعد آخر، فأنكر عليه تكفيره للقعدة، وقتله للأطفال، وغير ذلك من مسائل، فما كان من ابن الأزرق إلا أن ردّ عليه بكتاب، مدافعاً عن آرائه، متأولاً بعض الآيات من القرآن الكريم، مستدلاً بها على صحة ما ذهب إليه، على نحو ما تقدّم معنا في فصل سابق.

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٠٢ و١٢٠٥ و١٢٠٩.

(٢) ومن هؤلاء: أبو فديك، وعطية بن الأسود الحنفي، وراشد الطويل، ومقلاص، وأيوب الأزرق، وجماعة من أتباعهم. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٧.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٧.

(٤) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٧، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٤، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٣.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٣.

(٦) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٧.

(٧) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٧٤.

ثم كانوا كشأنهم يختلفون في أمور تافهة، ثم ينقسمون عقب ذلك الاختلاف إلى فرق يكفّر بعضها بعضاً ويسفّه بعضها آراء بعض، ليصل الخلاف في كثير من الأحيان إلى القتال، لقد اختلفوا على أميرهم نجدة لأمور نقموها عليه، منها:

١ ـ أنه بعث جنداً للغزو في البرّ وجنداً في البحر، ثم فضل في العطاء من بعثه في البحر، فأنكروا عليه وقالوا: لم يكن من حقه أن يفضل هؤلاء.

٢ ـ وبعث جنداً إلى المدينة حتى أغاروا عليها وسبوا جارية من أولاد عثمان بن عفان، وكاتبه في ذلك المعنى عبد الملك بن مروان، فاشتراها عمّن كانت في يده وبعثها إلى عبد الملك بن مروان، فأخذوا عليه هذا، وقالوا: إنه ردّ جارية غنمناها إلى عدونا وقالوا له تب فتاب[١].

٣ ـ ومنها أنه تولى أصحاب الحدود من أصحابه، وقال: لعل الله يعفو عنهم، وإن عذبهم ففي غير النار، ثم يدخلهم الجنة، وهو في هذا يخالف المبدأ العام وهو تكفير مرتكب الكبيرة، وكأن نجدة بهذا يرى أنه إذا كان مرتكب الذنب من المنتمين للخوارج عفا الله عنهم، وأما غيرهم فجنس آخر لا يعفو الله عنه[٢]!

٤ ـ ومنها أنه استعمل ابنه[٣] على القطيف، فخرج في غزوة وقاتل وسبى وغنم، وكان في عداد غنائمه بعض النسوة، فنكحوهن قبل أن يقسمن، كما أكلوا من الغنائم قبل أن توزع على أصحابها، فلما عادوا إلى نجدة واستفتوه بالأمر، أنكر عليهم، فاحتجوا بجهلهم، وأن ذلك لا يسعهم، فعذرهم نجدة بجهالاتهم[٤]، وتابعه أصحابه على ذلك، فسمُّوا بالعاذرية[٥].

ونقموا على نجدة أيضاً أنه فرّق الأموال بين الأغنياء، وحرم ذوي الحاجة منهم، فبرىء منه أبو فديك وكثير من أصحابه، فوثب عليه أبو فديك فقتله، وبويع

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٧، البغدادي: الفرق بين الفرق ص٨٨، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٥، ١٧٦، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٣.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٩.

(٣) واسمه المضرّج كما في الفرق بين الفرق، ص٨٨.

(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٤، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٨، ٨٩.

(٥) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٧، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٧، ٨٨، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٣، ١٢٤، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٥.

له، ثم إن أصحاب نجدة أنكروا ذلك على أبي فديك، وتولّوا نجدة، وتبرّؤوا من أبي فديك، وكتب أبو فديك إلى عطية بن الأسود وهو عامل نجدة بالجوير يخبره أنه أبصر ضلالة نجدة، فقتله، وأنه أحق بالخلافة منه، فكتب عطية إلى أبي فديك أن يبايع له مَنْ قِبَلَهُ، وأبى ذلك أبو فديك، فبرىء كلّ واحد منهما من صاحبه، وصارت الدار لأبي فديك، وصاروا معه، إلا من تولّى نجدة، فصاروا ثلاث فرق[1] كما سيأتي تفصيله.

وهكذا اشتدّ الخلاف بينهم حول أمور تافهة، فخرجت طوائف على نجدة وأنكروا إمارته ـ بادىء الأمر ـ ثم قتلوه.

وقد انقسموا إلى ثلاث فرق:

أ ـ فرقة خرجت إلى سجستان مع عطية بن الأسود الحنفي، ولذلك كانوا يسمّون بالعطوية.

ولم يحدث عطية بن الأسود قولاً أكثر من أنه أنكر على نافع ما أحدثه من أقاويله، ففارقه، ثم أنكر على نجدة ما حكينا عنه، ومضى إلى سجستان[2].

ب ـ وفرقة ثانية ثارت على نجدة وقتلته، وأقامت مكانه أبا فديك، فسميت بالفديكية[3]، وهي أقوى الفرق النجدية شكيمة، وقد وضعت يدها على ما كان نجدة استولى عليه، واستمرّ أمرها على هذا النحو من القوة، إلى أن أرسل إليها عبد الملك بن مروان جيشاً هزمهم، وبعث برأس أبي فديك إلى عبد الملك؛ وبذلك انتهى ما لهذه الفرقة من سلطان.

ت ـ والفرقة الثالثة ـ وهي النجدية ـ بقيت موالية لنجدة وعذرته فيما نسب إليه، وقالوا له: كان لك أن تجتهد ولم يكن لنا أن نستتيبك فتب من توبتك، فتاب، واختلفوا عليه كما ذكرنا إلى أن قتله أبو فديك[4].

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٧٦، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٤.
(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٧٦.
(٣) الملطي: التنبيه، ص١٨٠.
(٤) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٨، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٨، ٩٠، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٧٦، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٣.

وبقي أبو فديك بعد قتل نجدة إلى أن بعث إليه عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله التميمي في جند، فقتلوا أبا فديك وبعثوا برأسه إلى عبد الملك بن مروان[١].

وكان نجدة بن عامر رديًا مرديًا، قتل الأطفال، وسبى النساء، وأهرق الدماء، واستحلّ الفروج والأموال، وكان يكفّر السلف والخلف، ويتولّى ويتبرّأ[٢].

آراء النجدات ومعتقداتهم:

١ ـ يرى النجدات أن قتل من خالفهم واجب، وأكثر الخوارج بسجستان على هذه المقالة[٣].

٢ ـ خالف النجدات الأزارقة في تكفير قعدة الخوارج واستحلال قتل الأطفال، وأكل الأمانات.

٣ ـ كما خالفوهم في حكم أهل الذمّة الذين يكونون مع مخالفيهم، فالأزارقة قالوا إنه لا تباح دماؤهم احتراماً لذمتهم التي دخلوا بها في أمان أهل الإسلام، وقال النجدات إنه تباح دماؤهم كما أبيحت دماء من يعيشون في كنفهم من المسلمين[٤].

٤ ـ وجميع النجدات يرون أن إقامة إمام ليست واجباً شرعياً، بل هي واجبة وجوباً مصلحياً، بمعنى أنه إذا أمكن المسلمين أن يراعوا العدل والإنصاف فيما بينهم، وأن يتواصوا بالحق فيما بينهم ويطبقوه على أكمل وجه، لم يكونوا بحاجة إلى إقامة إمام، فإن أخفقوا في تحقيق هذا الأمر، وكان لا بدّ للناس من إمام لإقامة العدل بينهم جاز لهم ذلك[٥].

٥ ـ والنجدات يخالفون الأزارقة بشأن من ثقل عن الهجرة إليهم، فهو في عرفهم منافق ليس غير، وحكي عنهم أنهم يستحلُّون دماء أهل المقام وأموالهم إذا كان مقامهم في دار التقيّة، ويتبرّأون ممّن يخالفهم بذلك[٦].

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٠، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٦.
(٢) الملطي: التنبيه، ص٥٢.
(٣) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٢.
(٤) المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٦.
(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٤، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٥، باختصار: الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٥، وابن حزم: الفصل في الملل، ٣/ ١٢٥.
(٦) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٥، وابن حزم: الفصل في الملل، ٣/ ١٢٥.

٦ ـ والمشهور عنهم أنهم يجيزون العمل بالتقية قولاً وعملاً، وهذا ما ميّزهم عن فرق الخوارج الأخرى، بأن يظهر الخارجي أنه جماعي حقناً لدمه، ومنعاً للاعتداء عليه، ويخفي عقيدته حتى يحين الوقت المناسب لإظهارها. وقد ذكر الشهرستاني أن نجدة أجاز التقية، واحتج بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: ٢٨]، وينقل عن الكعبي أن النجدات كانوا يجنحون إلى الأخذ بالتقية في القول والعمل، ولو كان في قتل النفوس[1].

٧ ـ أما فيما يخصّ ارتكاب الذنوب، فقد أغلظ نجدة على الناس في حدّ الخمر[2]، ولكنه لم يخرج مرتكبه من دائرة الإسلام[3]، ويبدو أنهم يفرّقون بشكل واضح بين من يرتكب الذنوب ويصرّ عليها، وبين من يرتكبها من غير إصرار، فيرون أن من كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصرّ عليها فهو مشرك، ومن زنى، وسرق، وشرب الخمر غير مصرّ عليه فهو مسلم، إذا كان من موافقيه على دينه[4].

٨ ـ ويرى النجدات أن الدين أمران: أحدهما معرفة الله ومعرفة رسله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة، فهذا واجب معرفته على جميع المسلمين، والأمر الثاني: هو ما سوى ذلك فالناس معذورون بجهالته حتى يقيم عليه الحجة في الحلال والحرام، فمن استحلّ باجتهاده شيئاً محرّماً فهو معذور، ومن خاف العذاب على المجتهد المخطىء، قبل قيام الحجة عليه فهو كافر[5].

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٤، ١٢٥.
(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٤، غير أن البغدادي ذكر أن زعيم النجدية قد أسقط حدّ الخمر. الفرق بين الفرق، ص٨٩.
(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٥.
(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٥، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٩، المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٦، وابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١١٠، وابن حزم: الفصل في الملل، ٣/ ١٢٥.
(٥) الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٥، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٨٩، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٥.

المبحث الرابع
الفرقة الرابعة: الصفرية[١]

اختلف اختلافاً كبيراً في نسبة هذه الفرقة، فقيل إنها تنتسب إلى عبد الله بن الصفّار في رواية المبرّد[٢]، وزياد بن الأصفر في روايات الأشعري والبغدادي والشهرستاني والمقريزي[٣]، وفي رأي آخر للمقريزي يجعلهم أتباع النعمان بن صفر، ولكنه يعقب فيقول: «وقيل بل نسبوا إلى عبد الله بن صفّار»[٤]،أما الملطي فيذهب بعيداً حين ينسبهم إلى المهلب بن أبي صفرة، ويرى أنهم خرجوا على الحجاج مع يزيد بن المهلب، وينسبهم في موضع آخر إلى عبيد بن الأصفر[٥].

وما ذهب إليه الملطي لا يقوى على التحقيق، ولا سند له، وليس في مصادر التاريخ الإسلامي ما يشير إليه من قريب أو بعيد، إلاّ ما وجدناه في التنبيه للملطي من نسبة الصفرية إليه.

وقد رجّح الدكتور نايف معروف أنهم أصحاب عبد الله بن صفار، الذي كان مع ابن الأزرق في بداية عهده، ثم انفصل عنه عند وقوع الخلاف بين قادة الخوارج، فقد قال الأشعري بأمر تفرّق الخوارج: «إنما هو قول الأزارقة والإباضية والصفرية والنجدية» وهذا يتفق مع الروايات التاريخية السالفة التي تردّ هذه الفرق إلى أصحابها الذين انشعبوا عن ابن الأزرق بعد أحداثه.

---

(١) في شرح المواقف للآيجي (٨/ ٤٢٥): الأصفرية.

(٢) المبرد: الكامل، ٣/ ١٢٢١، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ٢٣٤.

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٢، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٠، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٧.

(٤) المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٧.

(٥) الملطي: التنبيه، ص٥٢ و١٧٨، ويزعم الملطي أن هؤلاء قد خرجوا على الحجاج مع يزيد بن المهلب فقاتلوا الحجاج ولم يؤذوا الناس ولا كفروا الأمة، ولا قالوا بشيء من قول الخوارج الذين تقدّم ذكرهم حتى هزمهم الحجاج وأبادهم، ودخل يزيد في طاعته بعد ذلك، وكان سبب خروجه على الحجاج ـ فيما ذكره ابن الأثير ـ أن الحجاج عزل يزيداً عن إمرة خراسان سنة ٨٥هـ، وبدأ يضيق على آل المهلب. لمزيد من التفصيل انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير، ٤/ ٩٦.

ويضيف الدكتور معروف أن هذه الفرقة قد عرفت بأكثر من اسم لها، فيذكر المقريزي أن الصفرية كان يقال لها «الزيادية»، وربما كان ذلك في رأي من نسبهم إلى زياد بن الأصفر، كما كان يقال لهم: «النكار» من أجل أنهم ينقصون نصف علي وثلث عثمان وسدس عائشة[١]، وسمُّوا أيضاً بالأصفرية، ولعل هذه التسمية جاءت من شهرة زياد بن الأصفر[٢] ولكن الاسم الذي شهروا به عبر تاريخهم هو «الصفرية»، وزعم بعضهم أنه الصِّفرية (بكسر الصاد)[٣].

ويرى أكثر المتكلمين أنهم إنما سموا بالصفرية لصفرة علت وجوههم بعد أن نهكتهم العبادة[٤]، ويدعم هذا الرأي قول نصر بن عاصم الليثي[٥]، الذي كان خارجياً، ثم تركهم وصار مرجئاً:

فارقت نجدة والذين تزرقوا ... وابن الزبير وشيعة الكذاب
والصفر والآذان الذين تخيروا ... ديناً بلا ثقة ولا بكتاب[٦]

وهي بهذا المعنى تبدأ بصالح بن مسرّح كما يقول الدكتور أحمد شلبي، وقد استدل بما نقله عن الطبري، أن صالحاً هذا كان ناسكاً مخبتاً، مصفر الوجه صاحب عبادة[٧]، وهذا الكلام يخالف كل ما وقفنا عليه من روايات ولا يصح من باب.

وهناك رواية أخرى للمبرد تشير إلى أن «الصفرية» كانت علماً عاماً لجميع الخوارج منذ بداية أمرهم، لا لقباً خاصاً بفرقة منهم.

---

(١) المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٧.
(٢) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٣١، والإسفرائيني: التبصير، ص٤٨.
(٣) المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٧.
(٤) المبرد: الكامل، ٣/ ١٢٠٣، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ٢٣٤، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٧.
(٥) نصر بن عاصم الليثي: (٠٠٠ ـ ٨٩هـ = ٠٠٠ ـ ٧٠٨م) من أوائل واضعي النحو، قال أبو بكر الزبيدي: كان فقيهاً عالماً بالعربية، من فقهاء التابعين، وكان يرى رأي الخوارج، ثم ترك ذلك، وله في تركه أبيات، مات بالبصرة. الزركلي: الأعلام، ٨/ ٢٤.
(٦) المبرد: الكامل، ٣/ ١٢٢١.
(٧) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٢٧٦.

ورجح الدكتور معروف من خلال ما استعرضه من روايات، أن هذه التسمية قد أطلقت على الخوارج في أول أمرهم لما عرفوا به من كثرة العبادة حتى بدت على وجوههم، ثم اتخذها أصحاب ابن صفّار علماً لهم لما تحققه من هدف التأسي بأسلافهم، وفي الوقت نفسه تحقق غرضهم بالانتساب إلى إمامهم الجديد[١]، وفي تقديري أن هذا الاستدلال يجافي الحق والصواب، وهو استنتاج خاطىء لا علاقة بينه وبين أصل التسمية، والظاهر أنها جاءت نسبة إلى صاحبهم ابن صفّار كما ذكر المبرّد[٢].

وكان مبدأ ظهور هذه الفرقة، حين خرج نافع بن الأزرق إلى الأهواز، وكتب إلى حرورية البصرة يدعوهم إلى الخروج إليه، وأحدث ما أحدث بشأن القعدة وقتل الأطفال، فخالفه ابن إباض، وجاء ابن صفّار فخالف الاثنين وقال له: «برىء الله منك فقد قصّرت، وبرىء الله من ابن الأزرق فقد غلا، برىء الله منكما جميعاً»[٣]. وهكذا اتخذ ابن صفار موقفاً وسطاً بين الأزارقة المتطرفين، والإباضية المعتدلين، فلم يكفّروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد[٤]، لذلك صار ابن صفار أكثر أصحابه من الصفرية قعدية[٥].

وذكر الإسفرائيني[٦] أن الصفرية يقولون بإمامة أبي بلال مرداس الخارجي، ويقولون بعده بإمامة عمران بن حطان السدوسي، وكان خروج أبي بلال في أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة على عامله عبيد الله بن زياد، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامري في ألفي مقاتل، وكان زرعة يميل إلى رأي الخوارج، فلما اصطف العسكران قال زرعة: يا أبا بلال إني أعلم أنك على الحق، ولكننا لو لم نقاتلك يحبس عبيد الله بن زياد عطاءنا عنا، فقال أبو بلال: ليتني فعلت كما أمرني به أخي عروة، فإنه أمرني أن أستعرض الناس بالسيف، فأقتل كل من استقبلني، ثم هزمه أبو بلال

---

(١) نايف معروف: الخوارج، ص٢٣٦.
(٢) المبرد: الكامل، ٣/ ١٠٤١.
(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٩٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٣٣٧.
(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٧.
(٥) المبرد: الكامل، ٣/ ١٠٤١.
(٦) الإسفرائيني: (٠٠٠ ـ ٤٧١هـ = ٠٠٠ ـ ١٠٧٨م) طاهر بن محمد، أبو المظفر؛ عالم بالأصول، من الشافعية، تقدّمت له ترجمة في الأعلام (٣: ١٧٩) باسم «شهفور بن طاهر» كما سماه السبكي في طبقات الشافعية (٣: ١٧٥)، وفي كشف الظنون (١: ٤٣٠) هو «طاهر بن محمد»، ويقال: شهفور بن طاهر: عالم بالأصول، مفسّر، من فقهاء الشافعية. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٧٩ و٢٢٣.

فبعث عبيد الله بن زياد إلى قتال أبي بلال عباداً التميمي حتى حمل رأسه إلى عبيد الله بن زياد، فدعا عبيد الله عروة أخاه وقال له: يا عدو الله أمرت أخاك أن يستعرض المسلمين، قد انتقم الله تعالى منه، وأمر بصلب عروة، ثم إن الصفرية بعد أبي بلال بايعوا عمران بن حطان، وكان رجلاً شاعراً نسّابة، وكان يرثي مرداساً، ومن جملة ما رثاه به قوله:

أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

وكان من شقاوته أنه رثى عبد الرحمٰن بن ملجم بقوله:

يا ضربة من منيب ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

ومن كان اعتقاده على هذه الجملة لم تعترض أهل الديانة في كفره شبهة[١].

آراء الصفرية ومعتقداتهم:

ـ قولهم في الجملة كقول الأزارقة في جميع بدعهم، فيرون أن أصحاب الذنوب مشركون، ولكنهم خالفوا الأزارقة في مرتكب الكبيرة، فالأزارقة اعتبروه مشركاً، إلا أن الصفرية لم يكتفوا بتخليده في النار فرأوا أن كل ذنب له حدّ معلوم في الشريعة لا يسمى مرتكبه مشركاً ولا كافراً، بل يدعى باسمه المشتق من جريمته، يقال: سارق، وقاتل، وقاذف. وكل ذنب ليس فيه حد معلوم في الشريعة مثل الإعراض عن الصلاة فمرتكبه كافر، ولا يسمون مرتكب واحد من هذين النوعين جميعاً مؤمناً.

وقال فريق منهم أن المذنب لا يكون كافراً إلى أن يحدّه الوالي ويحكم بكفره[٢]، وهم يوافقون البيهسية في هذه النقطة.

ـ وقولهم كقول الأزارقة في فسّاق هذه الأمة، ولكنهم لا يبيحون قتل نساء مخالفيهم ولا أطفالهم[٣].

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٨، ٤٩، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٢، ٩٣.

(٢) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٨، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٧، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٩٧، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٠، ٩١.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٨، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩١، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٨٢، والمقريزي: الخطط، ٣/٤١٦.

ويبدو من خلال آراء الصفرية أنهم أقل تطرّفاً من الأزارقة، وأشدّ من غيرهم، يقول الدكتور محمود عبد الرازق: «إن عقائد الصفرية تمثل تطوراً عملياً ملحوظاً في فكر الخوارج وعقائدهم، أن تجنح إلى التخفيف من غلواء التطرّف الذي أفضى بحركاتهم إلى الفشل من قبل، فهم لم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم كالأزارقة، كما نادوا بجواز التقية في القول دون العمل[١]، وأجاز بعض زعمائهم تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية[٢] دون دار العلانية.

وقد كفل لهم ذلك معايشة الجماعة الإسلامية بدلاً من إشهار عدائهم لها، الأمر الذي أتاح لهم القدرة على الدعوة السرية المنظمة، لكنهم كانوا أكثر تطرفاً من الإباضية في موقفهم من مرتكبي الكبائر، ومن ثم مسألة «الكفر والإيمان»، فبينما رأى الإباضية أنهم موحّدون قال الصفرية بتكفيرهم»[٣].

ويحكى عن زياد بن الأصفر أنه قال: «نحن مؤمنون عند أنفسنا، ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله»، وقال: «الشرك شركان: شرك هو بطاعة الشيطان، وشرك هو عبادة الأوثان، والكفر كفران: كفر بإنكار النعمة، وكفر بإنكار الربوبية. والبراءة براءتان: براءة من أهل الحدود، سنّة، وبراءة من أهل الجحود فريضة»[٤].

وحكي عن الصفرية أيضاً أنها تصلي خلف من لا تعرف[٥]. ونقل ابن حزم[٦] عن طائفة منهم أنهم يقولون: «إن النبي ﷺ إذا بعث ففي حين بعثه في ذلك الوقت من ذلك اليوم لزم جميع أهل المشرق والمغرب الإيمان به، وأن يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع، فمن مات منهم قبل أن يبلغه شيء من ذلك مات كافراً»[٧].

---

(١) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٣١، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٧.
(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٧.
(٣) محمود عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب، ص٤٥، ٤٦.
(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٧.
(٥) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٥.
(٦) ابن حزم الأندلسي: (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ = ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، انتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، فتمالأوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنوّ منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية لَبلَة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٢٥٤.
(٧) ابن حزم: الفصل في الملل، ٣/ ١٢٦.

وقالت الصفرية بقول عبد الله بن إباض، ورأت القعود، حتى صار عامتهم قَعَداً[(١)].

ولقد أصاب الصفرية ما أصاب غيرها من فرق الخوارج، من اختلافات وتمزق وافتراق، فظهر من فرق الصفرية ثلاث فرق:

١ ـ فرقة تزعم أن صاحب كل ذنب مشرك، كما قالت الأزارقة.

٢ ـ وفرقة تزعم أن اسم الكفر واقع على صاحب ذنب ليس فيه حدّ، والمحدود في ذنبه خارج عن الإيمان وغير داخل في الكفر.

٣ ـ والثالثة: تزعم أن اسم الكفر يقع على صاحب الذنب إذا حدّه الوالي على ذنبه، وهؤلاء يتفقون مع فريق من البيهسية ذهبوا إلى هذا القول[(٢)].

وهذه الفرق الثلاث من الصفرية يخالفون الأزراقة في الأطفال والنساء.

ومنهم البيهسية:

وهم أتباع أبي بيهس[(٣)]، الذي كان في أول أمره مع نافع بن الأزرق، فلما

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٢١، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/ ١٨٧.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩١.

(٣) في الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٠٨): أبو بيهس هَيْصم بن عامر. وفي التبصير للإسفرائيني (ص٥٤)، وفي التنبيه للملطي (ص١٨٠): البيهسية أصحاب أبي بيهس هصيم بن عامر، وفي الملل والنحل للشهرستاني (ص١٢٥): هو الهيصم. وفي الخطط للمقريزي (٣/ ٤١٩): هو أبو البيهس الهيصم بن خالد من بني سعد. وفي شرح المواقف للآيجي (٨/ ٤٢٤): هو بيهس بن الهيصم بن جابر. وقال ابن قتيبة: البيهسية ينسبون إلى أبي بيهس من بني سعد بن ضبيعة بن قيس، واسمه هيصم بن جابر، وكان عثمان بن حيان والي المدينة قطع يديه ورجليه. المعارف، ص٣٣٩. وقال في لسان العرب: وبيهس من أسماء العرب، والبيهسية صنف من الخوارج نسبوا إلى أبي بيهس هيصم بن جابر أحد بني سعد بن ضبيعة بن قيس. ابن منظور: لسان العرب، ٦/ ٣١، مادة بيس.

وفي الأعلام للزركلي (٤/ ١٠٥): أبو بيهس: (٠٠٠ ـ ٩٤هـ = ٠٠٠ ـ ٧١٣م) هيصم بن جابر الضبعي، أبو بيهس: من بني سعد بن ضبيعة: رأس الفرقة البيهسية من الخوارج، كان فقيهاً متكلماً، من الأزارقة، وتفرق هؤلاء إلى فرق منها الإباضية، والصفرية والبيهسية، وكفر أبو بيهس نافع بن الأزرق وعبد الله بن إباض في بعض ما ذهبا إليه، وتبعته جماعة، وكان ذلك في أيام الوليد الأموي، وطلب الحجاج أبا بيهس، فهرب إلى المدينة، وظفر به واليها عثمان بن حيان المرّي، واعتقله، ولم يشتد عليه، إلى أن ورد كتاب من الوليد بقطع يديه ورجليه وصلبه، فقتل في المدينة وصلب.

خالف نافع أصحابه بما أحدثه من بدع ومخالفات، وكتب إلى خوارج البصرة بأمر دعوته، وخالفه بعض أصحابه، جاء أبو بيهس إلى ابن إباض، فقال له: «إن نافعاً قد غلا فكفر، وإنك قصرت فكفرت! تزعم أن من خالفنا ليس بمشرك، ومواريثهم والإقامة فيهم حلّ طِلق»، وأضاف قائلاً: «وأنا أقول: إنّ أعداءنا كأعداء الرسول ﷺ، تحلّ لنا الإقامة فيهم، كما فعل المسلمون في إقامتهم بمكة، وأحكام المشركين تجري فيها، وازعم أن مناكحهم ومواريثهم تجوز لأنهم منافقون يظهرون الإسلام وأن حكمهم عند الله حكم المشركين»[١].

وكان زعيم البيهسية في أول أمره من أتباع ابن الصفّار، ممّا جعل ابن حزم يردّ هذه الفرقة إلى صفرية الخوارج[٢]، بينما يجعلها البغدادي فرعاً من الإبراهيمية وهو يجافي الحق والصواب، وكل ما في الأمر أنهم تدخلوا في الخلاف الذي وقع بين الإبراهيمية والميمونية حول جواز بيع الأمة في دار التقية، وكان لهم رأي في هذا الخلاف[٣].

آراء البيهسية ومعتقداتهم:

١ ـ من مزاعم أبي بيهس أنه لا يقبل إسلام أحد من الناس حتى يقرّ بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسله ومعرفة ما جاء به محمد جملة، والولاية لأولياء الله سبحانه والبراءة من أعدائه، فكان لا بدّ لهذا الإنسان ليكون مسلماً حقاً من معرفة الشرع، وما جاء به من الوعيد معرفة عينية وتفسيره ليحترز منه، وهناك أمور يكفي معرفة أسمائها دون تفسيرها حتى يبتلى بها[٤].

٢ ـ وقالت البيهسية: الناس مشركون بجهل الدين، مشركون بمواقعة الذنوب، وإن كان ذنب لم يحكم الله فيه حكماً مغلظاً، ولم يوقفنا على تغليظه فهو مغفور، ولا يجوز أن يكون أخفى أحكامه عنا في ذنوبنا، ولو جاز ذلك جاز في الشرك[٥].

---

(١) المبرد: الكامل، ٣/١١٢٠، ١١٢١، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/١٨٦.
(٢) ابن حزم: الملل والنحل، ٣/١٢٦.
(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٨.
(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٩١، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٦.
(٥) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٩٥.

٣ ـ كما على المسلم ألا يأتي شيئاً إلاّ يعلم، فإذا جهل أمراً فعليه أن يقف عند حدود ما لا يعلم(١). ومذهبهم أن من لا يعرف الله تعالى وأسماءه وتفاصيل الشريعة فهو كافر(٢).

٤ ـ وبرىء أبو بيهس من الواقفية، وهم الذين وقفوا عند من واقع حراماً دون أن يعلم بحلّه أو بحرمته، إذ زعم أنه كان ينبغي عليه أن يعلم، لأن الإيمان يوجب العلم بالحق والباطل، وبذلك كان الإيمان عندهم إقرار وعلم، وليس هو أحدهما دون الآخر(٣).

٥ ـ وقد كفّروا مرتكب الكبيرة، ولكن من يجهل الدين من الناس ويواقع الذنوب فهو مشرك، أما إذا كان ذلك الذنب لا يقع في الأحكام المغلظة فإنه مغفور، إذ لا يجوز على الخالق أن يخفي أحكامه في الذنوب، فلو جاز ذلك لجاز في الشرك(٤).

٦ ـ وهم لا يرون حراماً إلا ما وقع عليه النص(٥)، لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ولكن الشهرستاني يقصر هذا القول على قوم منهم دون عامة البيهسية(٦).

٧ ـ كما قالوا إن التائب في موضع الحدود وفي موضع القصاص والمقرّ على نفسه يلزمه الشرك إذا أقرّ من ذلك بشيء وهو كافر؛ لأنه لا يحكم بشيء من الحدود والقصاص إلا على كافر يشهد عليه بالكفر عند الله(٧)، ولكنه لا يكفر حتى يرفع أمره إلى الإمام، فإذا أقام عليه الحدّ فحينئذ يكون قد كفر(٨).

٨ ـ ومن آرائهم أنهم يكفرون الرعية بكفر إمامها، إلا أن الأشعري يردّ هذا الاعتقاد إلى طائفة منهم، وهم الذين إذا تحققوا من كفر إمامهم، فقد أصبحت دياره

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٦.
(٢) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٢.
(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٦.
(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٩٥.
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٣/ ٢٢٧.
(٦) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٦.
(٧) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٩٥.
(٨) ابن حزم: الفصل في الملل، ٣/ ١٢٦، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٧، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٩، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٣٩٤.

ديار شرك، وأهلها جميعاً مشركون، وتركت هذه الطائفة الصلاة إلا خلف من تعرف، وذهبت إلى قتل أهل القبلة وأخذ الأموال، واستحلت القتل والسبي على كل حال[١].

وعلى الإمام إذا أبصر كفره فتاب منه أرسل إلى أهل حكمه كلهم يستتيبهم من الكفر وإن لم يشعروا به، فإن أبى أن يتوب منه وقال: ما لي أن أتوب ممّا لا شك فيه ولم أعلم به ضربت عنقه، وكفروا من خالفهم[٢].

٩ ـ ومن المزاعم التي تنسب إليهم، قولهم: لو أن رجلاً قطر قطرة خمر في جبّ فلا يشرب من ذلك الجبّ أحد إلا كفر، وإن لم يشعر؛ لأن الله عزّ وجل يوفق المؤمنين، في حين يزعمون لو أن رجلاً ضرب أباه كل يوم ألف سوط يبقى على إسلامه، وقالوا: من شك في ذلك كفر[٣].

١٠ ـ وادّعى بعض البيهسية أن الشراب حلال في أصله، ولا يرون دليلاً على تحريمه في إقلال أو إكثار، فأباحوا السكر ولم يروا إقامة أي حدّ على السكران، وهو غير مؤاخذ فيما يرتكبه في أثناء سكره[٤]، ولكن الشهرستاني يرى أن بعض البيهسية أباحوا السكر من الشراب فحسب[٥].

العوفية من البيهسية:

ومن البيهسية فرقة يقال لهم «العوفية»، وهم فرقتان:

أ ـ فرقة تقول: من رجع من دار هجرتهم ومن الجهاد إلى حال القعود نبرأ منهم.

ب ـ وفرقة تقول: لا نبرأ منهم؛ لأنهم رجعوا إلى أمر كان حلالاً لهم.

وكلا الفريقين من «العوفية» يقولون: إذا كفر الإمام فقد كفرت الرعية، الغائب منهم والشاهد[٦].

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٩٤، ١٩٥ و٢٠٥، الإسفرائيني: التبصير، ص٥٤، والملطي: التنبيه، ص١٨٠.

(٢) الملطي: التنبيه، ص١٨٠.

(٣) المرجع نفسه، ص١٨٠، وابن حزم: الملل والنحل، ٣/١٢٦.

(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٩٥، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٩.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٧.

(٦) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٩، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٩٢، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٦.

والبيهسية يبرؤون منهم، وهم جميعاً يتولون أبا بيهس.

وقالت العوفية من البيهسية: السكر كفر، ولا يشهدون أنه كفر حتى يأتي معه غيره كترك الصلاة وما أشبه ذلك؛ لأنهم يعلمون أن الشارب سَكِرَ إذا ضمّ إلى سكره غيره ممّا يدلّ على أنه سكران[١].

ـ كما كان للبيهسية رأي في الخلاف الذي وقع بين الإبراهيمية والميمونية حول بيع الأمة في دار التقية، فقالوا إن ميموناً كفر بأن حرّم بيع الأمة في دار التقية من كفار قومنا، وكفرت الواقفة بأن لم يعرفوا كفر ميمون وصواب إبراهيم، وكفر إبراهيم بأن لم يتبرّأ من الواقفة.

قالوا: وذلك أن الوقوف ليس فيما يسع الأبدان، وإنما الوقوف على الحكم بعينه ما لم يوافقه أحد، فإذا وافقه أحد من المسلمين لم يسع من حَظَر ذلك إلا أن يعرف من عرف الحق ودان به، ومن أظهر الباطل ودان به[٢].

أصحاب التفسير والسؤال من البيهسية:

أ ـ ومن البيهسية فرقة يسمون «أصحاب التفسير» كان صاحب بدعتهم رجلٌ يدعى «الحكم بن مروان» من أهل الكوفة.

زعم أن من شهد على المسلمين لم تجز شهادتهم إلا بتفسير الشهادة: كيف هي؟

قال: ولو أن أربعة شهدوا على رجل منهم بالزنا لم تجز شهادتهم حتى يشهدوا كيف هو؟

وهكذا قالوا في سائر الحدود، فبرئت منهم البيهسية على ذلك، وسمُّوهم «أصحاب التفسير»[٣].

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٩٦، الإسفرائيني: التبصير، ص٥٤، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٩، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٧.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٨، ١٠٩، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٩١، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٥، ١٢٦.

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٩٥، ١٩٦، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٦.

ب ـ وصنف يقال لهم أصحاب السؤال، قالوا: إن الرجل يكون مسلماً إذا شهد الشهادتين، وتبرّأ، وتولّى، وآمن بما جاء من عند الله جملة، وإن لم يعلم فيسأل ما افترض الله عليه، ولا يضرّه أن لا يعلم حتى يبتلى به فيسأل، وإن واقع حراماً يعلم تحريمه فقد كفر[١].

ومنهم الشبيبية:

وهم أتباع شبيب بن يزيد الشيباني (أبو الصحاري)[٢]، وقد تسمّى هذه الفرقة «صالحية» لانتسابهم إلى رجل اسمه صالح بن مسرّح التميمي الخارجي، وكان شبيب هذا من أصحابه، ثم تولّى الأمر بعده على جنده؛ وكان السبب في ذلك أن صالح بن مسرّح التميمي كان مخالفاً للأزارقة، وقد قيل: إنه كان صُفْرياً، وقيل: إنه لم يكن صفرياً ولا أزرقياً، وكان خروجه على بشر بن مروان[٣] في أيام ولايته على العراق من جهة أخيه عبد الملك بن مروان، وبعث بشر إليه بالحارث بن عميرة.

وذكر المدائني[٤] أن خروج صالح كان على الحجاج بن يوسف، وأن الحجاج بعث بالحارث بن عمير إلى قتاله، وأن القتال وقع بين الفريقين على باب حصن جلولاء، وانهزم صالح جريحاً، فلما أشرف على الموت قال لأصحابه: قد استخلفت عليكم شبيباً، وأعلم أن فيكم من هو أفقه منه، ولكنه رجلٌ شجاع مهيب في عدوكم، فليُعِنْهُ الفقيه منكم بفقهه، ثم مات، وبايع أتباعه شبيباً[٥].

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٧.

(٢) هم أصحاب شبيب النجراني كما في مقالات الإسلاميين للأشعري، ١/ ١٩٢، والمقريزي: ٣/ ٤١٨.

(٣) بشر بن مروان: (٠٠٠ ـ ٧٥هـ = ٠٠٠ ـ ٦٩٤م) بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، أمير، كان سمحاً جواداً، ولي إمرة العراقين البصرة والكوفة لأخيه عبد الملك سنة ٧٤هـ، وهو أول أمير مات بالبصرة، توفي عن نيف وأربعين سنة. الزركلي: الأعلام، ٢/ ٥٥.

(٤) المدائني: (١٣٥ ـ ٢٢٥هـ = ٧٥٢ ـ ٨٤٠م) علي بن محمد بن عبد الله أبو الحسن: رواية مؤرّخ، كثير التصانيف، من أهل البصرة، سكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد، فلم يزل بها إلى أن توفي. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٣٢٣.

(٥) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٩، ١١٠، الإسفرائيني: التبصير، ص٥٤، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٨.

وكان شبيب بطلاً مغواراً، شجاعاً، مقداماً، رابط الجأش، لم يعرف الخوارج في عصورهم المتأخرة أشد منه بأساً، حتى إنه ليذكرنا بأبطالهم الأوائل أمثال نافع بن الأزرق وقطري بن الفجاءة.

خرج شبيب على الأمويين ـ بعد توليه قيادة الخوارج ـ سنة ست وسبعين فدوّخ جيوش الحجاج، وأزعج خلفاء بني أمية، وقتل أربعة وعشرين من أمراء جيوشهم، وسجّل انتصارات باهرة عليهم، واستطاع أن يدخل الكوفة مرّتين، وأن يثير الفزع والرعب في نفوس أهل العراق، حتى ضاق الأمويون به ذرعاً، ولكن الحجاج صمد له، وأرسل إليه الجيوش واحداً بعد آخر، حتى نجح في القضاء عليه في سنة ٧٧، أو ٧٨هـ[١].

وكان من قصة شبيب في أول أمره أنه قصد بالشام روح بن زنباع[٢]، ونزل عنده والتمس منه أن يسأل أمير المؤمنين حتى يجعل عطاءه مساوياً لعطاء أهل الشرف، فسأله ذلك، فقال عبد الملك بن مروان: هذا رجل لا أعرفه. فقال شبيب: يوشك أن يعرفني. وجمع شبيب الصالحية من الخوارج مع أصحابه من بني شيبان وغلب على حد كسكراي المداين، فبعث الحجاج إليه ألف فارس فهزمهم، فبعث إليه ألفين فهزمهم، وكان لا يزال يزيد في العساكر يبعثهم إليه وهو يهزمهم حتى هزم عشرين جيشاً من عساكره في مدة سنتين. ثم هجم على الكوفة بالليل مع ألف فارس من الخوارج، وكانت معه أمه غزالة وامرأته جهيزة[٣] مع مئة وخمسين امرأة، فتقلّدن

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٥٥٥ و٥٦٥ و٥٧٩، ابن الأثير: تاريخ، ٤/ ٤٤ و٦١، وابن كثير: البداية والنهاية، ٩/ ١٢ و١٨ و٢٠.

(٢) روح بن زنباع: (٠٠٠ ـ ٨٤هـ = ٠٠٠ ـ ٧٠٢م) بن روح بن سلامة الجذامي، أبو زرعة: أمير فلسطين، وسيد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها، قيل: له صحبة، كان عبد الملك بن مروان يقول: جمع روح طاعة أهل الشام، ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز، وله مع عبد الملك وغيره أخبار. الزركلي: الأعلام، ٣/ ٣٤.

(٣) ما ذكره الذهبي وابن قتيبة خلاف ما ورد ههنا، حيث ذكرا أن غزالة زوج شبيب وجهيزة أمّه. الذهبي: العبر، ١/ ٦٤، وابن قتيبة: المعارف، ص٢٣٢. وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم، هرب منها الحجاج فعيّره بعض الشعراء بقوله:

أسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

السيوف، واعتقلن الرماح، فقتل حراس الكوفة، وأمر أمه حتى صعدت مِنبر الكوفة وخطبت[١]، فقال خزيمة بن فاتك الأسدي في وصف تلك الحالة:

أقامت غزالة سوق الضرار ... لأهل العراقين حولاً قميطا
سمت للعراقين في جندها[٢] ... فلاقى العراقان منها أطيطا

وصبر الحجاج تلك الليلة في داره حتى اجتمع جنده لوقت الصبح، وصلّى شبيب في مسجد الكوفة صلاة الصبح بجنده، وقرأ في الصلاة[٣] سورة البقرة، وآل عمران، ثم قصده الحجاج بأربعة آلاف فارس، والتحم القتال بين الفريقين في سوق الكوفة حتى قتل أكثر أصحاب شبيب، وفرّ مع من بقي من أصحابه، وانحاز إلى ناحية الأنبار، وخرج الحجاج على أثره فانهزم إلى ناحية الأهواز، فبعث الحجاج على أثره سفيان بن الأبرد في ثلاثة آلاف من المقاتلة، فلحقوه في موضع يقال له دجيل، ففرّ شبيب، وفيما كان يعبر الجسر بحصانه، وعليه الكثير من الزرد والحديد والدروع، فأمر سفيان بقطع الجسر، فانقلب به ومات غريقاً وهو يقول: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

ثم أمر سفيان بإعادة الجسر، وعبره وقصد من بقي من أصحاب شبيب، وكانوا قد بايعوا أم شبيب، فلم يزل بهم حتى قتل أكثرهم، وقتل أم شبيب، وأمر الغواصين فأخرجوا شبيباً من الماء، وبعث برأسه ومن كان قد أسر من أصحابه إلى الحجاج[٤].

آراء الشبيبية ومعتقداتهم:

١ ـ مذهب الشبيبية هو من المذاهب البيهسية، إلا أن شوكة شبيب وقوته ومقاماته مع المخالفين مما لم يكن لخارج من الخوارج[٥].

---

(١) وعند الملطي أن التي صعدت المنبر هي امرأته، وكانت جعلت ذلك عليها نذراً فوفت بنذرها، وقال إن أمه ماتت وهو رضيع، فأرضع بلبن أتان لهم، فخرج شديد البدن. التنبيه، ص٥١. وفي البدء والتاريخ أنها نذرت أن تبول على منبر مسجد الكوفة ففعلت، ٦/ ٣٣.

(٢) في الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١١٢): في جيشها.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٥، ٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ٩/ ١٢، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص١١١ ـ ١١٣.

(٤) في الخطط للمقريزي (٣/ ٤١٨) أن أمه غزالة هي التي صلّت الصبح بالناس، وقرأت البقرة وآل عمران.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٨.

وقد لخص أحد أسرى الشبيبية مبادىء جماعته حين وقف مع أصحابه بين يدي الحجاج في انتظار الإطاحة برأسه، فلما حان دوره طلب إلى الحجاج أن يمهله حتى يقول كلمات يختم بهن عمله، ثم أنشد فقال:

أبرأ إلى الله من عمرٍو وشيعته ... ومن علي ومن أصحاب صفين
ومن معاوية الطاغي وشيعته ... لا بارك الله في القوم الملاعين[(١)]

٢ ـ وخالف شبيب سلفه صالحاً في شيء واحد، وهو: أنه مع أتباعه أجازوا إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمورهم وخرجت على مخالفيهم، وزعموا أن غزالة أم شبيب كانت الإمام بعد قتل شبيب إلى أن قتلت، واستدلوا على ذلك بأن شبيباً لما دخل الكوفة أقام أمه على منبر الكوفة حتى خطبت[(٢)].

٣ ـ ومن مزاعم الشبيبية أن الرجل يكون مسلماً إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتولى أولياء الله، وتبرأ من أعدائه، وأقرّ بما جاء من عند الله جملة، وإن لم يعلم سائر ما افترض الله سبحانه عليه مما سوى ذلك أفرض هو أم لا، فهو مسلم حتى يبتلى بالعمل به فيسأل.

٤ ـ وفارق الشبيبية «الواقفة» وقالوا في أطفال المؤمنين بقول الثعلبية: «إنهم مؤمنون أطفالاً وبالغين حتى يكفروا، وإن أطفال الكفار كفار أطفالاً وبالغين حتى يؤمنوا»، وقالوا بقول المعتزلة في القدر[(٣)].

٥ ـ والشبيبية يسمُّون مرجئة الخوارج لما ذهبوا إليه من الوقف في بعض أمور فعلها صالح بن مسرّح وحكم فيها، فبرئت من صالح فرقة فسميت الراجعة، وصوّب بعض الخوارج رأي صالح فيها، ووقف شبيب في صالح والراجعة وقال: لا ندري ما حكم به صالح كان حقاً أو باطلاً[(٤)]، وحق ما شهدت به الخوارج أم جور؟ فبرئت الخوارج منهم وسمُّوهم مرجئة الخوارج[(٥)].

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٦، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص١١٢، ١١٣.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١١٠، ١١١.

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٩٤.

(٤) وأما بعض الإباضية فذهبوا إلى أن الذين برئوا من صالح كفروا، وأن من وقف في كفرهم كفر، وأحسنوا الظنّ بشبيب، وقالوا: لم يكن مثله يبرأ منه، ويدلّ على ذلك أنه كان معه حتى قتل، فهو عندهم على أصل إيمانه. الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠٢.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٨.

ومنهم الراجعة:

ومن هؤلاء صنف يسمُّون «الراجعة» رجعوا عن صالح بن مسرّح وبرئوا منه لأحكام حكم بها.

وذلك أن بعض طلائع صالح أتاه فأعلمه أن فارساً على تلٍّ واقف ينظر إلى عسكره، فوجه إليه رجلين من أصحابه، فلما نظر إليهما الفارس ولّى مدبراً، فلحقاه، فطعنه أحدهما فصرعه، ونزلا ليقتلاه فقال لهما: أنا رجل مسلم وأنا أخو رِبْعيٍّ بن خراش، وكان ربعيّ بن خراش من رؤسائهم، فكفَّا عنه، وقالا له: هل يعرفك أحد في العسكر؟ قال: نعم، وسمّى رجلين من أصحاب صالح يسمّى أحدهما جبيراً، والآخر الوليد، فصار الفارسان به إلى عسكر صالح، فأخبراه بخبره، فدعا صالح جبيراً والوليد، فسألهما عنه، فقالا: نعرفه بالخبث والكفر، ونعرف أنه أخو ربعيّ، وقد أخبرنا ربعيّ بخبثه وعداوته للمسلمين، فأمر صالح بضرب عنقه، فقالت الراجعة: قتلت رجلاً مسلماً قد ادّعى الإسلام، فبرئوا بذلك من صالح.

ومنها: أنه أتاه رجلٌ من طلائعه فأخبره أن فارساً واقف على تلّ ينظر إلى العسكر بالليل، فبعث أبا عمر ويزيد بن خارجة، فلما نظر الفارس إليهما ولّى مدبراً، فطعنه أحدهما، وضربه الآخر بالسيف، ثم أتيا به صالحاً، فدفعه صالح إلى رجل من أصحابه وأوصاه به، وقال: إذا كان بالغداة فأتنا به حتى نقف على جراحته، وننظر أتصير إلى دية النفس، أو إلى دية الأرْش؟ فذهب الرجل إلى منزله وأباته عنده، فلما نام الرجل الذي من أصحاب صالح قام الأسير فهرب من الليل، فبرئت الراجعة من صالح، وقالوا: لم يبرأ من جراحته، وقد ادّعى أنه ذميّ.

ومنها: أن رجلاً من أصحابه يقال له صخر، قال لرجل منهم: هذا عدوّ الله، فلم يستتبه صالح من ذلك.

ومنها: أنه احتبس من الغنائم فرساً، فكان أصحابه يقترعون إذا أرادوا ركوبه، ويتنافسون في القتال عليه.

فاختلف أصحابه في هذه الأشياء، فبرئت منه فرقة فسمّيت «الراجعة» لرجوعها عنه، وصوّب أكثر الخوارج رأي صالح بن أبي صالح، ووقف شبيب في صالح بن أبي صالح والراجعة، وقال: لا ندري ما حكم به صالح كان حقاً أو باطلاً، ويقال: إن أكثر الراجعة عادوا إلى قول صالح، ويصوبونه فيما صنع.

فأما بعض الإباضية فيذهب إلى أن الذين برئوا من صالح كفروا، وأن من وقف في كفرهم كفر، وأحسنوا الظن بشبيب، وقالوا: لم يكن مثله يُبرَأُ منه، وقالوا: ويدلّ على ذلك أنه كان معه حتى قتل، فهو عندهم على أصل إيمانه[١].

ومن عجائب حال الخوارج أنهم يخطئون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقالوا: لمَ خرجت من بيتها والله تعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ثم صاروا تبعاً لغزالة، وجهيزة، وجوّزوا إمامتهما، فهلا تلوا هذه الآية عليهما ومنعوهما من الفتنة، غير أن الخذلان لا قياس عليه، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البَقَرَة: ٢١٣][٢].

وكان شبيبٌ هذا لا يقتل أحداً، ولا يسبي، ولا يستحلّ شيئاً مما حرّم الله إلا ما يستحله من الحجاج الثقفي وأصحابه، غير أنه كان يكفّر السلف والخلف، ويتبرّأ من الختنين[٣]، ويتولى الشيخين[٤].

المبحث الخامس

الفرقة الخامسة: العجاردة

هم أتباع عبد الكريم بن عجرد[٥]، وكان من أتباع عطية بن الأسود الحنفي[٦]، الذي كان في الأصل من أصحاب نجدة بن عامر، وقيل إنه من تلاميذ ابن بيهس، ولا مانع أن يكون قد تنقل بين هذا وذاك، ثم خرج عليه، وذهب بطائفة من النجدات

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ٢٠١، ٢٠٢.

(٢) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٦، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص١١٣.

(٣) هما ختنا رسول الله ﷺ: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

(٤) إذا ذكر هذا المصطلح في السير والمغازي، فإنه يراد به أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أما إذا ذكر في علوم الحديث، فالمقصود به مسلم بن الحجاج النيسابوري والبخاري.

(٥) في شرح المواقف للآيجي (٨/ ٤٢٦): هو عبد الرحمٰن بن عجرد.

(٦) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٩، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٣، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٨، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٧، ونقل الأشعري أن عبد الكريم بن عجرد كان من أصحاب أبي بيهس، خالفه وفارقه في بيع الأمة. مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٨.

إلى سجستان، ولهذا فإن فكر العجاردة قريب من فكر النجدات؛ لأنهم انبعثوا من أصل نحلتهم[(١)].

آراؤهم ومعتقداتهم:

ـ يرى العجاردة أن سورة يوسف ليست من القرآن؛ لأنها في شرح العشق والمعشوق، ومثل هذا لا يجوز أن يكون كلام الله عزّ وجلّ[(٢)].

ـ يجب البراءة من الطفل حتى يدعى إلى الإسلام، ولا يدعى إلى الإسلام إلا بعد بلوغه، فإذا بلغ وجب دعاؤه إلى الإسلام، وأما أطفال المشركين ففي النار مع آبائهم[(٣)].

ـ ومن مبادئهم أنهم يتولّون القعدة من الخوارج إن عُرفوا بالتقوى، وهم بذلك يخالفون الأزارقة الذين يرون وجوب الجهاد باستمرار، ولا يسيغون القعود عن القتال لِقادرٍ أيًّا كان سبب القعود.

ـ وكانوا لا يرون أن الهجرة من دار المخالفين واجبة، بل يرونها فضيلة.

ـ ولا يرون استباحة الأموال، ولا يباح مال مخالف إلا إذا قتل، ومن مبادئهم عدم قتل أطفال المخالفين، وهم بهذا يخالفون الأزارقة، وذلك أن الأزارقة أباحوا أموال مخالفيهم بكل حال[(٤)].

وكما نلاحظ فإن العجاردة قد أسرفوا في الحكم على الأطفال، وانفردوا عن غيرهم من فرق الخوارج بمجموعة من الأحكام، فقد أوجبوا البراءة من الأطفال، كما أوجبوا دعاءهم إلى الإسلام بعد بلوغهم، واشتدوا في حكمهم على أطفال المشركين، وقالوا إنهم في النار مع آبائهم، بينما نراهم يتساهلون في أمر الجهاد، فيتولون القعدة، خلافاً لأسلافهم من فرق الخوارج.

---

(١) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٧٧.

(٢) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٣، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٨، والقلقشندي: صبح الأعشى، ١٣/ ٢٢٩.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٩، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٣، المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٨، الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٦، وابن حزم: الفصل في الملل، ٣/ ١٢٦.

(٤) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٣، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٨.

اختلاف العجاردة فيما بينهم:

على نحو ما شهدناه من احتدام الخلاف بين فرق الخوارج لأتفه الأسباب، فقد أصاب العجاردة داء إخوانهم، فكان يحدث بينهم الجدل، لينتهي ـ في غالب الأحيان ـ إلى الاختلاف الذي كان يفضي إلى وقوع الانقسامات في صفوفهم، فتنقسم الفرقة إلى فرقتين، ثم تنقسم كل فرقة منها إلى فرقتين أو أكثر[١].

وهؤلاء الذين ينتحلون هذا المذهب افترقوا، فمنهم:

١ ـ الصلتية:

وهم أتباع عثمان بن أبي الصلت[٢]، وقيل: صلت بن عثمان، وقيل: صلت بن أبي الصلت، ويطلق الملطي على هذه الفرقة اسم الصليدية، ويرى بأنهم شرّ الخوارج وأقدرهم وأكثرهم فساداً، وكان لهم عدد وجمع بناحية سجستان ونواحيها[٣]. وهم يقتلون ويستحلون الأموال في سائر الأحوال.

ـ ويرى الصلتية أن من دخل في مذهبهم فهو مسلم[٤]، مما يعني أنهم يكفرون مخالفيهم.

ـ ويعتبر مذهبهم امتداداً لمذهب العجاردة في كثير من المعتقدات، فهم ينظرون إلى أطفال المسلمين وأطفال المشركين نظرة سواء، ويقولون: إنا نوالي كل من كان على مذهبنا، ولكننا نتبرّأ من أطفالهم إلى أن يبلغوا ونفرض عليهم الإسلام فيقبلوه، يريدون به عرض مذهبهم وقبوله[٥].

---

(١) ذكر البغدادي والآيجي أن العجاردة قد انقسموا إلى عشر فرق، الفرق بين الفرق، ص٩٤، وشرح المواقف، ٨/ ٤٢٦، بينما ذكر الأشعري أنهم صاروا خمس عشرة فرقة، مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٧.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٩، الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٣، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٧، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص١/ ١٧٩، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٧.

وفي شرح المواقف (٨/ ٤٢٧) للآيجي: هو عثمان بن أبي الصلت، وقيل: الصلت بن الصامت.

(٣) الملطي: التنبيه، ص٥٣.

(٤) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٣، الإسفرائيني: التبصير، ص٥١، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٧.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٩، الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٧، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٣٧، الإسفرائيني: التبصير، ص٥١، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٩.

ـ ويحكى عن جماعة من الصلتية أنهم قالوا: ليس لأطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة حتى يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقرُّوا أو ينكروا(١).

٢ ـ الخازمية(٢):

وكانوا أكثر عجاردة سجستان عدداً(٣)، وهم أصحاب حازم بن عليّ(٤)، وقد خالف الخازمية أكثر الخوارج في كثير من المسائل، وافقوا فيها أهل السنة، فقد وافقوهم في القدر والاستطاعة والمشيئة، يقول أهل السنة: أن لا خالق إلا الله، ولا يكون إلا ما شاء الله، وأن الاستطاعة مع الفعل، وأكفروا الميمونية الذين قالوا في باب القدر والاستطاعة بقول القدرية المعتزلة. ولكنهم يكفرون عثمان وعلياً والحكمين(٥).

ثم إن الخازمية خالفوا أكثر الخوارج في الولاية والعداوة، وقالوا: إنهما صفتان لله تعالى، وأن الله تعالى إنما يتولى العبد على ما هو صائر إليه من الإيمان، وإن كان في أكثر عمره كافراً، ويرى منه ما يصير إليه من الكفر في آخر عمره وإن كان في أكثر عمره مؤمناً، وأن الله تعالى لم يزل محباً لأوليائه ومبغضاً لأعدائه، وهذا القول منهم موافق لقول أهل السنة في الموافاة، غير أن أهل السنة ألزموا الخازمية على قولها بالموافاة أن يكون علي، وطلحة، والزبير، وعثمان من أهل الجنة؛ لأنهم من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقالوا لهم: إذا كان الرضا من الله تعالى عن العبد إنما يكون عن علم أنه يموت على الإيمان وجب أن يكون المبايعون تحت الشجرة على

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٩، وفي الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٩٨): فيقبلوا أو ينكروا، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٧.

(٢) ويروى في بعض كتب المقالات: الحازمية.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٤.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣١، وفي شرح المواقف (٨/ ٤٢٦): هو حازم بن عاصم.

(٥) الإسفرائيني: التبصير، ص٤٩، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٤، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٩، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٧.

هذه الصفة، وكان علي وطلحة والزبير منهم، وكان عثمان يومئذ أسيراً[١]، فبايع له النبي ﷺ، وجعل يده بدلاً عن يده، وصحّ بهذا بطلان قول من أكفر هؤلاء الأربعة[٢].

٣ ـ ومنهم المعلومية والمجهولية:

والفريقان جميعاً كانا من جملة الخازمية، فانشقت المعلومية وخالفوا أصحابهم من الخازمية، وقالوا: إن من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو جاهل به، والجاهل به كافر، حتى يصير عالماً بجميع ذلك فيكون مؤمناً.

ـ وزعموا أيضاً أن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى، ولكنهم قالوا في الاستطاعة والمشيئة بقول أهل السنة في أن الاستطاعة مع الفعل، وأنه لا يكون إلا ما شاء الله.

ـ وهذه الفرقة تدعي إمامة من كان على دينها وخرج بسيفه على أعدائه، من غير براءة منهم عن القعدة عنهم.

ـ أما المجهولية منهم فقولهم كقول المعلومية، غير أنهم قالوا: من عرف الله ببعض أسمائه فقد عرفه، وأكفروا المعلومية منهم في هذا الباب[٣].

٤ ـ ومنهم الحمزية:

وهم أتباع حمزة بن أدرك[٤]، الذي أظهر الكثير من البدع والفتن، وعاث في

---

(١) في الواقع أن عثمان لم يكن أسيراً، إنما بعثه رسول الله ﷺ إلى قريش حين صدّه المشركون عن دخول مكة، عندما جاء مع أصحابه للعمرة، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل، فقال: «لا نبرح حتى نناجز القوم»، ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه، وبايع رسول الله ﷺ لعثمان، ضرب بإحدى يديه على الأخرى، وقال: «هذه عن عثمان». لمزيد من التفصيل انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٣/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥.

(٢) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٦، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٤، ٩٥، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣١.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٠، الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٢٩، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٧، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٩، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٣، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٧.

(٤) المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٧، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٩، وفي الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٩٨): حمزة بن أكرك.

الأرض فساداً، في نواحي سجستان، ومكران، وقهستان، وكرمان، وهزم الجيوش الكثيرة، وكان في الأصل من العجاردة الخازمية، ثم خالفهم في كثير من المسائل[١].

وقد اشتهر حمزة هذا بالشدة والقسوة والعنف مع مخالفيه، وكان إذا قاتل قوماً وهزمهم أمر بإحراق أموالهم وعقر دوابهم، وكان مع ذلك يقتل الأسراء من مخالفيهم[٢].

وكان ظهوره في أيام هارون الرشيد[٣] في سنة تسع وسبعين ومائة[٤]، وبقي الناس في فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون، ولما استولى على بعض البلدان، جعل قاضيه أبا يحيى يوسف بن بشار، وصاحب جيشه رجلاً اسمه حيويه بن معبد، وصاحب حرسه عمرو بن صاعد، وكان معه جماعة من شعراء الخوارج كطلحة بن فهد، وأبي الجلندي، وأقرانهم، وبدأ بقتال البيهسية من الخوارج، وقتل الكثير منهم، فسمُّوه عند ذلك أمير المؤمنين، وقال الشاعر طلحة بن فهد في ذلك:

أمير المؤمنين على رشاد ... وخير هداية نعم الأمير
أمير يفضل الأمراء فضلاً ... كما فضل السُّهَا القمرُ المنير

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٥١.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٥١.

(٣) هارون الرشيد: (١٤٩ ـ ١٩٣هـ = ٧٦٦ ـ ٨٠٩م) بن محمد (المهدي) ابن المنصور العباسي، أبو جعفر: خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم، ولد بالريّ، لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان، ونشأ في دار الخلافة ببغداد، وولاه أبوه غزو القسطنطينية، فصالحته الملكة «ايريتي» وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار تبعث بها إلى خزانة الخليفة في كل عام، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي (سنة ١٧٠هـ)، فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه، واتصلت المودّة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب بشارلمان، فكانا يتهاديان التحف، وكان الرشيد عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحاً شجاعاً كثير الغزوات، حازماً كريماً متواضعاً، يحج سنة ويغزو سنة. لم يُرَ خليفة أجود منه، ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على بابه من العلماء والشعراء والكتّاب والندماء، وكان يطوف أكثر الليالي متنكراً، له وقائع كثيرة مع الروم، وهو صاحب وقعة البرامكة، وهم من أصل فارسي، وكانوا قد استولوا على شؤون الدولة، فقلق من تحكمهم فأوقع بهم في ليلة واحدة، توفي في (سناباذ) من قرى طوس، وبها قبره. الزركلي: الأعلام، ٨/ ٦٢.

(٤) انظر الخطط للمقريزي، ٣/ ٤١٧.

ثم إن حمزة أسرى سرية إلى الخازمية من الخوارج بناحية فلجرد، فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم قصد بنفسه هراة، فمنعه أهلها من دخولها، فاستعرض الناس خارج المدينة وقتل منهم الكثير، فخرج إليه عمرو بن يزيد الأزدي[١] ـ وهو يومئذ والي هراة ـ مع جنده فدامت الحرب بينهم شهوراً، وقتل من أرض هراة جماعة، فقتل من أصحاب حمزة هيصم الشاري[٢]، وكان داعية حمزة يدعو الناس إلى ضلالته، ثم أغار حمزة على كروخ من رستاق هراة، وأحرق أموالهم وعقر أشجارهم، ثم حارب ابن يزيد الأزدي بقرب يوشنج وقتل عمراً. ثم انتصب علي بن عيسى بن ماديان ـ وهو يومئذ والي خراسان ـ لحرب حمزة، فانهزم منه إلى أرض سجستان بعد أن قُتِل من قواده ستون رجلاً سوى أتباعه، فلما وصل إلى سجستان منعه أهل زرنج عن دخول البلد، فاستعرض الناس بالسيف في صحراء البلد. ثم تنكر لأهل زرنج بأن ألبس أصحابه السواد يوهمهم أنهم أصحاب السلطان، وأنذرهم بذلك منذر، فمنعوه من دخول البلدة، فعقر نخلهم في سوادهم، وقتل المجتازين في صحاريهم، ثم قصد نهر شعبة، وقتل بها الكثير من الخوارج الخلفية، وعقر أشجارهم، وأحرق أموالهم، وانهزم منه رئيس للخلفية اسمه مسعود بن قيس، وعبر في هزيمته وادياً وغرق فيه، وشك أتباعه في موته، وكانوا ينتظرون عودته، ثم رجع حمزة من كرمان، وأغار في طريقه على رستاق بُسْت من رساتيق نيسابور، وكان به قوم من الخوارج الثعالبة، فقتلهم حمزة، ودامت فتنته بخراسان، وكرمان، وقهستان، وسجستان إلى آخر أيام

---

(١) عمرو بن يزيد الأزدي: أظنه عمرو بن يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة، من ولد العتيك بن الأزد بن عمرو مزيقياء. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣٦٨.

(٢) هيصم الشاري: (٠٠٠ ـ ١٩٢هـ = ٠٠٠ ـ ٨٠٨م) الهيصم بن عبد المجيد الهمداني: ثائر، يماني، خرج على الرشيد العباسي في ولاية «حمّاد البربري» باليمن، نقمة على حماد، وتبعه خلق كثير، وقوي أمره في جبل مسور، فكتب حماد إلى الرشيد يستمده، فأمده بعشرة من قوّاد العراق وخراسان، واستأمن أخ للهيصم اسمه إبراهيم بن عبد المجيد إلى حماد، فأمنه، وكان ذلك بدء الضعف في حركة الهيصم، فاستولى حماد على جبال مسور، وهرب الهيصم إلى بعض جهات تهامة، فظفرت به الجيوش فيها، وأخذ محمولاً إلى حماد، فأرسله إلى الرشيد ومعه جماعة من أهله، فأمر الرشيد بضرب عنقه وصرف من كان معه إلى السجن ببغداد، وفي رواية أن حماداً البربري أسر الهيصم وابنة أخيه فصلبوا جميعاً بالرقة. الزركلي: الأعلام، ٨/ ١٠٥، بتصرف.

الرشيد، وصدر من خلافة المأمون[١] لاشتغال جند أكثر خراسان بقتال رافع بن ليث بن نصر بن سيّار[٢] على باب سمرقند، فلما تمكن المأمون من الخلافة كتب إلى حمزة كتاباً استدعاه فيه إلى طاعته، فما ازداد إلا عتوًّا في أمره، فبعث المأمون بطاهر بن الحسين[٣] لقتال حمزة، فدارت بين طاهر وحمزة حروب قتل فيها من الفريقين مقدار ثلاثين ألفاً أكثرهم من أتباع حمزة، وانهزم فيها حمزة إلى كرمان، وأتى طاهر على القعدة عن حمزة ممن كانوا على رأيه، وظفر بثلاثمائة منهم، فأمر بشدّ كلِّ رجل منهم بالحبال بين شجرتين قد جذبت رؤوس بعضها إلى بعض، ثم قطع الرجل بين الشجرتين، فرجعت كل واحدة من الشجرتين بالنصف من بدن المشدود عليها.

ثم إن المأمون استدعى طاهر بن الحسين من خراسان، وبعث به إلى منصبه، فطمع حمزة في خراسان، فأقبل في جيشه من كرمان، فخرج إليه عبد الرحمٰن النيسابوري في عشرين ألف رجل من غزاة نيسابور ونواحيها، فهزموا حمزة بإذن الله،

---

(١) المأمون: (١٧٠ ـ ٢١٨هـ = ٧٨٦ ـ ٨٣٣م) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس: سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، وأحد أعاظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين (سنة ١٩٨هـ)، فتمم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة، وأتحف ملوك الروم بالهدايا سائلاً أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بعدد كبير منها، وقرب العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين، وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والأنساب، وأطلق حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة، لولا المحنة بخلق القرآن في السنة الأخيرة من حياته، توفي في (بذندون) ودفن في طرسوس. الزركلي: الأعلام، ١٤٢/٤.

(٢) رافع بن ليث بن نصر بن سيار بن رافع بن حريّ بن ربيعة بن عامر بن عوف بن جندع القائم بسمرقند أيام الرشيد بدعوة بني أمية. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص١٨٣، ١٨٤.

(٣) طاهر بن الحسين: (١٥٩ ـ ٢٠٧هـ = ٧٧٥ ـ ٨٢٢م) بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدباً وحكمة وشجاعة، وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي، ولد في بوشنج (من أعمال خراسان) وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد، ولما مات الرشيد وولي الأمين، كان المأمون في مرو، فانتدب طاهراً للزحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالأمين وقتله (سنة ١٩٨هـ)، وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب، وبلاداً أخرى، وكان في نفس المأمون شيء عليه، لقتله أخاه (الأمين) بغير مشورته، ولعله شعر بذلك، فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون يوم جمعة، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة بمرو، وقيل: مات مسموماً. الزركلي: الأعلام، ٢٢١/٣.

وقتلوا الألوف من أصحابه، وانفلت منهم حمزة جريحاً، ومات في هزيمته هذه، وأراح الله عزّ وجل منه ومن أتباعه العباد والبلاد بعد ذلك، وكانت هذه الواقعة التي هلك بعدها حمزة الخارجي القدري من مفاخر أهل نيسابور، والحمد لله على ذلك[١].

- وخالف حمزة هذا الخازمية في القدر والاستطاعة، ورجع إلى قول القدرية فأكفرته الخازمية في ذلك.

ويرى حمزة أن أطفال المشركين في النار، فأكفرته القدرية في ذلك. ثم إنه والى القعدة من الخوارج مع قوله بتكفير من لا يوافقه على قتال مخالفيه من فرق هذه الأمة مع قوله بأنهم مشركون[٢].

- وكان يزعم أن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، وأن غنائمهم تحلّ لهم، وكان يأمر بإحراق الغنائم، وعقر دواب مخالفيهم[٣].

- ويقول الملطي عنهم أنهم «يقولون بكل قول الحرورية، غير أنهم لا يستحلون أخذ مال أحد حتى يقتلوه، فإن لم يجدوا صاحب المال لم يتناولوا من ذلك المال شيئاً دون أن يظهر صاحبه فيقتلوه، فإذا قتلوه حينئذٍ استحلوا ماله، وقد جعلوا هذا شريعة لهم»[٤].

- وهم يرون قتال السلطان خاصة ومن رضي بحكمه، فأما من أنكره فلا يرون قتله، إلا إذا أعان عليهم، أو طعن في دينهم، أو صار عوناً للسلطان أو دليلاً له[٥].
وجوّز حمزة إمامين في عصر واحد، ما لم تجتمع الكلمة، ولم تقهر الأعداء[٦].

---

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٩، ١٠٠.

(٢) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٤، المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٧، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٧.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٥١. بينما يذكر المقريزي خلاف ذلك فيقول أن حمزة كان لا يستحل غنائم أعدائه وكان يأمر بإحراق جميع ما يغنمه بهم. الخطط، ٣/ ٤١٧.

(٤) الملطي: التنبيه، ص٥٣، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٧.

(٥) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٧، وتجدر الإشارة إلى أن بعض علماء الفرق ينسبون هذا القول للميمونية.

(٦) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٠.

٥ ـ ومنهم الأطرافية:

وهم أصحاب غالب بن شاذان[١] من سجستان، وكانوا على مذهب حمزة في القدر، وهم يقولون: إن من لم يعلم أحكام الشريعة من أصحاب أطراف العالم فهو معذور، ولذلك سمُّوا أطرافية[٢].

ووافقوا أهل السنة في أصولهم وفي نفي القدر، أي إسناد الأفعال إلى قدرة العبد، وفي بعض النسخ: وفي نفي المقدرة المؤثرة عن العباد[٣].

٦ ـ ومنهم المحمدية:

أصحاب محمد بن رزق، وكان من أصحاب الحسين بن الرقّاد، ثم بريء منه[٤].

٧ ـ ومنهم الشعيبية:

وهم أصحاب شعيب بن محمد، الذي ذهب مذهب الخازمية في القدر[٥]، لخلاف نشأ بينه وبين ميمون بن عمران[٦]، وكان شعيب مديناً لميمون، فطالبه بماله، فقال شعيب: أؤديه إن شاء الله تعالى، فقال ميمون: الآن شاء الله ذلك، ألا تراه قد أمر به؟ فقال شعيب: لو كان الله شاء لم أقدر على مخالفته، فظهر بسبب ذلك الخلافُ بين العجاردة في مسألة المشيئة، فكتبوا هذه القصة إلى رئيسهم عبد الكريم بن عجرد، وهو محبوس في حبس السلطان[٧]، فكتب في جوابه: نحن نقول: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا نلحق بالله سوءاً.

---

(١) في الملل والنحل للشهرستاني (ص١٣٠): غالب بن شاذك.

(٢) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٤، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٠، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٦.

(٣) الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٧.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣١.

(٥) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٠، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٦، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٨، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣١، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٦.

(٦) ميمون بن عمران: (٠٠٠ ـ نحو ١٠٠؟هـ = ٠٠٠٠ ـ نحو ٧١٨؟م) رأس الفرقة الميمونية، وهي من فرق العجاردة، وهؤلاء من العطوية أصحاب عطية بن الأسود، من الخوارج، الزركلي: الأعلام، ٧/ ٣٤١.

(٧) كان في سجن خالد بن عبد الله البجلي كما ذكر الأشعري في مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٨.

فقال ميمون: من قال إنه لم يرد أن يؤدّي إلي حقي فقد ألحق به سوءاً، وقال شعيب: بل وافقني في الجواب، ألا تراه يقول: وما لم يشأ لم يكن.

وكما يلاحظ أن الإبهام في الإجابة أدّى إلى وقوع الخلاف بين العجاردة، حيث ادّعى كلّ منهما أن الإجابة توافق رأيه، فانقسم العجاردة إلى شعيبية وميمونية نتيجة هذا الخلاف، ومالت الخازمية وأكثر العجاردة إلى شعيب، ومالت الحمزية مع القدرية إلى ميمون[١].

- ويرى الشعيبية رأي العجاردة في حكم الأطفال، والقعدة، والتولّي والتبّري.

- ويقولون إن العبد مكتسب، ولا يقولون إنه موجد، غير أنهم يوافقون بقية الخوارج فيما عدا هذا من البدع[٢].

- ويقولون إن الله هو خالق أفعال العباد، وأنه لا شيء يقع في الوجود إلا بمشيئته تعالى[٣].

٨ - ومنهم الميمونية:

وهم أصحاب ميمون بن عمران[٤]، الذي ذهب في القدر مذهب المعتزلة، وكان في أوّل أمره من أصحاب عبد الكريم عجرد، ثم انفصل عنه للخلاف الذي وقع بينه وبين شعيب بن محمد على نحو ما تقدّم معنا قريباً، وقد أجاز ميمون نكاح بنات البنين وبنات البنات، وبنات أولاد الإخوة، وبنات أولاد الأخوات.

وهذا خلاف إجماع المسلمين، وهذا منه كفر زاده على قوله في القدر[٥].

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٠، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٦، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٨.

(٢) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٦.

(٣) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٦، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٨.

(٤) في الملل والنحل للشهرستاني (ص١٢٩): أصحاب ميمون بن خالد.

(٥) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٠، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٦، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٦، وذلك أنهم يقولون: إن الله حرّم البنات وبنات الإخوة وبنات الأخوات. الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٨، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٩، الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٦، وابن حزم: الفصل في الملل، ٣/ ١٢٦.

ـ وقد قال ميمون في القدر بقول المعتزلة، وذلك أنهم يزعمون أن الله سبحانه فوّض الأعمال إلى العباد، وجعل لهم الاستطاعة إلى كل ما كُلِّفوا، فهم يستطيعون الكفر والإيمان جميعاً، وليس لله سبحانه وتعالى في أعمال العباد مشيئة، وليست أعمال العباد مخلوقة لله، فبرئت منه العجردية[١].

ـ وحكى الآيجي والشهرستاني والبغدادي عن جماعة الميمونية إنكارهم كون سورة يوسف من القرآن، وحكى الأشعري هذا القول وذكر أنه لم يتحقق من صحة نسبته إلى الميمونية[٢].

ـ وهم يرون قتال السلطان ومن رضي بحكمه فرضاً، فأما من أنكره فلا يرون قتله، إلا إذا أغار عليهم، وطعن في دينهم، أو كان دليلاً للسلطان[٣].

ـ وذكر المقريزي أن الميمونية قد وافقوا الأزارقة إلا في شيئين:

أحدهما: قولهم أن البراءة تجب في الأطفال حيث يبلغوا ويصفوا الإسلام.

والثاني: استحلال أموال المخالفين لهم، فلم تستحلّ الميمونية مال أحد خالفهم ما لم يقتل المالك، فإذا قتل صار ماله فيئاً[٤].

وقد عدّ علماء الفرق الميمونية من الفرق الخارجة عن الملّة[٥].

٩ ـ ومنهم الخلفية:

وهم أتباع رجل يقال له خلف الخارجي، وكان خلف هذا من أتباع ميمون بن عمران القدري، ثم تاب ورجع عن أقواله إلى مذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر والمشيئة والاستطاعة، وقد بايعه خوارج مكران وكرمان على ذلك[٦]، وهم الذين قاتلوا حمزة الخارجي في أرض كرمان[٧].

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٧٧.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٢٩، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٧٨، والآيجي: شرح المواقف، ٨/٤٢٦.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٦.

(٤) المقريزي: الخطط، ٣/٤١٧.

(٥) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٦.

(٦) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٠، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٦، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٧٧، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٠، والآيجي: شرح المواقف، ٨/٤٢٦.

(٧) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٦.

ـ وقد خالف خلف هذا حمزة بن أدرك في القول بالقدر، وقال بالإثبات، فأضاف القدر خيره وشره إلى الله تعالى، وسلك في ذلك مسلك أهل السنة والجماعة[١].

ـ وقال الخلفية: «إن الحمزية ناقضوا حيث قالوا: لو عذب الله العباد على أفعال قدّرها عليهم، أو على ما لم يفعلوه كان ظالماً، وقضوا بأن أطفال المشركين في النار، ولا عمل لهم ولا ترك، هو ذا من أعجب ما يعتقد من التناقض»[٢]، وهو قول الأزارقة.

ـ والخلفية «لا يرون القتال إلا مع إمام منهم، وقد كفوا أيديهم لعدم من يصلح للإمامة»[٣].

١٠ ـ ومنهم الثعلبية[٤]:

وهم أتباع ثعلبة بن مشكان[٥]، وهؤلاء كانوا يقولون بإمامة عبد الكريم بن عجرد، ويقولون إنه كان الإمام إلى أن خالفه ثعلبة في حكم الأطفال، فصار على زعمهم كافراً، وكان ثعلبة إماماً، وكان سبب اختلافهم، أن رجلاً[٦] من العجاردة خطب بنت ثعلبة، فقال له: أظهر لنا مهراً وقدره، فبعث الخاطب إلى أم البنت وقال: تعرفيني عن أمرها هل بلغت هذه البنت وهل قبلت الإسلام؟ فإن كانت بالغة وللإسلام قابلة على الشرط لم يبالِ كم كان مهرها، فقالت الأم: هي مسلمة. فلما بلغ هذا الخبر إلى ثعلبة اختار أن يتبرّأ من أطفال المسلمين، وخالف في هذا عبد الكريم بن

---

(١) غير أن الرازي يحكي عنهم في القدر غير ذلك فيقول: «أتباع خلف، وهم لا يرون أن الخير والشر من الله تعالى». الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٥.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٠، والإسفرائيني: التبصير، ص٥٠.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٦، والإسفرائيني: التبصير، ص٥٠.

(٤) وفي التبصير للإسفرائيني (ص٥١)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٠٠)، ومقالات الإسلاميين للأشعري، (١/ ١٧٩) والملل والنحل للشهرستاني (ص١٣١)، وشرح المواقف للآيجي (٨/ ٤٢٧): الثعالبة.

(٥) وفي الخطط للمقريزي (٣/ ٤١٨)، والملل والنحل للشهرستاني (ص١٣١)، واعتقادات فرق المسلمين للرازي (ص٢٧): ثعلبة بن عامر.

(٦) واسمه عبد الجبار بن سليمان كما في مقالات الإسلاميين للأشعري، ١/ ١٩٠. وثعلب بن عامر كما في شرح المواقف للآيجي، ٨/ ٤٢٧.

عجرد، وبسبب هذا الخلاف تبرّأ أحدهما من صاحبه، وكان يكفر كلّ منهما صاحبه[١].

وقال ثعلبة في هذا الصدد: «إنا على ولايتهم صغاراً وكباراً حتى نرى منهم إنكاراً للحق، ورضىً بالجور» فتبرأت العجاردة من ثعلبة، وحكي عنه أيضاً أنه قال: ليس لهم حكم في حال الطفولية من ولاية وعداوة حتى يدركوا ويدعوا، فإن قبلوا فذلك وإن أنكروا كفروا»[٢].

وهذا الرأي هو ما ذكره الأشعري أيضاً في توقف الثعلبية عن البراءة والولاية والعداوة لأطفال المسلمين حتى يبلغوا فتتم دعوتهم[٣].

ويبدو أن الثعلبية قد وقفوا موقف الاعتدال في الأطفال؛ حيث خالفوا العجاردة الذين قرّروا البراءة منهم؛ فالثعلبية ـ بحسب الرأي الأول ـ قالوا بولاية الأطفال، وبحسب القول الثاني وقفوا منهم موقفاً وسطاً فلم يوالوهم ولم يتبرّأوا منهم.

وصارت الثعالبة بعد ذلك ستّ فرق[٤]:

أ ـ فرقة أقامت على إمامة ثعلبة، ولم تقل بإمامة أحد بعده، ولم يكترثوا لما ظهر فيهم من خلاف للأخنسيّة والمعبدية[٥].

ب ـ والفرقة الثانية: المعبديّة: وهم أصحاب معبد بن ثعلبة[٦]، وكان من الثعالبة، إلا أنه خالفهم في مسألة تزويج المسلمات من المشركين، وقال بأخذ الزكاة من العبيد، وجوّز دفعها إليهم وزعم بأن من لم يوافقه في هذه المقالة فهو كافر.

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٥١، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٠، ١٠١، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٩٠.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣١، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٩٠، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٨ باختصار.

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٠.

(٤) في شرح المواقف للآيجي (٨/ ٤٢٧): افترقوا إلى أربع فرق.

(٥) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠١.

(٦) في الفرق بين الفرق (ص١٠١): قالت بإمامة رجل منهم بعد ثعلبة اسمه معبد، وفي الملل والنحل للشهرستاني، (ص١٣٢) معبد بن عبد الرحمٰن.

وأتباعه يكفّرون جملة الثعالبة، والثعالبة يكفّرونهم[(١)].

ـ والمعبدية لا يجوّزون نكاح امرأة تخالف الدين[(٢)].

ت ـ **والفرقة الثالثة: الأخنسية**[(٣)]: وهم أصحاب أخنس بن قيس[(٤)]، وكان على مذهب الثعالبة في موالاة الأطفال، ثم خنس من بينهم وزعم أنه يجب التوقف في جميع من كان في دار التقية، إلا من عرفنا منه نوعاً من الكفر فحينئذٍ نتبرّأ منه، ومن عرفنا منه الإيمان فنواليه.

وكان يقول: إن قتل مخالفيهم في السر لا يجوز، ولا يجوز ابتداء أحد من أهل القبلة بالقتال حتى يدعوه أولاً إلى مذهبهم[(٥)].

وقيل إن الأخنسيّة جوّزوا تزويج المسلمات من مشركي قومهم أصحاب الكبائر، وقد تبرّأ منهم سائرهم[(٦)].

وهم يتبرأون من كل من لا يوافقهم ويسكن في بلاد مخالفيهم[(٧)].

فتبرّأت منهم الثعلبية وسمّوهم الأخنسية[(٨)].

ث ـ **والفرقة الرابعة: الشيبانية**: وهم أتباع شيبان بن سلمة الخارجي، وقد خرج في أيام أبي مسلم الخراساني، داعية العباسيين في أواخر الخلافة الأموية، وكان شيبان يعين أبا مسلم في حروبه، فكفرته الثعالبة والخوارج لمعاونته أبا مسلم، وكان معه، فتبرأت منه الثعالبة لمعاونته لأبي مسلم، وهو أول من أظهر القول بالتشبيه... تعالى

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٢، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠١، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٠، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٨.

(٢) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٨، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٢.

(٣) جاء في الخطط للمقريزي (٣/ ٤١٨) مصحفاً: الأحسنيّة.

(٤) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٢، والرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٨. وفي الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٠١)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٨٠)، والخطط للمقريزي (٣/ ٤١٧، ٤١٨): هم أتباع رجل منهم يعرف بالأخنس؛ لأنه خنس منهم، أي رجع عنهم، والأول أرجح.

(٥) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٢، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠١، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٠، المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٨، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٢، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٧.

(٦) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٢، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٧.

(٧) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٨.

(٨) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٠، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٨.

الله عن ذلك، وسائر الثعالبة، ثم خالفهم وقال: كلّ زرع يسقى بنهر، أو عين، ففيه نصف العشر، وقال: كل زرع سقي بماء السماء ففيه عشر كامل.

وكان يقول بمشيئة الله بخلقه، فأكفرته الثعالبة، وأهل السنة بقوله بالتشبيه، ولأنه ذهب إلى حدوث العلم لله، ومن مذهبه الجبر، وممّن أكفر شيبان الزيادية أصحاب زياد بن عبد الرحمٰن الشيباني لمناصرته لأبي مسلم[١].

ج ـ **والفرقة الخامسة: الرُشَيْدِيَّة**: وهم أصحاب رشيد الطّوسي، وكان من جملة الثعالبة، وكان يذهب مذهب الشيبانية بوجوب نصف العشر فيما سقي بالأنهار والقنى، فأخبرهم زياد بن عبد الرحمٰن أن فيه العشر، ولا تجب البراءة ممن قال فيه نصف العشر قبل هذا، فقال رشيد: إن لم تجز البراءة منهم فإنا نعمل بما عملوا، فافترقوا في ذلك، فكان من قوله فيما سقي بالعيون والأنهار نصف العشر، وإنما يجب العشر الكامل فيما سقته السماء[٢].

ح ـ **والفرقة السادسة: المكرمية**: والفرقة السادسة من الثعالبة، يقال لهم «المكرمية»، وهم أتباع أبي مكرم، وكان في أول أمره من الثعالبة، وكان يقول: من ترك الصلاة فقد كفر؛ لا لأنه ترك الصلاة، ولكن لأنه يكون جاهلاً بالله تعالى، وكان يقول: إن المذنبين كلهم جاهلون بالله، وكان يقول في الموالاة والمعاداة بالموافاة، وهو قول الخازمية كما تقدّم[٣].

---

(١) المقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٨، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٢، الإسفرائيني، التبصير، ص٥٢، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٢، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٠، ١٨١، الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٧، وابن حزم: الفصل في الملل، ٣/ ١٢٦.

(٢) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص٢٩، الإسفرائيني: التبصير، ص٥٢، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٢، وذكر الأشعري أن الرشيدية من الثعالبة تفرّدوا بأنهم كانوا يؤدون عما سقي بالعيون والأنهار الجارية نصف العشر، ثم رجعوا عن ذلك وكتبوا إلى المسمّى زياد بن عبد الرحمٰن فأجابهم، ثم أتاهم فأعلمهم أن في ذلك العشر، وأنه لا يجيز البراءة ممن غلط منهم في ذلك، فقال رجل منهم يسمّى رشيداً: إن كان يسعنا ألاّ نتبرأ منهم فإنا نعمل بالذي يعملون به، وثبت هو ومن معه على الفعل الأول، فبرئت منه الثعالبة وسمّوهم «العشرية». الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨١، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٨، باختصار.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٣، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٣، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٢، وفي الملل والنحل للشهرستاني (ص١٣٣)، وشرح المواقف للآيجي (٨/ ٤٢٧): هو مكرم بن عبد الله العجلي.
وفي الخطط للمقريزي (٣/ ٤١٨): أتباع أبي المكرم، وكذا في الملل والنحل لابن حزم ٣/ ١٢٧.

خ ـ ومنهم البدعية: أصحاب يحيى بن أصدم، أبدعوا القول بأن نقطع على أنفسنا بأن من اعتقد اعتقادنا فهو من أهل الجنة، ولا نقول: إن شاء الله؛ فإن ذلك شك في الاعتقاد، ومن قال: أنا مؤمن إن شاء الله؛ فهو شاك، فنحن من أهل الجنة قطعاً، من غير شك[1].

فهذا بيان فرق الثعالبة وبيان أقوالها.

المبحث السادس

الفرقة السادسة: الإباضية

وقع اضطراب كبير حول هوية صاحب هذه الفرقة، فقيل إنها تنتسب إلى عبد الله بن أباض[2]، وبينما يرى الشهرستاني أنه هو الذي خرج في أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية[3]، فإن الطبري يقول بأنه ابن إباض الذي كان مع نافع بن الأزرق قبل أن يدبّ الخلاف بينهما، وأنه انشعب عن ابن الأزرق فيما بعد[4].

وفي رواية للمقريزي أن الإباضية ينسبون إلى أُباض[5]، وخالفهم الملطي بقوله إنهم ينتسبون إلى إباض بن عمرو، خرجوا من سواد الكوفة، فقتلوا الناس، وسبوا الذرية، وقتلوا الأطفال، وكفروا الأمة، وأفسدوا العباد والبلاد، فمنهم اليوم بقايا بسواد الكوفة[6]، فيكون صاحبهم حسب هذه الرواية إباض بن عمرو، ويقول ابن

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٤.

(٢) عبد الله بن أباض، وفي كتاب الأنساب للسمعاني: إباض بكسر الهمزة.
انظر اعتقادات فرق المسلمين للرازي، ص٣٠، والتبصير للإسفرائيني، ص٥٢، والخطط للمقريزي، ٣/٤١٨، والفرق بين الفرق للبغدادي، ص١٠٣، والتنبيه للملطي ص١٧٨، والإيمان الأوسط لابن تيمية، ص٢٧.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٤، وكذا الرازي في اعتقادات فرق المسلمين، ص٣٠.

(٤) الطبري: تاريخ، ٣/٣٩٨، ٣٩٩.

(٥) المقريزي: الخطط، ٣/٤١٨، أُباض (بضم الهمزة) بلدة في أرض اليمامة.

(٦) الملطي: التنبيه والردّ، ص٥٢.

قتيبة[١] إنه من بني مرّة ابن عبيد من بني تميم[٢].

وترد الإباضية مذهبها إلى جابر بن زيد وطائفة من أكابر التابعين[٣]، إلا أن أبا نعيم في ترجمته له يخالف هذا الظن، حيث يفهم من خلال الروايات التي ساقها أن جابر بن يزيد لم يكن إباضياً قط[٤].

ويبدو أن هذا الادّعاء قد صادف هوىً في نفوس كثير من الباحثين، حتى أصبح عندهم من المسلّمات، ويرى الدكتور عامر النجار[٥] في هذا الصدد، أن الفضل في تنظيم أسلوب الدعوة الإباضية يعود إلى جابر بن زيد، حتى إن بعضهم يعدّه أول الأئمة[٦].

ولست أدري من يريد بهذا البعض!

وأضاف الدكتور النجار قائلاً: «ومما يتبين لنا أن جابر بن زيد كان المسؤول عن التنظيم السري الأباضي ما روي عند اعتقال أحد مشايخ الدعوة الإباضية المسمى أبو سفيان قنبر، وكان شيخاً كبيراً أخذ وجلد أربعمائة سوط على أن يدل على أحد من المسلمين فلم يفعل. قال جابر بن زيد: وكنت قريباً منه، وما كنت أنتظر إلا أن يقول هذا فعصمه الله»[٧].

---

(١) ابن قتيبة الدينوري: (٠٠٠ ـ ٣٢٢هـ = ٠٠٠ ـ ٩٣٤م) أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو جعفر: قاض، من أهل بغداد، له اشتغال بالأدب والكتابة، كان يحفظ كتب أبيه وهي ٢١ كتاباً في غريب القرآن والحديث والأدب والأخبار، ولي القضاء بمصر سنة ٣٢١هـ، فجاءها، وعرف فضله فيها فأقبل عليه طلاب العلوم والآداب، ويرجح (الكندي) أنه عزل بعد ثلاثة أشهر من ولايته، ويقول أكثر مؤرخيه أنه مات وهو على القضاء، وكانت وفاته بمصر. الزركلي: الأعلام، ١/١٥٦.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٣٩.

(٣) ذكر الأشعري أنهم يدّعون من السلف جابر بن زيد وعكرمة، ومجاهداً، وعمرو بن دينار. مقالات الإسلاميين، ١/١٨٨.

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣/٨٩.

(٥) عامر النجار: مصري، حاصل على درجة الدكتوراه، له مؤلفات كثيرة، منها: الإباضية ومدى صلتها بالخوارج، البهائية وجذورها البابية، التصوف النفسي، والخوارج.

(٦) عامر النجار: الخوارج، ص١٧٠.

(٧) عامر النجار: الخوارج، ص١٧٠، ١٧١، نقلاً عن السير للشماخي، ص٩٣.

ثم استدل الدكتور النجار بقول أبي زرعة[١] في جابر بن زيد: «بصري أزدي ثقة».

إلا أنه يورد رواية عن جابر بن زيد حين سئل عن انتحال الإباضية له، فقال: «أبرأ إلى الله من ذلك»[٢].

ويعلّق الدكتور النجار قائلاً: «وطبيعي[٣] أنه ليس من المعقول أن يقول جابر أنا إمامهم لسائله»[٤].

ورجّح الدكتور نايف معروف أن البذرة الأولى للمذهب الإباضي تعود إلى عبد الله بن إباض الذي كان مع نافع بن الأزرق، ثم انفصل عنه بعد أحداثه، وذكر أن الذين نسبوها إلى أيام مروان بن محمد قد وقعوا في التباس من أمرهم، إذ أن الذي ظهر في أواخر الخلافة الأموية هو رأس الإباضية ـ حينذاك ـ عبد الله بن يحيى الكندي الإباضي، وقد علا شأنه فهدد كيان الخلافة الأموية في جزيرة العرب بأسرها، وربما دفعت عظمة هذا القائد الإباضي بعض المؤرخين إلى نسبة هذه الفرقة إليه بعد أن ذاع صيته، وطغى على أسلافه من هذه الحركة[٥]. وما يرجّح ما ذهب إليه الدكتور معروف ما ذكره المبرّد وغيره من أن الخوارج أصبحوا على ثلاثة أقاويل بعد أحداث نافع، وأن إحداها قول عبد الله بن إباض[٦].

وأنه لمن المفيد أن نذكّر القارىء الكريم بالظروف التي سبقت ظهور الإباضية، وقد تقدّم أن نافع بن الأزرق ارتأى الخروج فتخلّف عنه طائفة من أصحابه، منهم: عبد الله بن إباض، وعبد الله بن الصفار، ورجال معهما على رأيهما.

وقد تبرّأ نافع بن الأزرق من الذين تخلّفوا عنه في البصرة، ولهذا كتب كتاباً إلى عبد الله بن إباض وعبد الله بن الصفار، ومن تخلّف من الخوارج في البصرة يدعوهم

---

(١) أبو زرعة الدمشقي: الشيخ الإمام الصادق، محدّث الشام، أبو زرعة، عبد الرحمٰن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو النصري، الدمشقي، وكانت داره عند باب الجابية، مات سنة إحدى وثمانين ومائتين. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٣١١ ـ ٣١٦.

(٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ١/ ٤٩٤، ٤٩٥.

(٣) في الأصل: وطبعي، وهو ظاهر الخطأ.

(٤) عامر النجار: الخوارج، ص١٧١.

(٥) نايف معروف: الخوارج، ص٢٣٨.

(٦) المبرّد: الكامل، ٣/ ١٢٢٠.

فيها إلى وجوب الالتحاق به، ووصف المسلمين من غير الخوارج بالشرك وجواز استعراضهم، وعدم جواز مناكحتهم وموارثتهم.

وقد أثارت آراؤه سخط بعض أصحابه، فبرئوا منه، وبرىء منهم على نحو ما تقدّم معنا في فصل سابق، وعند ذلك حدثت الانشقاقات بين صفوفهم، وظهرت إلى حيّز الوجود فرق جديدة كالإباضية والصفرية والبيهسية وغيرها.

ويرى بعض الباحثين أن الإباضية بدأوا حركاتهم السياسية في وقت متأخر، فقد خرج عبد الله بن إباض ـ بزعمهم ـ على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، فوجّه إليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة[١] وهزمه وقتله[٢]. وهذا وهم سبق التنويه إليه.

ويرى الدكتور معروف أن اعتدال الإباضية كان سبباً في بقائهم إلى هذا اليوم[٣].

غير أن بعض الباحثين يردُّون هذا الأمر إلى أسباب أخرى، منها ما يتصل بالتابعي جابر بن زيد، الذي يعتبره بعض الدارسين المؤسس الأول للإباضية، كما سبق وذكرنا، ويرى الدكتور النجار أن مجهود جابر في تنظيم الدعوة الإباضية كان مجهوداً بارزاً، حتى توفي سنة ٩٦هـ ـ ٧٢٥م، وخلفه أحد تلامذته البارزين المعروف بأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[٤] الذي قيل عنه أنه ظلّ يتلقى العلم أربعين عاماً وبعدها نصب نفسه لتعليم العلم.

وقد سجن في عهد الحجاج، وأفرج عنه بعد موت الحجاج ليخلف جابر بحق ويتصدّى لتنظيم الإباضية وتنظيم أسلوب الدعوة إلى المذهب الإباضي، ويساعده في ذلك كبار أعوانه أمثال أبي نوح، وأبي مودود حاجب، والربيع بن حبيب.

---

(١) تَبَالة: بالفتح، موضع ببلاد اليمن، الحموي: معجم البلدان، ٢/ ٩.

(٢) انظر: الخوارج عقيدة وفكراً، للدكتور عامر النجار، ص١٦٩، ١٧٠.

(٣) نايف معروف: الخوارج، ص٢٣٩.

(٤) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: (٠٠٠ ـ نحو ١٤٥هـ = ٠٠٠ ـ نحو ٧٦٢م) التميمي بالولادة، البصري، أبو عبيدة: فقيه، من علماء الإباضية، أخذ المذهب عن جابر بن زيد، ثم صار مرجعاً فيه تشد إليه الرحال، وكان أعور، ويقال له «القفاف»، وكان يحرّض على الخروج. الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٢٢، ٢٢٣.

وأضاف النجار قائلاً: «وقد كان ابن أبي كريمة صاحب عقل مرتب منظم مخطط للإباضية دبر ونظم وجمع أموالاً كثيرة وتمكن من شراء الأسلحة والمعدات لتظهر في الوقت المناسب لاستخدامها في الاستعانة على ظهور المذهب الإباضي، وقد استطاع أعوانه نشر المذهب الإباضي في الأطراف في اليمن وكذلك بين المغاربة[1]، بل استطاعوا إعلان إمامة الظهور سنة ١٤٠هـ ـ ٧٥٧م.

ويبدو أن حسن التنظيم وسرية العمل والقيادة الحكيمة لرجال المذهب الإباضي ساعد على انتشار المذهب، سواء كان ذلك في مرحلة إمامة جابر أو مرحلة إمامة ابن أبي كريمة»[2].

وينقل النجار عن مهدي طالب مجمل الأسباب التي أدّت إلى نجاح الدعوة الإباضية فيما يلي:

أولاً: نظرة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ودراسته المستوعبة لمشكلات المناطق التي كانت مستاءة من الحكم الأموي، وعلاقة هذه المناطق بالسلطة المركزية من حيث القوة والضعف، فعندما أدرك أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة أن الدولة الأموية في طريقها إلى الزوال، أوعز إلى إباضية اليمن بالتعجيل بالثورة، ولم يفكروا في الثورة من «البصرة» رغم أنها المركز الأم لتنظيمها لأسباب أوجهها قرب البصرة من مراكز الحكم القوية، ووجود عدد من الأحزاب الأخرى.

ثانياً: القيادة الجماعية للدعوة، إذ توفرت مجموعة من المشايخ الإباضية كمجلس شورى، من ذوي القدرات التنظيمية في مساعدة ابن أبي كريمة، كضمام بن السائب، وأبو الحر بن الحصين، وحاجب الذي كان مسؤولاً عن جميع النشاطات العسكرية. وقد قام بجمع المال والسلاح للثورة باليمن سنة ١٢٩هـ، إبان ضعف الدولة الأموية وقرب نهايتها.

---

(١) بعث ابن أبي كريمة بداعيته سلمة بن سعيد في بداية القرن الثاني الهجري لنشر الدعوة الإباضية بين المغاربة واستطاع أن يكسب مؤيدين في بلاد المغرب الأدنى في إقليم طرابلس وجبل نفوسة، وبعد أن مات سلمة بن سعيد حلّ محلّه أبو عبد الله بن عبد الحميد بن مفيطر تلميذ ابن أبي كريمة بالبصرة، وفي أيامه أصبح جبل نفوسة دار هجرة للمذهب الإباضي، وانتشر بعد ذلك انتشاراً سريعاً بين القبائل الأخرى مثل هوارة ولماية وزناتة وسدارته وزواغة ولوانة وفي مطماطة انتشر المذهب بها في عهد الداعية عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن رستم. النجار: الخوارج، ص١٧١، ١٧٢.

(٢) النجار: الخوارج، ص١٧١، ١٧٢.

ثالثاً: المقدرة الفكرية التي تمتع بها الدعاة الإباضية، وجذبهم لقلوب الناس لمذهبهم وقد كان ابن أبي كريمة عالماً بليغاً وفقيهاً بارزاً. كما كان سلفه جابر بن زيد من علماء الحديث ورجال الفقه الإسلامي الكبار.

رابعاً: الإخلاص والولاء المتناهي لهؤلاء القادة، الذين أوقفوا حياتهم على الدعوة لمذهبهم دون أي دوافع أو رغبات اجتماعية أو مادية كقول الداعية سلمة بن سعيد أول داعية إباضي ببلاد المغرب «وددت أن يظهر هذا الأمر ـ يعني مذهب الإباضية ـ بالمغرب يوماً واحداً من غدوة إلى ليل، فما أبالي ضربة عنقي».

خامساً: صلابة الدعاة في مرحلة الكتمان والتخفي على التنظيم السري رغم تعرضهم لصنوف التعذيب، وظهر هذا واضحاً من مواقف الدعاة الصلبة وعدم التصريح بوجود مثل هذا التنظيم مما جعل السلطتين الأموية والعباسية لا تعير أدنى اهتمام سياسي أو عسكري لهذه القوة المتناهية في السر والخفاء[١].

وعلق النجار بقوله: وبهذا نستطيع أن نفسر نجاح الإباضية[٢] وبقائها حتى اليوم بينما اختفت جميع الفرق الخارجية الأخرى[٣].

آراؤهم ومعتقداتهم:

بالنسبة لمسألة الإمامة، فالإباضية تشترط شروطاً توجب إظهارها وقيامها، فيقول الإمام الإباضي أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي:

والذي يوجب الإمامة ثلاث خصال:

أحدها: قوّة الدعوة، وذلك أن يغلب على ظنهم أن يغلبوا أهل الباطل.

الثانية: أن يكون أهل الدعوة أربعين رجلاً، أحراراً بالغين أصحاء، فليس منهم أعمى فصاعداً.

---

(١) عامر النجار: الخوارج، ص١٧٢، ١٧٣، نقلاً عن الحركة الإباضية لمهدي طالب، ص٩٣ ـ ٩٥.

(٢) نجحت الإباضية في إقامة عدة دول كالدولة الإباضية في عُمان والدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب.

(٣) عامر النجار: الخوارج، ص١٧٢، ١٧٣.

والثالثة: أن يكون فيهم ستة رجال فصاعداً أهل علم بأصول الدين والفقه من ذوي ورع وصلاح في الدين، فإذا اجتمع لأهل الدعوة هذا الوصف وجب أن يعقدوا الإمامة لأفضلهم في الدين والعلم والورع(١)، وقد أقرّ الفقهاء الإباضية وجود إمامين في آن واحد(٢)، وقد أوضح الإمام أبو إسحاق الحضرمي المؤهلات الضرورية في الإمام القائد الإباضي، فقال:

ولا تتم الإمامة لأحد إلا بوجود إحدى عشرة خصلة:

أولها: أن يكون رجلاً بالغاً حراً عاقلاً.

الثاني: أن يكون ليس بأعمى ولا أصم.

الثالث: أن يكون ليس بأخرس.

الرابع: أن يكون فصيحاً بالعربية.

الخامس: أن يكون صحيحاً ليس بزَمِنٍ، ولا مقطوع اليدين ولا الرجلين.

السادس: أن يكون من أهل العلم والورع في الدين.

السابع: أن يعقد له من أهل الولاية ستة رجال أحراراً، بالغين، عاقلين، من أفضل المسلمين في العلم والورع في الدين، ليس فيهم أعمى فصاعداً.

الثامن: أن يكون أهلاً لدعوة هؤلاء العلماء المسلمين بعقد الإمامة عليه.

التاسع: وأن لا يعقدوا لأحد قبله من المسلمين إلا أن يكون بينهما(٣) بحر فإن لم يكن بينهما بحر كان الذي قبله داعية وليس بإمام.

العاشر: أن لا يعقدوا له ولا لغيره في وقت واحد، ولا يدرى أيهما من قبل وليس بينهما بحر، فليس للواحد منهما إمامة، ويرجع الأمر شورى بين المسلمين.

الحادي عشر: أن يكون ممن لم يقم عليه حدّ من قطع ولا جلد.

---

(١) عامر النجار: الخوارج عقيدة وفكراً، ص١٧٣، نقلاً عن مختصر الخصال، مخطوط لأبي إسحاق، ورقة ٧٠أ ـ ٧٠ب.

(٢) وذلك مسايرة للظروف والواقع الذي عاشته الإمامتان الإباضيتان المعاصرتان: الإمامة الرستميّة في تاهرت، (١٦٠هـ ـ ٢٩٦هـ = ٧٧٦ ـ ٩٠٨م)، والإمامة الإباضية بعمان (١٧٧هـ ـ ٢٨٠هـ= ٧٩٣ ـ ٨٩٣م). عامر النجار: الخوارج، ص١٧٤.

(٣) في الأصل: بينه، وصوابه ما ذكرته لما يفيده السياق.

والحق أن هذه الخصال والشروط لم تكن أصولاً ثابتة في اختيار الأئمة القادة عند الإباضية، بل كثيراً ما تغيّرت من وقت لآخر حسب الظروف السياسية، والتطبيق العملي للمبادىء الإباضية كثيراً ما كان يخضع للتعديل ليتلاءم مع الظروف السياسية المختلفة، وهذا سرّ من أسرار استمرارية الإباضية حتى وقتنا الحاضر(١).

أما إذا انتقلنا إلى المبادىء العامة التي اتفقت عليها الإباضية، فإننا نلاحظ أنها من أكثر فرق الخوارج اعتدالاً، وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً(٢)، فهم أبعدهم عن الشطط والغلوّ، ولذلك بقوا، ولهم فقه جيّد، وفيهم علماء ممتازون، ويقيم طوائف منهم في بعض واحات الصحراء الغربية، وبعض آخر في بلاد الزنجبار، ولهم آراء فقهية، وقد اقتبست القوانين المصرية في المواريث بعض آرائهم، وذلك في الميراث بولاء العتاقة، فإن القانون المصري أخّره عن كلّ الورثة حتى عن الرد على أحد الزوجين، مع أن المذاهب الأربعة كلها تجعله عقب العصبة النسبية، وسبق الردّ على أصحاب الفروض الأقارب(٣).

وقد رأينا الإباضية تميل إلى الاعتدال منذ البداية، عند مفارقة عبد الله بن إباض لنافع بن الأزرق لما أحدثه من البدع، ومخالفته في كثير منها.

وجملة آراء الإباضية:

ـ من أخذ بقولهم فهو مؤمن، ومن أعرض عنه فإنه منافق(٤).

ـ إن مخالفيهم من فرق هذه الأمة ليسوا مشركين ولا مؤمنين، ويسمُّونهم كفاراً، يقولون عنهم أنهم كفار نعمة لا كفار في الاعتقاد؛ ولذلك فإنهم لا يستحلون إلا دماءهم، وما سوى ذلك فهو حرام عليهم.

ـ ولكنهم خالفوا أسلافهم من الخوارج، حين يعتبرون دار مخالفيهم دار إسلام ـ باستثناء معسكر السلطان ـ لأن هؤلاء الناس كفار غير مشركين ولا مؤمنين.

---

(١) عامر النجار: الخوارج عقيدة وفكراً، ص١٧٥.

(٢) المبرد: الكامل، ٣/ ١١٢٠.

(٣) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٧٠.

(٤) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٩.

- ومن غريب أحكامهم أنهم يحرّمون دماء مخالفيهم في السرّ ويستحلونها في العلانية.

- يجوّزون شهادة مخالفيهم ومناكحتهم ويثبتون التوارث بينهم.

- لا بدّ من إقامة الحجة على المخالفين قبل قتالهم، ويستحلّ من متاعهم الخيل والسلاح، ويحرّمون ما دون ذلك من ذهب وفضة، يردّونها إلى أربابها.

- يرون استتابة من خالفهم في التنزيل أو التأويل، فإن قبل التوبة عفي عنه، وإن لم يقبلها قتل.

- كما أنهم لا يرون اعتراض الناس بالسيف، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور بكل الوسائل التي تمكنهم من ذلك، سواء كان ذلك بالسيف أم بغيره(١).

- ومما أجمعت عليه الإباضية أن مرتكب الكبيرة من هذه الأمة، يبقى من الموحدين، ولكنه غير مؤمن، إذ هو كافر نعمة لا كفر ملّة؛ لأن أعمال الإنسان تدخل في نطاق الإيمان والاستطاعة قبل القيام بالفعل(٢)، إلا أن الأشعري يقول في هذا الصدد أنهم يخلّدون مرتكب الكبائر في النار(٣).

- توقفت الإباضية في أطفال المشركين، وجوّزوا تعذيبهم، وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضّلاً(٤).

ثم اختلفت الإباضية فيما بينها في النفاق فصاروا ثلاث فرق:

أ ـ فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن النفاق براءة من الشرك، واحتجوا في ذلك بقول الله عزّ وجل: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النّساء: ١٤٣].

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٢، ٥٣، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٥، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٤، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٣ و١٠٦، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٥، ٤٢٦.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٤.

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٩.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٥، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٩.

ب ـ والفرقة الثانية منهم يقولون: إن المنافق ليس بمشرك، زعموا أن المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كانوا موحّدين، وكانوا أصحاب كبائر، فكفروا وإن لم يدخلوا في حدّ الشرك.

ت ـ والفرقة الثالثة يقولون: لا نزيل اسم النفاق عن موضعه، ولا نسمّي بالنفاق غير القوم الذين سمّاهم الله تعالى منافقين(١).

ـ وذهب بعض الإباضية إلى أن الاستطاعة والتكليف مع الفعل، وأنها هي التخلية، وذهب الكثير منهم إلى أنها ليست التخلية، بل هي معنى في كونه كون الفعل، وبه يكون الفعل، وإن الاستطاعة لا تبقى وقتين، وإن استطاعة كل شيء غير استطاعة ضدّه، وإن الله كلّف العباد ما لا يقدرون عليه لتركهم له لا لعجزهم عنه، وإن قوة الاستطاعة توفيق وتسديد وفضل ونعمة وإحسان ولطف، وإن استطاعة الكفر ضلال وخذلان وطبع وبلاء وشرّ، وإن الله لو لطف للكافرين لآمنوا، وإن عنده لطفاً لو فعله بهم لآمنوا طوعاً، وإن الله لم ينظر لهم في حال خلقه إياهم، ولا فعل بهم أصلح الأشياء لهم، ولا فعل بهم صلاحاً في الدين، وأنه أضلّهم وطبع على قلوبهم، وهذا قول يحيى بن كامل، ومحمد بن حرب، وإدريس الإباضي(٢).

ـ وهم يزعمون أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى إحداثاً وإبداعاً، ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازاً(٣)، وقالوا إن الله سبحانه لم يزل مريداً لما علم أنه يكون أن يكون، ولما علم أنه لا يكون إلا يكون، وإنه مريد لما علم من طاعات العباد ومعاصيهم، لا بأن أحب ذلك، ولكن بمعنى أنه ليس بآب عنه ولا بمُكرهٍ عليه(٤).

ـ وأجاز بعضهم أن يبعث الله رسولاً بغير دليل ولا برهان، وأن على الناس اتباعه، بينما قال آخرون منهم: لا يكون ذلك إلا بعد إظهار المعجزة من هذا الرسول(٥).

---

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٦، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٥، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٥.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٧.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٤.

(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٧.

(٥) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٦، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٢٢٦.

- ومن مزاعمهم أن العالم يفنى بفناء أهل التكليف فيه «لأنه إنما خلقه لهم، فإذا أفناهم لم يكن لبقائه لهم معنى»[١].

- وتتفق الإباضية مع المعتزلة في أمور، منها أن القرآن مخلوق، واستحالة رؤية الله في الآخرة، وخلود مرتكب الكبيرة في النار إذا مات بغير توبة، وتأويل الميزان والصراط وما يشبهه تأويلاً مجازياً، وقولهم في الوعيد واحد[٢].

- إلا أن الإباضية خالفت غيرها من الخوارج في أمور منها، أنهم لا يسمُّون إمامهم أمير المؤمنين، ولا يطلقون على أنفسهم لقب المهاجرين[٣].

- ووقع عند البعض أنهم يكفّرون علياً وأكثر الصحابة[٤]، وهذا في تقديري لا يصح عن الإباضية، ولم يثبت أو يشتهر عنهم، ولعله قاله بعضهم من الغلاة المنحرفين، ولو صحّ هذا للزمهم الكفر بتكفيرهم الصحابة.

- ومن الأقوال التي تنسب إليهم أن «كل شيء أمر الله تعالى به فهو عام ليس بخاص، وقد أمر به المؤمن والكافر وليس في القرآن خصوص، ولا يخلق الله تعالى شيئاً إلا دليلاً على وحدانيته»[٥].

ويقول ابن حزم عن إباضية الأندلس بأنهم كانوا «يحرّمون طعام أهل الكتاب، ويحرمون أكل قضيب التيس والثور والكبش، ويوجبون القضاء على من نام نهاراً في رمضان فاحتلم، ويتيمّمون وهم على الآبار التي يشربون منها إلا قليلاً منهم»[٦].

إلا أن الإباضية يغضبون أشد الغضب ممّن ينسبهم إلى الخوارج، ويقولون إنما هي دعاية استغلتها الدولة الأموية لتنفير الناس من خصومهم، ويبدو أن بعض الدارسين قد جنحوا إلى هذا الرأي، ومن هؤلاء الدكتور عامر النجار، الذي نقل إنكار الإباضية على من يعدّهم من الخوارج، وأضاف قائلاً: «كما أن للإباضية العديد من المواقف ضد الخوارج».

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٧.
(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٧ و١٨٩ و٢٠٣ و٢٠٤.
(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٤.
(٤) الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٦.
(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٥.
(٦) ابن حزم: الفصل في الملل، ٣/ ١٢٤.

منها: أن الإمام عبد الله بن إباض كان شديداً إزاء الأفكار والآراء التي نادى بها نافع بن الأزرق الخارجي، وكان يعلن بطلانها بصراحة تامة، ويحذر منها الناس.

ومنها: أن المحدث الحجة الربيع بن حبيب الفراهيدي[(١)] الإباضي صاحب المسند الصحيح كان يبرأ من الخوارج، وكان يقول فيهم: «دعوهم حتى يتجاوزوا القول إلى الفعل، فإن بقوا على قولهم فخطؤهم محمول عليهم، وإن تجاوزوه إلى الفعل حكمنا فيهم بحكم الله».

ومنها: قتال الإمام الجلندي بن مسعود الإباضي[(٢)] لشيبان الخارجي، وهو من الصفرية عندما قدم في جيش إلى عمان هارباً من أبي العباس السفّاح[(٣)]، ودارت معركة بين جيش الجلندي وبين شيبان وأصحابه، وأسفرت المعركة عن مقتل شيبان وجنوده.

ومنها: أن القائد هلال بن عطية الخراساني الذي صار القائد الأوّل في جيش الجلندي بن مسعود الإباضي، كان على المذهب الصفّري ثم اعتنق المذهب الإباضي، ولم يقبل منه الإباضية الانضمام إليهم إلا بعد أن يرجع إلى الذين دعاهم إلى مبادىء الخوارج ويعلمهم ببطلان تلك المبادىء والآراء التي دعاهم إليها، ثم عاد إلى عمان فكان قائداً ووزيراً للإمام الجلندي الإباضي»[(٤)].

---

(١) الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي: عالم بالحديث، إباضي، من أعيان المائة الثانية للهجرة، من أهل البصرة، له كتاب في الحديث، سمّاه يوسف بن إبراهيم الرجلاني «الجامع الصحيح - ط» مع حاشية عليه لعبد الله بن حميد السالمي. الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٤.

(٢) الجلندي بن مسعود الإباضي: (٠٠٠ - ١٣٤هـ = ٠٠٠ - ٧٥١م) بن جيفر بن جلندي الأزدي: أمير عُمان وعظيم الأزد فيها، كان إباضياً، من الشجعان، وهو الذي قتل شيبان بن عبد العزيز الصفري، وكانت عمان أشبه بالمقاطعة المستقلة في أيام بني أمية، فلما استولى بنو العباس أرسل السفاح خازم بن خزيمة في جيش لإخضاعها، فقاتله الجلندي فقتل، وقتل معه نحو عشرة آلاف من أصحابه. الزركلي: الأعلام، ٢/ ١٣٣.

(٣) أبو العباس السفّاح: (١٠٤ - ١٣٦هـ = ٧٢٢ - ٧٥٤م) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب: أول خلفاء الدولة العباسية، وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب، ولد ونشأ بالشراة، مرض بالجدري، وتوفي شاباً بالأنبار. الزركلي: الأعلام، ٤/ ١١٦.

(٤) عامر النجار: الخوارج عقيدة وفكراً، ص١٦٥، ١٦٦، والنصوص التي استدلّ بها نقلها عن الفرق بين الإباضية والخوارج لأبي إسحاق إبراهيم أطفيش الإباضي، المقدمة باختصار.

إن ما زعمته الإباضية من دعوى البراءة من مذهب الخوارج، لا يجدي في دفع هذه الشبهة عنهم، كما أن المواقف التي وقفتها الإباضية ضد الخوارج لا تدلّ على ذلك، حيث إن الخلافات بين مختلف فرق الخوارج، لم تقتصر على الصراع الفكري والنظري، بل تجاوزتها إلى الصراع الدموي، لا لأسباب عقدية فكرية، وإنما لدوافع سياسية.

هذه أبرز الآراء والمعتقدات التي اجتمعت عليها الإباضية، إلا أنه قد اعتراها داء الخوارج الذي ألمّ بأسلافها، ألا وهو داء الشقاق والاختلاف، الذي كان يؤدّي إلى التمزق والانقسام، ممّا أدّى إلى ظهور مجموعة من الفرق، انطوت على نفسها، وكفّر بعضها بعضاً.

ومن هذه الفرق:

١ ـ الفرقة الأولى منهم: الحفصية:

وهم أتباع حفص بن أبي المقدام[(١)]، أحد أصحاب عبد الله بن إباض[(٢)] إلا أن هذا الرجل ـ على ما يبدو ـ يكتنفه الغموض، فلم تذكر مصادر الفرق الإسلامية ما يزيل عنه ذلك الغموض. وكان حفص هذا يقول: ليس بين الكفر والإيمان إلا معرفة الله، فمن عرفه فهو مؤمن، وإن كان كافراً بالرسول، وبالجنة والنار، واستحلّ جميع المحرمات كالقتل، والزنا، واللواط، والسرقة، فهو كافر ولكنه بريء من الشرك. وكذلك من اشتغل بسائر ما حرّم الله سبحانه مما يؤكل ويشرب فهو كافر بريء من الشرك، ومن جهل الله سبحانه وأنكره فهو مشرك، فبرىء من حفص جلّ الإباضية إلا من صدّقه منهم[(٣)].

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٣، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٤، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٥، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٨٣، المقريزي: الخطط، ٣/٤١٨، وابن حزم: الفصل في الملل، ٣/١٢٧، وفي شرح المواقف للآيجي (٨/٤٢٦): هو أبو حفص بن أبي المقدام.

(٢) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٣٢.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٣، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٨٣، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٤، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٦، المقريزي: الخطط، ٣/٤١٨، والآيجي: شرح المواقف، ٨/٤٢٦.

ـ ويبدو من مجموع آراء هذه الفرقة أنها كانت شديدة الغلوّ، بلغت في فكرها ومعتقدها غاية التطرف، وقد اتخذت موقف العداوة من عثمان وعلي رضي الله عنهما، فلم يقرّ أتباعها خلافة عثمان، بينما تأوّلوا القرآن في عليّ بشكل ساخر.

ـ وهؤلاء «يقولون في عثمان كما تقول الروافض في أبي بكر وعمر، ويقولون في عليّ نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٠٤ ـ ٢٠٧]، وزعم حفص بن أبي المقدام ـ عليه من الله ما يستحق ـ أن علياً هو الحيران الذي ذكره الله تعالى في القرآن: ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ﴾ [الأنعام: ٧١]، وإن أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى أهل النهروان، وزعم حفص هذا أن عدو الله عبد الرحمٰن بن ملجم، نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٠٧]، وهذا من أتمّ الفضائح والبدع[١].

ب ـ الفرقة الثانية منهم: الحارثية:

وهم أتباع الحارث بن يزيد[٢] الإباضي، وكانوا يقولون بقول القدرية في القدر والاستطاعة، وسائر الإباضية كانوا يكفرونهم بسبب ذلك[٣].

ـ وعلى الأرجح أنه كان من أصحاب ابن أبي كريمة، ثم طرده من مجالس الإباضية في البصرة لقوله في القدر، قال الشماخي: «وجمع حاجب وأبو عبيدة الناس

---

(١) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٣، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٣، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٤.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٦، وقد وقع في التبصير للإسفرائيني (ص٥٣) مصحفاً: الحارث بن مزيد. وفي شرح المواقف (٨/ ٤٢٦) للآيجي: الحارثية أصحاب أبي الحارث الإباضي.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٣، والشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٦.

فقالا: إن حمزة وعطية والحارث قد أحدثوا علينا فمن آواهم فهو الخائن المتهم؛ لأنهم أخذوا بقول أهل القدر فبرىء منهم أبو عبيدة وحاجب»[(١)].

ـ وهكذا أخذ الحارثية في القدر بقول المعتزلة، وخالفوا فيه سائر الإباضية، وزعموا «أن الاستطاعة قبل الفعل»[(٢)].

ـ ويبدو أن الحارثية قد أثاروا بمعتقداتهم هذه حفيظة الإباضية الذين أكفروهم وتبرّأوا منهم، وذلك أن جمهور الإباضية على القول بأن الله خالق أفعال العباد أو الاستطاعة مع الفعل[(٣)].

وزعمت الحارثية أنه لم يكن لهم إمام بعد المُحكِّمة الأولى، إلا عبد الله بن إباض، وبعده حارث بن يزيد الإباضي[(٤)].

ت ـ الفرقة الثالثة منهم: أصحاب طاعة لا يراد الله بها[(٥)]:

وهؤلاء يقولون بجواز طاعات كثيرة من العبد لا يقصد بها طاعة ربّه، وهو قول أبي الهذيل[(٦)] وأتباعه من القدرية[(٧)].

وهذا يعني أن الإنسان قد يكون مطيعاً لله إذا فعل شيئاً أمر الله به، وإن لم يقصد بذلك الفعل ولا إرادة به[(٨)].

---

(١) الشماخي: السير، ص١٢٠.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧١، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٥، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٤، والآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٦.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٥.

(٤) المرجع نفسه، ص١٠٥.

(٥) الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٦، الإسفرائيني: التبصير، ص٥٣، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٥، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٥، غير أن الشهرستاني ينسب هذا القول للحارثية، الملل والنحل، ص١٣٦.

(٦) أبو الهذيل العلاّف: (١٣٥ ـ ٢٣٥هـ = ٧٥٣ ـ ٨٥٠م) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، مولى عبد القيس: من أئمة المعتزلة، ولد في البصرة، واشتهر بعلم الكلام، كان حسن الجدل قويّ الحجة، سريع الخاطر، كفّ بصره في آخر عمره، وتوفي بسامرا. الزركلي: الأعلام، ٧/ ١٣١.

(٧) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٣، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٥، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٥.

(٨) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٧٢.

وأجيب عنه أنه لا يصح إلا في طاعة واحدة، وهو النظر الأول، فإن صاحبه إذا استدلّ به كان مطيعاً لله تعالى في فعله وإن لم يقصد به التقرّب إلى الله تعالى، لاستحالة تقرّبه إليه قبل معرفته، فإذا عرف الله تعالى فلا يصح منه بعد معرفته طاعة منه لله تعالى إلا بعد قصده التقرّب بها إليه(١).

ث ـ الفرقة الرابعة منهم: اليزيدية:

وهم أتباع يزيد بن أنيسة الخارجي، وكان إباضياً، إلا أنه جنح إلى الغلو والتطرّف في معتقداته وآرائه وأفكاره، بشكل لم يسبق له مثيل في فرق الخوارج، ولذلك عدّهم علماء الفرق الإسلامية خارجين من الملّة(٢)، كما أن سائر الإباضية تبرّأوا من اليزيدية وأكفروهم بسبب ما أحدثوا من البدع، وقال عنهم ابن الأثير(٣): «هؤلاء من أكفر الخوارج»(٤).

ـ ويتفق يزيد بن أنيسة هذا مع سائر الإباضية فيما أجمعت عليه بشأن الإمامة، حيث «يتولى المُحَكِّمة الأولى، وتبرّأ ممن بعدهم إلا الإباضية فإنه يتولاهم»(٥).

ـ ويبدو أن يزيداً هذا كان متأثراً ببيئته التي كان يعيش فيها، وعلى الأرجح أن جبال حُلوان(٦) التي نشأ وترعرع فيها قد تركت أثراً بالغاً في شخصيته، وجنوحه إلى الغلوّ والانحراف، حيث كانت توجد في تلك النواحي بقايا العقائد الفارسية القديمة، مما جعله يقول بعقائد متطرّفة لا تمتّ بصلة إلى عقائد الإباضية.

---

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٥.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٤. انظر أيضاً الملل والنحل للشهرستاني، ص١٣٦.

(٣) ابن الأثير: (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ = ١١٦٠ ـ ١٢٣٣م) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن، عز الدين: المؤرخ، الإمام، من العلماء بالنسب والأدب، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل، وتجوّل في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها. الزركلي: الأعلام، ٤/ ٣٣١.

(٤) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ٣/ ٤١٢.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٦، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٤، وابن حزم: الفصل في الملل، ٣/ ١٢٤.

(٦) جبال حُلوان: حُلوان مدينة كبيرة عامرة، ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسُرّ من رأى أكبر منها، وهي قرب الجبل، وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها، وربما يسقط بها الثلج. الحموي: معجم البلدان، ٢/ ٢٩١.

- ومن أقوال يزيد هذا أن الله سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً من السماء، يكتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة، فترك شريعة محمد ﷺ، ودان بشريعة غيرها، وزعم أن ملّة ذلك النبيّ الصابئة، وليس هذه الصابئة التي عليها الناس اليوم، وليس هم الصابئين الذين ذكرهم الله في القرآن، ولم يأتوا بعد، وتولّى من شهد لمحمد ﷺ بالنبوّة من أهل الكتاب، إن لم يدخلوا في دينه ولم يعملوا بشريعته، وزعم أنهم بذلك مؤمنون[1].

الإبراهيمية، الميمونية، والواقفية[2]:

ثم افترقت الإباضية إلى إبراهيمية، وميمونية وواقفية بخلاف وقع بين رجل إباضي يدعى إبراهيم وإباضي آخر اسمه ميمون[3]، في جارية مؤمنة على مذهب الإباضية، أقسم إبراهيم على بيعها للكفار، أي المخالفين للإباضية، وكانت قد أبطأت في تقديم ما يلزم من الضيافة لضيوف إبراهيم الذين كانوا على مذهبه، فاعترض عليه ميمون - وكان حاضراً - وبين له أن ذلك لا يجوز، فدافع إبراهيم عن رأيه مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٥]، وقال: وعليه كان أصحابنا، وطال الكلام بينهما حتى تبرّأ كل واحد منهما من صاحبه، وتوقف قوم منهم في كفرهما وكتبوا إلى علمائهم فرجع الجواب بجواز ذلك البيع، وبوجوب التوبة على ميمون وعلى كل من توقف في نصر إبراهيم، فمن هنا افترقوا إلى ثلاث: الإبراهيمية والميمونية والواقفية[4].

وصارت الواقفة بعد ذلك فرقتين:

فرقة تولّوا الناكحة، وفرقة ينسبون إلى عبد الجبار بن سليمان، وهم الذين يتبرأون من المرأة الناكحة من كفار قومهم[5].

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٤، الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٦، الآيجي: شرح المواقف، ٨/ ٤٢٦، والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٩.

(٢) يطلق بعض علماء الفرق عليها اسم الواقفة.

(٣) ذكر الإسفرائيني في معرض حديثه عن هذه الحادثة أن ميمون هذا هو ميمون بن عمران المذي سبق ذكره في العجاردة، التبصير، ص٥٣. ووقع مثل ذلك في شرح المواقف للآيجي، ٨/ ٤٢٦.

(٤) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٤، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٧، ١٨٨.

(٥) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٩٠.

وتابع إبراهيم على إجازة هذا البيع قوم يقال لهم الضحاكية(١).

- ويجيز الضحّاكية تزويج المرأة المسلمة عندهم من كفار قومهم في دار التقية، كما يسع الرجل منهم أن يتزوج المرأة الكافرة من قومه في دار التقية، فأما في دار العلانية - وقد جاز حكمهم فيها - فإنهم لا يستحلون ذلك فيها.

- **ومن الضحاكية فرقة وقفت فلم تبرأ ممن فعله**، وقالوا: لا نعطي هذه المرأة المتزوجة من كفار قومنا شيئاً من حقوق المسلمين، ولا نصلي عليها إن ماتت، ونقف فيها، ومنهم من برىء منها(٢).

ويبدو أن البيهسية - كما ذكرنا سابقاً - قد أدلت بدلائها في هذه المسألة التي وقع فيها الخلاف حول جواز بيع الجارية المؤمنة من الكفار والمخالفين، فقالوا: إن ميموناً كفر بأن حرّم بيع الأمة في دار التقية من كفار قومنا، وكفرت الواقفة بأن لم يعرفوا كفر ميمون وصواب ما ذهب إليه إبراهيم، وقد كفر إبراهيم بأن لم يتبرّأ من الواقفة(٣).

إلا أن ثمّة اضطراباً وقع فيه بعض علماء الفرق الإسلامية وطائفة من الباحثين، حيث يرون أن البيهسية قد ظهرت بعد الخلاف الذي وقع بين إبراهيم وميمون حول جواز بيع الجارية المؤمنة، والصواب ردّ البيهسية إلى الأزارقة، وقد تقدّم أنه حين ورود كتاب نافع بن الأزرق إلى المحكمة، وفيهم عبد الله بن إباض، وأبو بيهس، خالف ابن إباض نافعاً بسبب ما أحدثه من بدع وارتكبه من مخالفات، أما أبو بيهس، فقد خالف الاثنين معاً(٤).

فرق خارجية أخرى:

عدّد الملطي فرقاً خارجية أخرى في باب الحرورية، ذكرها على سبيل الإجمال، قال: **ومنهم: الشمراخية: سمُّوا بشمراخ رأسهم**(٥).

---

(١) لعل صاحبهم هو الضحاك بن قيس الخارجي المتوفى في سنة ١٢٨هـ، انظر البداية والنهاية ١٠/ ٢٨.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٨٩، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٧، ١٠٨.

(٣) الإسفرائيني: التبصير، ص٥٤، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٠٨.

(٤) المبرّد: الكامل، ٣/ ١٢٢١.

(٥) هو عبد الله بن شمراخ، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٩٨. والمقريزي: الخطط، ٣/ ٤١٩.

وذكر الأشعري أن صاحب الشمراخية وهو عبد الله بن شمراخ كان يقول: إن دماء قومه حرام في السرّ، حلال في العلانية، وإن قتل الأبوين حرام في دار التقية ودار الهجرة، وإن كانا مخالفين.

والخوارج تبرأ منه[١].

ومنهم السرّية.

ومنهم العزرية: سمُّوا برأسهم ابن عزرة.

ومنهم التغلبية[٢]: سموا بتغلب رأسهم. كانوا يقولون: الغلام مسلم أبداً حتى يبدو لنا منه خروج من الإسلام، وكيف نشهد بالكفر على من يعلم من الدين مثل ما نعلم، ويؤدي من الفرائض ما نؤدي، ويتولى من نتولى، ويتبرأ مما نتبرأ منه، ويحتج على من خالفنا بمثل حجتنا وهو معنا في مجلس يخاصم خصماءنا، إذا غلبته عينه نام ثم استيقظ فقال: إني قد احتلمت، ثم حدّث حديثاً غير ذلك نكفره، ونستحلّ دمه، إنا إذاً لمن الظالمين؟!

ومنهم فرقة من التغلبية خالفتهم في زكاة العبد وميراثه، قالوا: إن عليه الزكاة إذا كان منهم وكان مولاه من قومه، وإنه ليس لمولاه من ميراثه شيء، ثم فارقتهم وكفرت من خالفهم.

ومنهم الفضلية[٣]: وإنما سموا بفضل رأسهم، وذلك أنه فارقهم في الذنوب، فزعم أن كل ذنب صغيراً أو كبيراً أو قطرة أو كذبة، شرك بالله، سمُّوا بذلك الفضلية، وكفروا من خالفهم[٤].

وقالت الفضلية: لا يكفر عندنا ولا يعصي من قال بضرب من الحق الذي يكون من المسلمين وأراد به غير الله أو وجّهَهُ على غير ما يوجِّهُهُ المسلمون عليه، نحو قول القائل: «لا إله إلا الله» يريد بها قول النصارى الذي لا إله إلا هو الذي له الولد

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٩٨.

(٢) لم أجد هذه الفرقة عند علماء الفرق، ولعل صوابه: الثعلبيّة، نسبة إلى ثعلبة بن عامر، وقد تقدّم الحديث عنها.

(٣) وفي بعض كتب الفرق: الفضيلية، نسبة إلى فضيل، وفي الخطط للمقريزي (٣/ ٤١٩): هم أتباع فضيل بن عبد الله.

(٤) الملطي: التنبيه، ص١٧٩، والأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٩٧.

والزوجة، أو يريد صنماً اتخِذ إلهاً، وكقول القائل: «محمد رسول الله» وهو يريد غير ممّن قال: هو حيّ قائم، وما أشبه ذلك من القول كلّه واعتقاد القلب والتوجّه إلى غير الله عزّ وجل[١].

ومنهم فرقة خالفتهم في تزويج الصغار.

ومنهم فرقة خالفتهم في الهدي والقلائد، واستحلوها وكفّروا من خالفهم، وكان سائرهم يحرّمها.

ومنهم النجرانية: افترقوا في امرأة يقال لها أم نجران، هاجرت إلى بعض خوارجهم فتزوجت رجلاً في الهجرة بالبصرة من قومها، ثم استخفت فتزوجت رجلاً من أصحابها سراً، ثم ظهر عليها زوجها الأول من قومها فقرّبها إليه، فتبرّأ منها بعضهم وتولاّها بعضهم، وكفّروا من خالفهم بعضهم بعضاً.

ومنهم العطوية: وإنما سموا بعطية[٢].

ومنهم الجعدية: وإنما سموا بمسلم بن الجعد، وكان من أهل الكوفة[٣].

ومنهم الحسينية:

وذكر أن صنفاً منهم يدعون «الحسينية»، ورئيسهم رجل يعرف «بأبي الحسين».

يرون الدار دار حرب، وأنه لا يجوز الإقدام على من فيها إلا بعد المحنة، ويقولون بالإرجاء في موافقيهم خاصة، كما حُكِيَ عن نجدة، ويقولون فيمن خالفهم: إنهم بارتكاب الكبائر كفار مشركون[٤].

هذه هي فرق الخوارج كما فصلها علماء الفرق والمقالات الإسلامية، ويبدو واضحاً أن الانقسامات التي حدثت في صفوفهم لم تسلم منها أية فرقة من فرقهم، كبيرة كانت أو صغيرة، وهو أمر يبعث على الحيرة والدهشة والتساؤل، «إذ لم تكن مسائل الخلاف بينهم من الخطورة التي تستدعي تكوّن هذه الفرق العديدة، التي لا تتميّز بعضها من بعض، في كثير من الأحيان، إلا في بعض الأمور الفرعية، ولا تمسّ

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٩٧.
(٢) أي عطية بن الأسود الحنفي، وكان من أتباع نافع بن الأزرق كما سبق وذكرنا.
(٣) الملطي: التنبيه، ص١٧٨ ـ ١٨٠.
(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/١٩٨.

عقائد الخوارج الأساسية، كما أنها لا تستدعي التبرُّؤ من أصحاب الفرق الخارجية الأخرى وتكفيرهم»[١].

ويردّ الدكتور نايف معروف أسباب هذه الانقسامات في صفوف الخوارج إلى أن قضية الاجتهاد عند الخوارج ـ خلال تلك الحقبة ـ لم تكن قد توضحت معالمها أو حددت شروط ممارستها، ومن هنا فإن كل جماعة منهم تكتلوا حول صاحب رأي من رؤسائهم، ثم غالوا في هذا الانسياق حتى صاروا يرون قوله الحق دون غيره، وبذلك ازدادوا عزلة فوق عزلة، فبعد انغلاق الخوارج على أنفسهم ومعاداتهم المطلقة لغيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى، جاء انغلاق الفرق الخارجية على عقائدها وأفكارها الخاصة بها في شرانق ضيقة المجال، فجاءت أحكامهم تميل إلى البساطة والسذاجة، كما جاءت خالية من التعليل المنطقي أو المحاكمة العقلية[٢].

ومع تقديري البالغ لرأي أستاذي الدكتور معروف في هذا الصدد، إلا أنني أرى أن حبّ الدنيا والجاه والسلطان، يعتبر من أهم الأسباب التي أدّت إلى تلك الانقسامات، وخاصة ـ كما يقول الدكتور معروف ـ أنه لم يكن ثمّة مسائل خلافية تستدعي حدوثها على هذا النحو، أما ما تمخض عن عقولهم من فوضى فكرية، فلا أستسيغ أن أسميها اجتهاداً، وهي بعيدة كلّ البعد عن الاجتهاد، كما أنها تدل على سذاجة عقولهم، وافتقارهم إلى الحدّ الأدنى من الاجتهاد، وقد رأينا من آرائهم ما يضحك الثكلى، ويدل على الاضطراب الفكري والانفصام في الشخصية، وعدم الثبات، وهي من أبرز السمات التي تميّز فكر الخوارج، وهو ما نجده ـ بشحمه ولحمه ـ عند أصحاب الفكر الخارجي المعاصر، مما لا يحتاج أمر إثباته إلى برهان.

(١) نايف معروف: الخوارج، ص٢٤١.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٤٢.

خاتمة

هذا ما تيسّر لي من القول عن الخوارج، راجياً من المولى عزّ وجل أن أكون قد وُفِّقتُ في رسم ملامحهم، لأضع بين يدي القارىء الكريم صورتهم واضحة الملامح، لا لبس ولا غموض فيها، ليكون من أحفادهم ـ الذين يعيشون اليوم بين ظهرانينا ـ على حذر.

قد يتباين أصحاب الفكر الخارجي المعاصر، عن أسلافهم في بعض شأنهم، ممّا يجعل نعتهم بالخوارج موضع اعتراض عند بعض الباحثين. وهذه وجهة نظر أحترمها، إلا أنه ليس من الضروري أن يكون الشبه مطابقاً، ويكفي أن يحمل الأحفاد أبرز سمات أسلافهم ليصبحوا جديرين بالانتساب إليهم، وهذا ما تجده عند الوقوف وجهاً لوجه مع حملة الفكر الخارجي المعاصر، لتتراءى مظاهر الفساد، من خلال حملات التكفير التي يشنّها هؤلاء ضدّ علماء الأمة، ودعاتها، بلا هوادة، فضلاً عن إشاعة الفتن بين المسلمين، جرياً على منهاج أسلافهم. فهلاّ أدرك أولياء أمورنا خطورة هؤلاء على الإسلام والمسلمين، وضخامة الأعباء الملقاة على عاتقهم للتصدّي لهم ووقفهم عند حدّهم، والحؤول دون استشراء فكرهم الخبيث بين جماهير المسلمين.

وممّا لا شك فيه أننا نحتاج إلى عملية تغيير شاملة، لنضع أرجلنا على أول الطريق الصحيح، إلا أن الحديث عن التغيير، سيظلّ ضرباً من ضروب العبث إذا لم يُعنَ بالتصدي لهذه الفئات الضالة المضلة.

أسأل الله تعالى السّداد والرشاد، في القول والفعل والاعتقاد، وأن يهدي الذين ضلُّوا الطريق من هذه الأمة إلى الحق وإلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

كان الفراغ منه في ٦ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق ٢٠/ ١٠/ ٢٠٠٤م

المصادر والمراجع

أ ـ لائحة مصادر ومراجع أهل السنة والجماعة:

القرآن الكريم

[باب الهمزة]

١ ـ ابن أبي حاتم: عبد الرحمٰن بن إدريس بن المنذر الرازي.

ـ الجرح والتعديل: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، ط١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

٢ ـ ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد.

ـ المصنف في الأحاديث والآثار: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣ ـ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن محمد.

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ الكامل في التاريخ: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

ـ اللباب في تهذيب الأنساب: دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٤ ـ ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم.

ـ الإيمان الأوسط: تحقيق أبو يحيى محمود أبو سنّ، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥ ـ ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج.

ـ تلبيس إبليس: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٦ ـ ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي.

ـ الإصابة في تمييز الصحابة: مكتبة المتنبي، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

ـ تقريب التهذيب: تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

- تهذيب التهذيب: مطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدرآباد الدكن، ط١، ١٣٢٦هـ، دار صادر بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
- لسان الميزان: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٧ ـ ابن حجر الهيتمي: أحمد بن حجر.
- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٨ ـ ابن حنبل: أحمد.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: دار صادر، بيروت، لبنان.

٩ ـ ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد.
- جمهرة أنساب العرب: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٠ ـ ابن حنبل: أحمد.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: دار صادر، بيروت، لبنان.

١١ ـ ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن.
- الاشتقاق: تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣.

١٢ ـ ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل.
- المخصص: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٣ ـ ابن عبد ربه الأندلسي: أحمد بن محمد.
- العقد الفريد: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٤ ـ ابن العربي: أبو بكر.
- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ: تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٥ ـ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن.
- تاريخ مدينة دمشق: دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦ ـ ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحيّ.
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
١٧ ـ ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم.
ـ المعارف: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٨ ـ ابن كثير: إسماعيل بن عمر.
ـ البداية والنهاية: مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٩ ـ ابن ماجة: محمد بن يزيد.
ـ سنن ابن ماجة: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٠ ـ ابن مزاحم المنقري: نصر.
ـ وقعة صفين: تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة ومكتبة الخانجي بمصر، سلسلة التراث الخالد، ط٣، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٢١ ـ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.
ـ لسان العرب: دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٢ ـ ابن هشام: عبد الملك.
ـ السيرة النبوية: تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٢٣ ـ أبو بكر بن العربي: القاضي.
ـ العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبيّ ﷺ: تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٤ ـ أبو داود السجستاني: سليمان بن الأشعث.
ـ سنن أبي داود: مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان.
ـ المصاحف: تحقيق محب الدين واعظ، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٥ ـ أبو زهرة: محمد.
ـ تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية: دار الفكر العربي، ١٩٨٩م.

٢٦ ـ أبو الشباب: أحمد.
- قراءة في سيرة الخلفاء الراشدين: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
٢٧ ـ أبو الفرج الأصفهاني:
- كتاب الأغاني: مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
٢٨ ـ أبو نعيم: محمد بن عبد الله الأصبهاني.
- حلية الأولياء: دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٩ ـ الإسفرائيني: أبو المظفر.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣٠ ـ إسماعيل: محمود.
- الحركات السرية في الإسلام، رؤية عصرية، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، آب ١٩٧٣م.
٣١ ـ الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٣٢ ـ أمين: أحمد.
- فجر الإسلام: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١٠، ١٩٦٩م.
٣٣ ـ الآيجي: عضد الدين عبد الرحمن.
- شرح المواقف: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

[باب الباء]

٣٤ ـ الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب.
- التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م.
٣٥ ـ البخاري: محمد بن إسماعيل.
- صحيح البخاري: طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣٦ ـ البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد.
ـ الفرق بين الفرق: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٣٧ ـ البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى.
ـ أنساب الأشراف: تحقيق د. رمزي بعلبكي، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، النشرات الإسلامية، أسسها هلموت ريشر، يصدرها لجمعية المستشرقين الألمانية.
٣٨ ـ البيهقي: أحمد بن الحسين.
ـ سنن البيهقي: دار صادر، بيروت، لبنان.

[باب التاء]

٣٩ ـ الترمذي: محمد بن عيسى.
ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح): تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

[باب الجيم]

٤٠ ـ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر.
ـ البيان والتبيين: تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٤.
٤١ ـ جفال: علي.
ـ الخوارج: تاريخهم وأدبهم: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٤٢ ـ الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس.
ـ كتاب الوزراء والكتاب: تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م.
٤٣ ـ الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حمّاد.
ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: تحقيق د. إميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

[باب الحاء]

٤٤ ـ الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله.

ـ المستدرك على الصحيحين: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤٥ ـ حسن: حسن إبراهيم.

ـ تاريخ الإسلام السياسي: دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤م ـ ١٩٦٥م.

٤٦ ـ حسين: طه.

ـ الفتنة الكبرى (عثمان بن عفان): دار المعارف بمصر، القاهرة.

٤٧ ـ الحموي: ياقوت بن عبد الله.

ـ معجم البلدان: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

[باب الخاء]

٤٨ ـ خالد: خالد محمد.

ـ قصتي مع الحياة، مذكرات خالد محمد خالد: مطابع دار أخبار اليوم، القاهرة، رقم الإيداع: ٩٣/٢٢٥٤.

٤٩ ـ الخضري بك: محمد.

ـ إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

[باب الدال]

٥٠ ـ الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمٰن.

ـ سنن الدارمي: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، نشر دار إحياء السنة النبوية.

[باب الذال]

٥١ ـ الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد.

ـ تذكرة الحفاظ: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ سير أعلام النبلاء: تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١٠، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

ـ العبر في خبر من غبر: تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ميزان الاعتدال: تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٥٢ ـ ذو الرمّة: غيلان بن عقبة العدوي.
- ديوان شعر ذي الرمة: طبعة كلية كمبردج في مطبعة الكلية، ١٣٣٧هـ ـ ١٩١٩م.

[باب الراء]

٥٣ ـ الرازي: فخر الدين.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

[باب الزاي]

٥٤ ـ الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني.
- تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٥٥ ـ الزركلي: خير الدين.
- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٧ أيار (مايو)، ١٩٨٦م.

[باب السين]

٥٦ ـ السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد.
- الأنساب: دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٥٧ ـ السيوطي: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمٰن.
- تاريخ الخلفاء: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

[باب الشين]

٥٨ ـ شاكر: محمود.
- التاريخ الإسلامي: الخلفاء الراشدون والعهد الأموي: المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٥٩ ـ الشماخي: أبو العباس أحمد عبد المؤمن القيسي.

- كتاب السير: الجزائر، ١٨٧٨م.
٦٠ - الشهرستاني: أبو الفتح محمد عبد الكريم.
- الملل والنحل: دار الفكر، بيروت، لبنان.
٦١ - الشيخ: عبد الستار.
- علي بن أبي طالب: دار القلم، دمشق، سورية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

[باب الطاء]

٦٢ - الطبري: محمد بن جرير.
- تاريخ الطبري المسمّى تاريخ الأمم والملوك: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

[باب العين]

٦٣ - العبادي: عبد الحميد.
- صور وبحوث من التاريخ الإسلامي: مكتبة الأنجلو المصرية، شارع محمد فريد القاهرة، ١٩٩٥م.
٦٤ - عبد الرازق: محمود.
- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري: الدار البيضاء، شارع ڤكتور هيكو، ط١، ١٩٧٦م.
٦٥ - العقاد: عباس محمود.
- عبقرية الإمام علي: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.

[باب الفاء]

٦٦ - الفيروزأبادي: محمد بن يعقوب.
- القاموس المحيط: عالم الكتب، بيروت، لبنان.
٦٧ - الفيّومي: محمد إبراهيم.
- الخوارج والمرجئة: دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

[باب القاف]

٦٨ - القلقشندي: أحمد بن علي.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٦٩ - القلماوي: سهير.

- أدب الخوارج في العصر الأموي: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥م.

[باب الميم]

٧٠ - مالك بن أنس.
- كتاب الموطأ: دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٧١ - المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد.
- الكامل في اللغة والأدب: تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٧٢ - المتقي الهندي: علاء الدين علي.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: مكتبة التراث الإسلامي، حلب، سورية، ط١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، لبنان.
٧٣ - المزي: أبو الحجاج يوسف.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: تحقيق د. بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٧٤ - المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين.
- التنبيه والإشراف: دار صادر، بيروت، طبع مدينة ليدن المحروسة، بمطبعة بريل سنة ١٨٩٣م.
- مروج الذهب: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٥، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٧٥ - مسلم بن الحجاج النيسابوري.
- صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٧٦ - معروف: نايف.
- الخوارج في العصر الأموي، نشأتهم وتاريخهم، عقائدهم، أدبهم: دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- ديوان الخوارج: دار المسيرة، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٧٧ - المقدسي: المطهر بن طاهر.
- كتاب البدء والتاريخ: دار صادر، بيروت، لبنان ١٨٩٩م.
٧٨ - المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية): تحقيق د. محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨م.
٧٩ - الملطي: أبو الحسين محمد بن أحمد.
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: القاهرة، شوّال، سنة ١٣٦٨هـ، مكتبة جامعة الإمام الأوزاعي برقم ٢١٥، م.م.ت.

[باب النون]

٨٠ - النجار: عامر.
- الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة: دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٨م.
٨١ - نجيب: مصطفى بك.
- حماة الإسلام: مطبعة السعادة بمصر، ط٢، ١٣٤١هـ.
٨٢ - النسائي: أحمد بن شعيب.
- سنن النسائي: بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م.

[باب الهاء]

٨٣ - الهيثمي: علي بن أبي بكر.
- مجمع الزوائد في منبع الفوائد: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

[باب الواو]

٨٤ - الواقدي: محمد بن عمر.
- المغازي: تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
٨٥ - ولي: عبد العزيز نور.
- أثر التشيع: دار الخضيري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

[باب الياء]

٨٦ ـ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب.
ـ تاريخ اليعقوبي: دار صادر، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

ب ـ لائحة مصادر ومراجع الشيعة الإمامية الإثني عشرية:

[باب الهمزة]

١ ـ ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله.
ـ شرح نهج البلاغة: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
٢ ـ ابن الصبّاغ: علي بن أحمد بن محمد.
ـ الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام: المطبعة الحيدرية ومطبعتها بالنجف، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.
٣ ـ ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا.
ـ الفخري في الآداب السلطانية: تحقيق عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب، سورية، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٤ ـ الإربلي: عيسى.
ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمة: دار الأضواء، بيروت، لبنان.

[باب الثاء]

٥ ـ الثقفي: إبراهيم بن محمد.
ـ الغارات: أو الاستنفار والغارات: تحقيق عبد الزهراء الحسيني الخطيب، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

[باب الحاء]

٦ ـ الحلي: تقي الدين الحسين بن علي.
ـ كتاب الرجال: تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

[باب الدال]

٧ ـ الدينوري: أبو حنيفة بن داود.
ـ الأخبار الطوال: دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

[باب الشين]

٨ ـ الشريف الرضي: محمد بن الحسين.
- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

[باب الطاء]

٩ ـ الطبري: أبو منصور أحمد بن علي.
- الاحتجاج: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٦٣م.

[باب الكاف]

١٠ ـ الكشي: أبو عمرو محمد بن عمر.
- رجال الكشي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء، العراق.

[باب الميم]

١١ ـ المفيد: محمد بن النعمان.
- الإرشاد: منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.

[باب النون]

١٢ ـ النوبختي: الحسن بن موسى.
- فرق الشيعة: تحقيق عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

[الموسوعات]

- موسوعة المستشرقين: عبد الرحمٰن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، تموز (يوليو)، ١٩٩٣م.
- الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
- الموسوعة العربية الميسرة: بإشراف محمد شفيق غربال، دار الجيل، بيروت، لبنان، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

- موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: د. عبد المنعم حفني، دار الرشاد، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ط٨، ١٩٧٨م.

[مصادر أخرى]

- الإمامة والسياسة: المنسوب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

فهرس المحتويات

مقدّمة ٣

الفصل الأول: أصل الخوارج ونشأتهم ٥

المبحث الأول: أسماء الخوارج ٧

المبحث الثاني: أصل الخوارج ونشأتهم ١٤

أ ـ أصل الخوارج ١٤

ب ـ نشأتهم ١٧

العصبية القبلية ودورها في نشأة الخوارج ٣٠

القرّاء ودورهم في نشأة الخوارج ٣٣

دور السبئية في نشأة الخوارج ٣٦

دور الحركة السبئية في هذه المؤامرة ٣٧

معاوية ودوره في نشأة الخوارج ٤٣

المبحث الثالث: دوافعهم وأسباب خروجهم وثوراتهم ٤٥

العامل الاجتماعي ٤٧

المبحث الرابع: أبرز صفاتهم وخصائصهم ٥٤

أ ـ تميزهم بالفصاحة والبلاغة ٥٤

ب ـ حرصهم على طلب العلم ٥٥

ت ـ شغفهم بالجدل والمناظرة ٥٦

ث ـ تعصبهم الأعمى لآرائهم ٥٧

ج ـ أخذهم بظاهر النصوص ٥٩

ح ـ مبالغتهم في العبادة ٦١

خ ـ تعطشهم للقتال ٦٣

د ـ اتصافهم بالشجاعة والفداء والإخلاص والكرم ٦٣

ذ ـ اتصافهم بالوفاء ٦٧
ر ـ غلبة الفوضى والاضطراب على سلوكهم ٦٨
الفصل الثاني: تاريخ الخوارج ٧١
المبحث الأول: أمر الخوارج زمن علي رضي الله عنه ٧٣
بيعة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ٧٣
تردده رضي الله عنه في قبول الخلافة وعزوفه عنها ٧٤
عزل علي رضي الله عنه لولاة الأمصار ٨٠
دور قتلة عثمان في إثارة الفتنة ٨٣
موقعة صفين وبداية ظهور الخوارج ٨٦
بداية تحرّك الخوارج ٩٥
اجتماع الحكمين ٩٧
انتقاض القراء على علي وقتالهم ١٠٣
مناظرة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج ١٠٣
المبحث الثاني: أمر الخوارج بعد النهروان ١٠٩
خروج الخرّيت بن راشد الناجي سنة ٣٨هـ ١١٢
استيلاء عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر سنة ٣٨هـ ١١٤
مقتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ١١٧
المبحث الثالث: أمر الخوارج من الحسن رضي الله عنه ١٢٧
خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما ١٢٧
تولي معاوية رضي الله عنه الخلافة سنة (٤١هـ) ١٣٢
حرص معاوية على ضمّ الخصوم واستمالتهم ١٣٣
المبحث الرابع: أمر الخوارج زمن معاوية رضي الله عنه ١٣٦
انتقاض الخوارج على معاوية وقتالهم ١٣٧
خروج حوثرة بن وداع سنة ٤١هـ ١٣٨
خروج فروة بن نوفل وآخرين سنة ٤١ ـ ٤٢هـ ١٣٩
ولاية زياد بن أبي سفيان العراق ومقارعة الخوارج ١٤٢
خروج سهم والخطيم سنة ٤٦هـ ١٤٤
خروج زحّاف وقريب سنة ٥٠هـ ١٤٦

المبحث الخامس: أمر الخوارج زمن ابن الزبير ومروان وعمر بن
عبد العزيز رضي الله عنهم ١٥٣
ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق سنة (٧٥هـ) ١٥٨
انتقاض أهل البصرة على الحجاج سنة (٧٥هـ) ١٦٢
المبحث السادس: أمر الخوارج زمن عبد الملك بن مروان ١٦٣
خروج مطرّف بن المغيرة بن شعبة سنة (٧٧هـ) ١٧١
اختلاف الأزارقة فيما بينهم سنة (٧٧هـ) ١٧٢
أمر الخوارج زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ١٧٤
المبحث السابع: أمر الخوارج زمن هشام بن عبد الملك ١٧٦
المبحث الثامن: أمر الخوارج في أوامر العهد الأموي ١٨١
أمر الخوارج زمن مروان بن محمد ١٨٣
الفصل الثالث: عقائد الخوارج العامة ١٨٧
عقائد الخوارج العامة ١٨٩
قولهم في الخلافة ١٩٠
قولهم في المخالفين ١٩٦
قولهم في مرتكب الكبيرة ١٩٧
الفصل الرابع: فرق الخوارج وعقائدهم ٢٠١
المبحث الأول: الفرقة الأولى: المحكمة الأولى ٢٠٧
كرامة لأمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه ٢١١
المبحث الثاني: الفرقة الثانية: الأزارقة ٢١٤
آراء الأزارقة ومعتقداتهم ٢١٩
العمرية من الأزارقة ٢٢٤
المبحث الثالث: الفرقة الثالثة: النجدات ٢٢٤
آراء النجدات ومعتقداتهم ٢٢٨
المبحث الرابع: الفرقة الرابعة: الصفرية ٢٣٠
آراء الصفرية ومعتقداتهم ٢٣٣
ومنهم البيهسية ٢٣٥
آراء البيهسية ومعتقداتهم ٢٣٦

العوفية من البيهسية ٢٣٨
أصحاب التفسير والسؤال من البيهسية ٢٣٩
ومنهم الشبيبية ٢٤٠
آراء الشبيبية ومعتقداتهم ٢٤٢
ومنهم الراجعة ٢٤٤
المبحث الخامس: الفرقة الخامسة: العجاردة ٢٤٥
آراؤهم ومعتقداتهم ٢٤٦
اختلاف العجاردة فيما بينهم ٢٤٧
الصلتية ٢٤٧
الخازمية ٢٤٨
المعلومية والمجهولية ٢٤٩
الحمزية ٢٤٩
الأطرافية ٢٥٤
المحمدية ٢٥٤
الشعيبية ٢٥٤
الميمونية ٢٥٥
الخلفية ٢٥٦
الثعلبية ٢٥٧
المعبدية ٢٥٨
الأخنسية ٢٥٩
الشيبانية ٢٥٩
الرشيدية ٢٦٠
المكرمية ٢٦٠
المبحث السادس: الإباضية ٢٦١
آراؤه ومعتقداتهم ٢٦٦
فرق الإباضية ٢٧٣
الحفصية ٢٧٣
الحارثية ٢٧٤

أصحاب طاعة لا يراد الله بها ٢٧٥
اليزيدية ٢٧٦
الإبراهيمية الميمونية والواقفية ٢٧٧
الضحاكية ٢٧٨
فرق خارجية أخرى ٢٧٨
الحسينية ٢٨٠
خاتمة ٢٨٢
المصادر ٢٨٣
فهرس المحتويات ٢٩٧

AL-ḪAWĀRIJ

The dissidents

(Their History, Sects,and Their beliefs)

by

Dr. Aḥmad ᶜAwaḍ Abu Aš-Šabāb

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH

Beirut-Lebanon